إليَّ اشتياقُه

قصّة سُليمان والشُّولَميّة

تأمُّل وتفسير في نشيد الأنشاد

على مدى ثلاثين يومًا

بُوب إمِري

إلـيَّ اشتيـاقُه

قصَّة سُلَيمان والشُّولَميَّة

تأمُّلٌ وتفسير في نشيد الأنشاد
على مدى ثلاثين يومًا

بُوب إمِري

(ترجمة سعيد باز)

“كلُّ ما قرأتُه يومًا حول نشيد الأنشاد ثقيلٌ وجافٌ. أمَّا كتابُك فيجري بسلاسة وجمال. إنَّه يجلو أسرار نشيد الأنشاد بأسلوبٍ جميل وشعريٍّ يمسُّ قارئه في الأعماق.”

جورج حصني، رئيس “Horizons International”

“كثيرون يعرفون ويفهمون القليل القليل عن نشيد الأنشاد. وفي **إليَّ اشتياقُه**، وجدتُ مُستوًى جديدًا من المحبَّة للمسيح والشركة الروحيَّة العميقة معه موصوفًا بجمال بالغ. لو كنت تعرفني جيِّدًا، لعلِمتَ أنَّني غالبًا ما لا أمتدح الكُتُب. غير أنَّني أنصحُ نصحًا **قويًّا** بقراءة هذا الكتاب.”

إيزيك أبلا، فضائيَّة “Light for the Heart” (تركيا)

“كتابٌ مَصوغٌ بأُسلوبٍ آسِرٍ أخَّاذ. فإنَّ بوب إمِري، بمثل الطريقة التي بها علَّم المسيح إلى حدٍّ بعيد، يُعلِّمنا عن محبَّة **الله** لكلِّ واحد منَّا من خلال سرده القَصصيِّ البارع وأسلوبه الرشيق وصُوَره البصريَّة النابضة. لقد ابتهجتُ جدًّا بالقصَّة، حتّى تسنَّى لي أن أشمَّ مزيج الغُبار والأدهانِ العَطِرة لدى عبور عَرَبة الملك، وأُحِسَّ شمسَ القُدس على وجهي، كما تسنَّى لي أيضًا أن أشعر بالتَّوق إلى علاقةٍ أوثقَ بالمسيح نابعًا داخل قلبي.”

جاك بيشوپ، كنتكي، الولايات المتَّحدة

“تهانئي على إبداع تُحفة أدبيَّة حول واحدٍ من أصعب الأسفار في الكتاب المقدَّس!”

لي□انت كِنران، تركيا

“لا يَسَعُني التعبير عن كلِّ ما عناه هذا الكتاب لي. لكأنَّ كلَّ فصل يكمل صورة عن حياتي مع الربّ، وكلَّ يوم يُضفي مزيدًا من المعنى على ما أنا مُجتازٌ فيه.”

يُولي لوزا، مُرسَل من الپيرو

“حافلٌ بالنار والحياة والحقِّ الأزليِّ! لقد جذبني إلى الربِّ مرارًا وتكرارًا.”

يان ونتِربُرن، Fedex، تنيسي، الولايات المتحدة

“استخدم الربُّ هذا الكتاب ليُعيدَني إلى ذراعَي محبَّته بطريقةٍ إنهاضيَّة وجديدة. أُريد أن أبدأ قراءته كلَّه من جديد!”

لوري درَكسْلَر، First Fruit, Inc

“ما قرأتُ قطُّ كتاب تفسير وتأمُّل في نشيد الأنشاد أجملَ من هذا. سوف يتبارك به كثيرون في جميع أنحاء العالم.”

لازارُس يغنازار، 222 Ministries

“منذ أن باشرتُ قراءة **إليَّ اشتياقُه**، بُورِكتُ على نحوٍ يفوق التعبير! يُخيَّل إليَّ أنَّكَ كتبتَ هذا الكِتابَ لي فحسب! أمَّا وقد فرغتُ منه، تُخالِجُني الآن أوجاعُ الإنقطاع!”

بَتي هاكنز، Ministry Intercessor، كاليفورنيا، الولايات المتحدة

“أن تكتب كتابًا هو شيء، وأن تُحسن الكتابة هو شيءٌ آخر. وإنَّه لَشيءٌ أن تُحسِنَ الكتابة، إلاَّ أنَّه شيءٌ أندَرُ أن تكتب مضمونًا مهمًّا... بل أندَرُ أيضًا أن تكتب مضمونًا وتُيسِّر المقروئيَّة. هذا كلُّه فعله المؤلِّف في **إليَّ اشتياقُه**. وربَّما كانت لدينا هنا نُدرَةٌ أكبرُ بعد، ألا وهي ولادةُ كاتبٍ جيِّد!”

جين إدواردز، مؤلِّف Tale of Three Kings,
The Divine Romance, وكُتُب أُخرى

His Desire Is For Me

The Story of Solomon and the Shulammite

Copyright © 2011 Bob Emery

All rights reserved. This book or any portion thereof may not be reproduced or used in any manner whatsoever without the express written permission of the publishers except for the use of brief quotations in a book review.

Scripture taken from the New American Standard Bible, © Copyright 1960, 1962, 1963, 1968, 1971, 1972, 1973, 1975, 1977, 1995 by The Lockman Foundation. Used by permission.

The poem "Let Us Contemplate the Grapevine" by Watchman Nee is used by permission, © Living Stream Ministry.

Illustrations by Tim Irvin Tirvin4@ triad.rr.com

Published by Bench Press Publishing

P.O. Box 5846 - Charlottesville, VA 22905

www.BobEmeryBooks.com

الطبعة الأولى ٢٠١٤

الكتاب: إليَّ اشتياقُه

قصَّة سُلَيمان والشُّولَميَّة

المؤلّف: بُوب إمِري

المترجم: سعيد باز

تصميم الغلاف والتصميم الداخلي: دار منهل الحياة

ص.ب. ١٦٥ منصورية، المتن - لبنان

هاتف: ٤٠١٩٢٢ ٤ ٩٦١ - فاكس: ٥٣٢٤٨١ ٤ ٩٦١

بريد إلكتروني: info@Dar-Manhal-Alhayat.com

موقع إلكتروني: www.Dar-Manhal-Alhayat.com

الناشر: دار منهل الحياة

الترقيم الدولي: ISBN: 978-9953-530-77-2

Dar Manhal Al Hayat

دار منهل الحياة

جميع حقوق الطبع باللغة العربية محفوظة للكاتب وحده، ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه من دون إذن الكاتب، وللكاتب وحده حق إعادة الطبع والنشر من خلال النسخ المطبوعة أو أي وسيلة سمعيّة أو بصريّة أو عبر الإنترنت في أي مكان.

كنوز
KONOOZ
منصّة النشر المسيحي الإلكتروني

النسخة الإلكترونية من إنتاج منصة كنوز
www.KONOOZBOOKS.com
© جميع الحقوق الإلكترونية لهذا الكتاب محفوظة للناشر الأصلي ولمنصة كنوز

الإهداء

إلى جميع الذين يحبُّون الربَّ ويتوقون أن يكونوا شُولَمِيَّتَهُ

المحتويات

إل-يَّ اشتياقُه

قصَّة سُليمان والشُّولَميَّة

الإمداء

تمهيد: نشيد الأنشاد الذي لسُلَيمان

مقدَّمة: تفسير نشيد الأنشاد

الباب الأوَّل: حبٌّ أوَّليٌّ

اليوم الأوَّل: الاشتياق

اليوم الثاني: اجتِذابُ الحُبِّ

اليوم الثالث: اكتِشافُ الذَّات

اليوم الرابع: الإنقاذُ منالخِدمة المُلهِية

اليوم الخامس: العُثور على القطيع الحقيقيِّ ورُعاةِ النِّعمة

اليوم السادس: الوَعدُ بالتَّحوُّل

اليوم السابع: الموت والقيامة

اليوم الثامن: تذوُّقٌ مبدئيٌّ للرَّاحة والاتِّحاد

اليوم التاسع: قاعة الولائم

اليوم العاشر: السُّور

خلاصة القسم الأوَّل: الحبُّ الأوَّليُّ

الباب الثاني: حبٌّ مُتزايِد

اليوم الحادي عشر: أين يُمكِنني أن أجِدَ حبيبي؟

اليوم الثاني عشر: من عَراء البرِّيَّة إلى عُرس الزّوجيَّة

اليوم الثالث عشر: اِفتِتان!

اليوم الرابع عشر: إلى الجبال!

اليوم الخامس عشر: البُستانيُّ الرُّومنسيُّ

اليوم السادس عشر: الاستِرسالُ في حبِّ المَلِك

اليوم السابع عشر: مُعاناة اللَّيل

اليوم الثامن عشر: ضربٌ وجروح

اليوم التاسع عشر: وَصفُ الحبيب
اليوم العشرون: اختِبار حُبِّه الذي لا يفتُر
خُلاصة القِسم الثاني: الحبُّ المُتزايد
الباب الثالث: حبٌّ ناضج
اليوم الحادي والعشرون: إطلاقُ اسمِه عليَّ
اليوم الثاني والعشرون: الرَّقصة الحميمة
اليوم الثالث والعشرون: امرأةٌ حقلُها العالَم
اليوم الرابع والعشرون: المُعلِّم المُقيم في الداخل
اليوم الخامس والعشرون: حذارِ الانزِعاج!
اليوم السادس والعشرون: الاستِناد
اليوم السابع والعشرون: نارُ الحُبِّ التي لا تُطفأ
اليوم الثامن والعشرون: أُختُنا الصَّغيرة
اليوم التاسع والعشرون: الإصغاء إلى كلمة الله
اليوم الثلاثون: التَّشفُّع
تذييل: الأحلام
كلمةُ شُكر

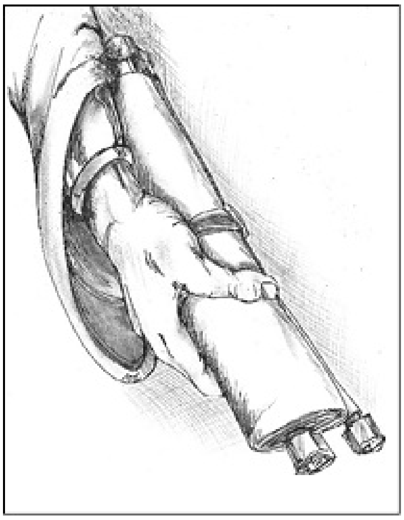

نشيد الأنشاد الذي لسُلَيمان

كان ظلام المساء قد هبط تقريبًا لمَّا وصلت المرأةُ الشابَّة إلى المقرِّ الخاصِّ الذي يُقيم فيه أخيَّا، وزيرُ الملك سليمان الشخصيُّ. فقرعَتِ الباب، وفيما هي تنتظر الجواب شمَّت العطر الطيِّب المُنبعِث من شُجيرتَي الياسمين المُزهِرتين في الجرَّتين الكبيرتين الموضوعتين في المدخل. وأخيرًا فتح البابَ خادمٌ حافي القدمين في ريعان الشباب.

قالت للغُلام: "أودُّ أن أُقابل أخيَّا. أعلمُ أنَّه لا يتوقَّع قُدومي، ولكنَّ الأمر سيستغرق دقيقة واحدة فقط."

فسألها: "ما اسمُكِ؟"

"قُل له إنَّ شيريل هنا بقصد رؤيته."

واستفسر: "مَن أنتِ، ومِن أيَّة عائلة؟"

"سيكون كافيًا أن تقول له إنَّ شيريل تودُّ أن تراه. فهو سيعرف مَن أنا."

فاستدار الغُلام حالاً ومشى مُتواريًا في رِواق حتَّى لم يعُد وقع خُطاه يُسمَع. وبعدَ بضع دقائق أقبلَ إلى الباب رجلٌ أنحف وأكبر سنًّا، ذو وجهٍ مُغَضَّن، وشعرٍ طويل شائب قاسٍ، ولحيةٍ شائبة مقصوصة قصًّا قصيرًا.

قال الرجُل ضاحكًا ضحكة خافتة: "عجبًا، كأنَّكِ لستِ شيريل! لقد مضى زمن طويل منذ رأيتُكِ آخِرَ مرَّة. ماذا أتى بكِ إلى مدينة القُدس، وإلى بيتي هُنا هذا المساء؟"

أجابت: "تحيَّاتي، يا أخيَّا! جيِّد أن أراك من جديد. وصلنا، زوجي وأنا، إلى المدينة أمسِ تمامًا. كنتُ أعلمُ أنَّه سيكون صعبًا جدًّا أن أراك في القصر أثناءَ النَّهار، فجئتُ هذا المساء راجيةً أن أجدك في البيت. رجاءً، سامِحني بعدم طلب موعد."

فقال الشيخ: "لم تُحدِثي أيَّ ضرر. ما غايتُكِ من هذه الزيارة؟"

"جئنا كي نُقدِّم ذبيحتنا لأجل الفِصح في غضون أربعة أيَّام، ثُمَّ نبقى لأجل عيد الأسابيع بعد ثلاثة أيَّام كي نُقرِّب باكوراتنا. والِدا زوجي مُسِنَّان وسيِّئا الصحَّة، ولذا يجب أن نرجع إلى ديارنا في الحال بعد

الاحتفال. ولكنْ في أثناء إقامتنا هنا، أودُّ جدًّا أن أقابل الملك. فغايتي من المجيء إلى بيتك هذا المساء هي أن أتبيَّن هل يمكنك ترتيب وقتٍ لنا في جدول الملك للقيام بذلك."

تجهَّمَ أخيًّا. "ما دام الفِصحُ قد أقبل، والمدينة تعجُّ بالحُجَّاج والعابدين، ولائحة الزوَّار الطالبين لقاء الملك طويلة، يكادُ أن يكون ذلك مُستحيلاً في هذه المهلة القصيرة جدًّا. أنتِ تعلمين أنَّ الملك رَجلٌ مشغولٌ جدًّا جدًّا."

فأجابت بلهجةِ توسُّل: "أعلم أنَّهُ كذلك. إنَّما عِدني بهذا فقط. عِدني بأنَّك ستُعلِمُه بوجودي هنا. ذلك هو كلُّ ما في الأمر. أمَّا الباقي فسأتركُه في يدَي الله."

فقال الشيخُ مُذعِنًا: "حسنٌ جدًّا، يا شيريل. في وسعي أن أفعل ذلك. أتمنَّى لكِ الخير. سلام، وليلة سعيدة."

وفي صباح اليوم التالي، جلس أخيًّا كجاري عادته مع الملك لمُناقشة جدوله الشخصيّ، باذلاً قُصاراه لتجاهُل مِزاج العاهل العاصف.

قال: "إنَّ جدولك اليوم حافل جدًّا. لقد وصل البحَّارة الذين أرسلهم حيرام الصوريُّ، حاملين ذهبًا وحجارة كريمة من أُوفير. وهُم يودُّون أن يُقابلوك. والتُجَّار الذين بعثتَهم إلى مصر وقيليقية لابتياع أحصنة قد رجعوا وما زالوا ينتظرون في المدينة منذ بضعة أيَّام كي يرفعوا إليك تقريرًا. وابن حور، وكيلُك من جبال أفرايم، قد حضر لكي يراك أيضًا."

فجأرَ الملك: "هل من شخصٍ آخر بعد؟"

أجاب أخيًّا: "نعم، هناك آخرون. الصفُّ طويل. هنالك بضعة وُجَهاء آخرين، بعضًا منهم تعرف، وآخرون لم يسبق أن قابلتَهم قطّ. ومِنهم مَن ينتظرون مُقابلتَك منذ أسابيع، بل منذ أشهُرٍ أيضًا. في وسعي أن أُضمِّن جدولك شخصًا أو اثنَينِ ممَّن يمكن أن يحضروا في غضون ساعة. ثُمَّ إنَّ هنالك شيريل."

"شيريل؟ أهي هنا؟ متى وصلَت؟ هل جاءت وحدها؟" وجلس الملك سليمان على كرسيِّه جِلسةً أكثر استِقامةً، تقريبًا كمَن أيقظَهُ خبرٌ سارٌّ من سُباتٍ عميق.

"نعم، هي هنا. لقد وصلت إلى مدينة القُدس منذ يومين مع زوجها، وقصدَت إليَّ البارِحة. قالت إنَّها تودُّ أن تراك."

فقال الملك: "أحضِرها إليَّ مع زوجها في الحال. وأسقِط من جدولي جميع المواعيد الأُخرى. هذا اليوم مُخصَّص لهما."

"ولكن، سيِّدي الملك، هؤلاء الآخرون ما بَرِحوا يرتقبون..."

فردَّ سليمان، رافعًا صوته: "كفى! أحضِرها إليَّ الآن!"

واستأذنَ أخيًّا، فاستدعى واحدًا من مُرافِقيه، وأصدرَ إليه أوامر بأن يذهب على عجل إلى شيريل وزوجها، قائلاً للمُرافق: "أحضِرهما إلى الغُرفة الجانبيَّة وراء قاعة العرش، حيثُ سيُقابِلهما الملك على انفراد." وفي وقتٍ تالٍ من ذلك الصباح، اصطحب المُرافق الزوجين إلى باب الغرفة. كانت الشابَّة في أوائل ثلاثينيَّاتها، ذات شعر فاحمٍ طويل، وقَوام حسن، ولباس مُحتشِم. وكان زوجُها أكبرَ منها قليلاً، ذا قامة طويلة وبَشَرة سمراء قليلاً، ولحية قصيرة. وقد بدا متوتِّرًا بعضَ الشيء، إذ تعرَّقت كفَّاه وبهرته فخامة القصر.

قال المُرافق، فاتحًا باب الأرز الصفيق: "الملك في الداخل، وهو ينتظركما. لكُما أن تدخلا."

دخل الزوجان الغرفة الفسيحة. وكان الملك جالسًا على كرسيٍّ كبير مريح مُزدانٍ بنسيج مُطرَّز مصنوع من قماش فاخر أزرق غامق، تحملُه أرجُل من عاج. فابتسمَت شيريل وانحنَت أمام الملك، وحذا زوجها حذوها. وقاطع الملك انحناءتها ونظام التشريفات، فقام عن مقعده بسُرعة، وذرع الغرفة بخُطًى واسعة لمُلاقاتها. ثمَّ طوَّقها بذراعيه، فتعانقا. وضمَّها سليمان بإحكام فيما قبَّلها مرارًا على خدَّيها. وإذ تراجع عنها، قال وعيناه مُغرورِقتان: "شيريل، جيِّد جدًّا أن أراكِ! لا يسعُكِ أن تتصوَّري أيَّ شعاع من ضياء الشمس أدخلتِ إلى الظلام الكثيف في حياة هذا الرَّجُل لمَّا سمعتُ أنَّكِ هنا. إنَّكِ تظهرين في أحسنِ حال... كلاكُما تظهران هكذا."

فقالت شيريل بابتسامة مُشرِقة: "أنا أيضًا سعيدة جدًّا بلقائك، سيِّدي الملك."

وقال سليمان: "لقد مرَّت عشرُ سنين تقريبًا. إلامَ أعزو امتيازَ هذه الزيارة؟"

فأومأت برأسها قائلةً: "جئنا، أنا وزوجي، إلى مدينة القُدس كي نقدِّم ذبيحةً للإله الحقيقيّ ونحتفل بالفِصح. وطالما كان لي في قلبي أيضًا شوقٌ لأراك وأعرف أحوالك. إنَّما ينبغي لي أن أعترف بوجود سبب آخر لمجيئي. وربَّما كان هذا هو الدافِعَ الأعمق لزيارتي. لقد مضت مُدَّة طويلة جدًّا منذ رأيتُ الشُّولميَّة آخِرَ مرَّة. وكنتُ قد بدأتُ أنساها. فكنتُ أرجو أن تُحدِّثني عنها، وأن تحكي لي قِصصًا تُضرِم ذِكرياتي الغالية عنها."

أومأ الملك برأسه، وعيناه مُغرورِقتان، وقال: "أفهمُ ذلك." ثُمَّ أشار بيده إلى المقعدين الموسَّدين المريحين بقرب مقعده، وأضاف: "رجاءً، اجلسا. لمَّا سمعتُ أنَّك هنا، توقَّعتُ أن يتطرَّقَ حديثُنا إلى محبوبتي الشُّولميَّة. وإذْ علمتُ ذلك، توجَّهتُ حالاً إلى غُرفتي كي أُحضِر شيئًا عرفتُ أنَّه سيَعني لكِ الكثير. ولكنْ قبلَ إطلاعكِ عليه، لا بُدَّ لي من الإدلاء باعتراف.

"لقد كانت الحياة صعبةً عليَّ في هذه السنين الماضية. وفي الواقع أنَّ خيبة الأملِ تُعكِّر ذهني. لقد رأت عيناكِ المملكةَ الواسعة التي أملِك عليها، وما لديَّ من أكداس الذهب والفضَّة وكلِّ نفيس. ورأيتِ قوَّتي العسكريَّة، وأسلحة جيوشي، وأُسطولي البحريّ. وشاهدتِ المباني الضَّخمة التي أمرتُ بإنشائها. ولكنْ بصراحة، يا شيريل، إذا قيلَ الحقُّ، هذا كلُّه باطِلٌ وقبضُ الرِّيح."

وبينما شيريل تُصغي والحُنوُّ بادٍ في سيمائها، تابعَ سليمان قائلاً: "أنتِ تعلمين أنَّني في شبابي قصدتُ أن أكتسب الحكمة والمعرفة، ولكنَّني منذئذٍ عرفتُ أيضًا الحماقة والجهالة. لقد بنيتُ قصورًا فخمة، وغرستُ كُرومًا، وبساتينَ من الطِّراز الأرفع. وأنشأتُ بِرَكًا وجعلتُها زاخِرةً بأغرَبِ الأسماك. وقد عرفتُ نساءً كثيرات، كما أدفأتْ سريري صبايا لا يُحصَين. ولم أحرِم نفسي أيَّة شهوة. غير أنَّني تعلَّمتُ أنَّ المرء لا يمكن أن يُشبِعه الذَّهب والفضَّة أو المُمتلكات، أو حتَّى المسرَّات واللذَّات. وقد بتُّ أزدري حياتي وجنى تعبي."

فقالت شيريل معترضةً: "ولكنْ، سيِّدي الملك، استخدمك القدير بصورة عظيمة. فقد بنيتَ الهيكل والقصر. وكتبتَ أمثالاً كثيرة جدًّا، ونظمتَ أناشيدَ وافرة للغاية. فأدَّت هذه كلُّها دورَ نورٍ يهدي نفوسًا لا تُحصى في سبيل الحقِّ ويجلب الفرح إلى قلوبهم."

فهزَّ سليمان رأسه، وأماراتُ الحزن على وجهه لا تُنكَر. "ثلاثة آلاف مَثَل. وأناشيدي بلغ عددُها ألفًا وخمسًا. أمَّا الآن فلم تبقَ فيَّ أيَّةُ أغانٍ. لقد انقطعت الموسيقى. ومع ذلك فأنتِ على حقّ. إنّ **الله** صالح. تلك هي النتيجة التي بلغتُها: بعد سماع كلِّ شيء، صوابٌ لكلِّ شخص أن يتَّقي **الله** ويحفظ وصاياه. ولكنْ عند هذا الحدّ، إذْ أُلقي على حياتي نظرة استرجاع، أرى أنَّني قد أخفقتُ في ما استأمنني **الله** عليه. غير أن ذلك كافٍ بشأن ما يخصُّني. إنَّني لا أطلبُ عطفكِ، وأنتِ لم تأتي إلى هُنا للإصغاء إلى اعترافات ملك. لقد جئتِ كي تسمعي عن الشُّولميَّة."

إذ ذاك مدَّ يده إلى طاولة بقُربه. وكان عليها، إلى جانب شمعة وزهريَّة كبيرة من المرمر، دَرْجٌ ملفوف

بإحكام، يُطوِّقه شريط جلديٌّ أسود رفيع. فالتقط سليمان الدَّرج، وتردَّد، ثمَّ نظر إليه لحظةَ قبل أن يدفعه إلى يد شيريل.

واستفسر: "هل يعرف زوجُكِ كثيرًا عنها؟"

فقالت: "ليس أكثر ممَّا أخبرتُه أنا. وفي علمك أنَّ معرفته لها كانت قصيرة الأمد فحسب."

ثُمَّ أطرق الملك، وإذ ارتسمَت على وجههِ النِّظرة الأكثرُ لطفًا ونظرًا ثاقبًا، قال لزوجها: "بُنيَّ، اصغ إلى كلامي. اقبل ما سأقوله لك باعتباره كلام شخص شاهد الكثير في الحياة وأعطاه الربُّ حكمة وافرةَ. التذَّ عيشًا مع المرأة التي تحبُّها طيلة أيَّامك الزائلَة التي أعطاك **الله** إيَّاها تحت الشمس، لأنَّ هذا هو نصيبك في الحياة."

فقال زوج شيريل: "أشكرك على نصيحتك الحكيمة."

وسألت شيريل: "ما هذا الذي أعطيتني، سيِّدي الملك؟"

فأجاب الملك: "افتحيه."

فحلَّت شيريل بسرعة الشريط الجلديَّ الرفيع الذي أبقى الدَّرج ملفوفًا بإحكام. وأجالت نظرها في قطعة البَرديِّ الطويلة المخطوطة بترتيب. وبادلت الملك النظر، قائلةً تخمينًا: "إنَّه نشيد!"

أجاب: "ليس مجرَّد نشيد. هذا نشيد خاصّ."

وسألَت: "نشيد حبّ؟"

فقال مبتسمًا: "صحيح، إنَّه عن حبّنا... الحبِّ الذي بيني وبين الشُّولميَّة. ليست هذه قصَّتها، بل هي قصَّتي. هذه أُنشودةٌ تصف كيف أحببتُها بحُبٍّ ولَّده في قلبي لهيبُ نار **الله** عينُه، وكيف اجتذبتُها إليَّ. في هذا النشيد، سترَين كيف نمَت في الحبّ، وكيف نضجَت، وكيف تجاوبَت معي. وقد وصفتُ بعضًا من أوقاتنا الحميمة، إلاَّ أنَّني سترتُها بعباءة الشِّعر."

ورفعت شيريل نظرها عن الكلمات المخطوطة في الدَّرج، سائلةً: "لماذا كتبتَ هذه القصيدة؟"

"لم أُرِد أن تضيع قطرةٌ واحدة من الحبِّ المقدَّس الذي تشاركنا فيه. لقد كتبتُ على أمل أن يُنشِد جميع المُحبِّين نشيدنا، وأن يُقبِلوا إلى معرفة الفرح الذي عرفتُه أنا."

فسألت شيريل: "إنَّه يبدو شخصيًّا. فماذا تُريد منِّي أن أفعل به؟"

"أودُّ أن تقرإيه."

أجابت: "هنا والآن؟"

"نعم. أُريد أن أسمع القصَّة من جديد أيضًا. إنَّني لا أملُّ منها."

نظرت شيريل نظرةً خاطفة إلى زوجها ثُمَّ ركَّزت نظرها على الدَّرج من جديد. واكتنف الغرفةَ سكوتٌ مقدَّس فيما جلس ثلاثتُهم معًا بهدوء.

أسند الملك رأسه إلى ظهر الكرسيِّ، وطوى يديه على معدته، وأغمض عينيه. وارتسمَت على شفتيه ابتسامة خفيفة.

وهمس برِقَّة: "لا تستعجلي. اقرإيه كما لو كان صلاةً تُقدَّم على مذبح **الله** بعينه."

فشهقَت شيريل نفسًا عميقًا، وزفرَت. ثُمَّ شرعت تقرأ، على مهل.

"ليُقبِّلني بقُبلات فمه..."

مقدَّمة: تفسير نشيد الأنشاد

إنَّ **نشيد الأنشاد** (أو "نشيد سليمان" كما يُدعى أيضًا) هو صندوق كنوز روحيٌّ مطمور داخل صفحات كلمة **الله** المقدَّسة. وهو يحتوي على بعضٍ من أثمن الإعلانات وأكثرها حميميَّة عن محبَّة **الله** لشعبه بين كلِّ ما سُطِّر على الإطلاق.

ثمَّة أربع طرق أساسيَّة في النَّظر إلى نشيد الأنشاد. فعلى مُستوًى بشريٍّ صِرف، يمكن أن يُنظر إليه على أنَّه كتاب عن قُدسيَّة الحبِّ البشريِّ بين رجُل وامرأة. وفي الواقع أنَّه أحد سِفرَين في الكتاب المُقدَّس (الآخر هو سفر أستير) لا تُذكر فيها بتاتًا كلمة "**الله**"، باستِثناء إشارة عابرة واحدة إلى "لظى الربّ" في الأصحاح الثامن. فيمكن أن يُثمَّن بمعزل عن أيَّة دلالة روحيَّة لمُجرَّد وصفه الرُّومنسيِّ الغنيِّ للعلاقة بين حبيبَين.

ولكنْ لأنَّ هذا النشيد مُضمَّن في الكتاب المقدَّس، و"كلُّ الكتاب هو موحًى به من **الله**، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ، لكي يكون إنسان **الله** كاملاً، متأهِّبًا لكلِّ عمل صالح" (٢تيموثاوس ٣: ١٦)، فإنَّ شيئًا مَّا فريدًا من قلب **الله** مُعلَن أيضًا على صفحاته.

وعليه، فإنَّ إحدى الطُّرق في النَّظر إلى هذا السِّفر هي أن نرى أنَّ **الله** ليس فقط خلق اللقاءات الرُّومنسيَّة الحميمة بين الجنسَين بل يوافق ويُصدِّق عليها، بل يُسَرُّ بها أيضًا، إذا أُجريَت في إطارها الصحيح. وإن أنعمتَ النَّظر، رُغمَ عدم ذِكر اسم **الله** في السِّفر، أمكنك أن ترى أنَّ حُضورَه ظاهر في هيئة مُراقِب غير محدَّد الهُويَّة. فهذا المراقب، فيَّاضًا بالبهجة، يُشجِّع الحبيبين في لحظاتهما الأكثر حميميَّةً، كما في الآية القائلة: "كلوا أيُّها الأصحاب؛ اشربوا واسكروا أيُّها الأحبّاء" (نشيد الأنشاد ٥: ١).

والطريقة الثانية في النَّظر إلى هذا السِّفر هي تلك التي يعتمدها علماء الدين اليهود، إذ يرَون فيه قِصَّة رمزيَّة عن الرَّبِّ والأُمَّة. ففي كتاب العهد القديم، كثيرًا ما يُشار إلى **الله** باعتباره زوج الأُمَّة: "لأنَّ بعلكِ هو صانعك، ربُّ الجنود اسمُه؛ ووليُّكِ قدُّوس اسرائيل، إله كلِّ الأرض يُدعى" (إشعياء ٥٤: ٥).

أمَّا عند المؤمنين بالمسيح في العهد الجديد، فغالبًا ما يُفسَّر نشيد الأنشاد باعتباره قِصَّة حُبِّ المسيح لعروسه، أي الكنيسة.

أخيرًا، يمكن النَّظر إلى هذا السِّفر بطريقةٍ أكثر شخصيَّةً، على أنَّه رسالةٌ عن محبَّة **الله** لقدِّيسيه الأفراد... لك ولي. وهذه هي المُقارَبة المعتمَدة في هذا الكتاب.

إنَّ نشيد الأنشاد هو واحد من الأسفار الشِّعريَّة في الكتاب المقدَّس. فشأنُه شأن المزامير، ليس هو سِفرَ تعليم للعقيدة، بل نشيدٌ شِعريّ. وبما أنَّه يُفسِح في المجال لمُستوًى رمزيٍّ في التفسير، فليس هو سفرًا ينبغي أن يُقارَب عقليًّا وتحليليًّا، حيثُ يُشرَّح ويُقطَّع فيُرتَّب ويُدرَج في خاناتٍ صغيرة دقيقة.إلاَّ أنَّه بالأحرى سِفر لا بدَّ من الاندماج فيه بالقلب، إذ ينبغي أن يتمَّ تذوُّقُه والتأمُّل فيه واختباره عمليًّا. وما دامت علاقة المحبَّة الحميمة **بالله** لا يمكن اكتشافُها إلاَّ فرديًّا من خلال لقاءات شخصيَّة مُغيِّرة للحياة بينَه وبين النَّفس، فإنَّ أيَّ تفسير لنشيد الأنشاد يستهدف العقل وحده، فيما يجري تخطِّي القلب والروح، لا بدَّ أن يكون قليل التأثير في تعزيز النُّموِّ الروحيّ.

فرادة هذا الكتاب

أمران يجعلان هذا التفسير لنشيد الأنشاد فريدًا.

أوَّلهما أنَّه صيغ في قالب تأمُّلات مدَّتُها ثلاثون يومًا. فعلى خلاف التفاسير الأُخرى، يمكن استخدام هذا التفسير ككتاب تعبُّد يوميّ، إذا ما أُردِف بالصلاة والتأمُّل يُتيح الفرصة لتناول لُقَم من نشيد الأنشاد والاستمتاع بمضمونها الروحيّ مدَّةً من الزَّمن. وعلى هذا النَّحو، رُتِّبَت المائدة لك، في أوقات خلوتك اليوميَّة، كي تُجريَ لقاءاتك الشخصيَّة الخاصَّة مع **الله**.

أمَّا الأمر المميِّز الآخر فهو السَّرد الخياليُّ لقصَّة سليمان والشُّولميّة، وقد أُضيفت بناءً على ما هو معروف عنهما من نشيد الأنشاد وغيره من المصادر الكتابيَّة المقدَّسة والتاريخيَّة. فمن خلال تفاعُل الحبيبَين وحوارهما، حاولتُ أن أُضفيَ الحياة والحيويَّة على الحقائق والمبادئ الروحيَّة التي يشتمل عليها النشيد.

إنَّ مقدارًا كبيرًا من الأدب المسيحيّ الخالد على رفوف الكُتب اليوم يُعبِّر عن حقِّ **الله** بأسلوب روائيٍّ قصصيّ. مثلاً "سياحة المسيحي" بقلم جان بنيان. فهذا الكتاب رواية رمزيَّة مسيحيَّة كُتبت سنة ١٦٧٨ ولم تنفد طبعاتُها قطّ، وهي تُعتبَر واحدًا من أهمِّ الآثار الأدبيَّة الإنكليزيَّة بين كُلِّ ما كُتِب على الإطلاق. كما أنَّ "أقدام الأيِّلة على المرتفعات" بقلم حنَّة هُرنارد وروايات عالَم نارنيا بقلم سي أس لِويس ليسا سوى مَثَلين آخرين على الأدب الروائيّ الرمزي مسَّا قلوب أجيالٍ من المؤمنين بالمسيح.

ثمَّة سبب لخلود آثارٍ كهذه. وقد عرف المسيح أيضًا الطريقة الفُضلى التي بها يمكننا، نحن البشر، أن نستوعب الحقَّ. فهو لم يُلقِ مُحاضرات مؤسَّسة على اللاهوتيَّات المنهجيَّة، بل فسَّر لتلاميذه الأمور المختصَّة به في جميع أسفار العهد القديم، بما فيها نشيد الأنشاد (لوقا ٢٤: ٢٧). وبدلاً من إلقاء المُحاضرات، كثيرًا ما تكلَّم بأمثال أو حكى قِصصًا تجعل الحقَّ نابضًا بالحياة. بهذه الطريقة كان (وما زال) قادرًا على التكلُّم مباشرةً إلى قلوب أتباعه وأرواحهم.

وفي هذا الكتاب، يشتمل كلُّ تأمُّل يوميّ على اقتباس من الكلمة المقدَّسة، وعلى قِصَّة مُرافِقة تشرح ما هو جارٍ في ذلك الاقتباس، ثُمَّ على تفسيرٍ تتبعُه فكرة ختاميَّة أو صلاة. فأقترحُ أن تقرأ تأمُّل كلّ يوم على مهل. ثم صلِّ على أساسه وتمعَّن فيه. وأتِح للربِّ الفُرصة كي يتكلَّم إليك.

كاتِبُ نشيد الأنشاد

كاتب نشيد الأنشاد هو سُليمان، ابنُ الملك داود. وقد كان سليمان ينبوع حكمة وشِعر، وإليه نُسِب التكلُّم بثلاثة آلاف مثل ونظمُ ألفٍ وخمس نشائد (١ملوك ٤: ٢٩- ٣٤).

في سِفر الأمثال، كتب سليمان عن الحكمة ومُكافآت الحكمة. لقد كتبٍ عن المُفارقة بين الأبرار والأشرار، وقدَّم النُّصح من دروس تعلَّمها في الحياة. وليس من سجلٍ أو مجموعة للنشائد الألف والخمس التي نظمها سليمان. إنَّما حُفِظَ نشيد واحد منها فحسب، وقد دُعي- على نحوٍ مُناسِب- "نشيد الأنشاد"، أي "أفضل الأناشيد". وهو نشيدٌ عن المحبَّة. والمحبَّة تدوم. إنَّها لا تسقط أبدًا، كما جاء في ١كورنثوس ١٣:

"المحبَّة لا تسقط أبدًا. وأمَّا النُّبوَّات فستُبطَل، والألسنة فستنتهي، والعلم فسيُبطل. لأنَّنا نعلم بعض العلم ونتنبّأ بعض التنبُّوء. ولكن متى جاء الكامل فحينئذٍ يُبطل ما هو بعض... أمَّا الآن فيثبت: الإيمان والرجاء والمحبَّة، هذه الثلاثة ولكنَّ أعظمهنَّ المحبَّة" (١كورنثوس ١٣: ٨-١٠، ١٣).

تاريخيًّا، ربَّما كتب سليمان سِفر الأمثال وهو في عزِّ شبابه. ففي أثناء هذه المرحلة، يمكننا أن نرى في مكتوباته قوَّة الخُلُق وعرضًا للمعايير الأخلاقيَّة السامية. ولكنَّ الكتاب المقدَّس يقول لنا إنَّ قلب سليمان مال عن الربّ، وإنَّه طلب نساءً أجنبيَّاتٍ كثيرات. فقد اتَّخذ سبع مئة زوجة وثلاث مئة سُرِّيَّة، وتردَّى في عبادة الأصنام، وآل أمرُه إلى تحمُّل المسؤولية عن انقسام مملكتَي الشمال والجنوب. إنَّ سُليمان- واأسفاه!- لم يُنهِ حياته نهاية حسنة.

أمَّا سِفر الجامعة فرُبَّما كُتب في أثناء كهولة سليمان. فحينئذٍ كان سليمان قد ذاق كلَّ ما يمكن أن يُقدِّمه العالم. وفي أثناء هذه المرحلة من حياته، تبدَّدت أوهامُه ووصل إلى النتيجة القائلة بأنَّ كلَّ شيء تحت الشمس كان باطلاً وأنَّه هو كان يُطارد الرِّيح.

وأمَّا نشيد الأنشاد، فصعبٌ أن نُحدِّد متى كُتب. فمن غير المُرجَّح جدًّا أنَّ سليمان قد كتب هذا النشيد، أفضل أناشيد الحُبِّ كلِّها، في اثناء سني كهولته المضطربة، فيما كان منشغلاً بتكويم عدد كبير جدًّا من الزَّوجات والسَّراريِّ الأُخَر! ويرتئي بعضٌ أنَّ السِّفر كُتب في شيخوخة سليمان. فبعد سنين عديدة وتفكير كثير، رُدَّ سليمان إلى فهم مقصد الحياة الحقيقي، ألا وهو أن يعرف **الله** وأن يعرف محبَّته، تلك المحبَّة التي مثَّلها الحبُّ الذي أوتيَهُ سليمان للشُّولميَّة. إنَّما يعتقد آخرون أنَّ النشيد كُتب فيما كان سليمان عائشًا في نور الحكمة التي آتاه **الله** إيَّاها في زمن براءة وحبٍّ أوَّل. ولكنْ لا أحد يعلم يقينًا.

وإذا كان ينبغي لنا أن نختار بين تاريخ كتابة باكر ومتأخِّر، فالتَّخمين الأسلم هو أنَّ نشيد الأنشاد ربَّما كُتب في زمن باكر من حياة سليمان وكان وصفًا لحبٍّ أوَّل. وهذا هو الموقف المعتمَد في هذا الكتاب.

مَن كانت الفتاة؟

ما برح الفضول يدفع الكثيرين إلى معرفة هويَّة الفتاة الشُّولميَّة، أو "شولمِّيث" كما تُدعى في هذا النشيد. فمن كانت هذه المرأة الغامضة؟

عندما ننظر إلى الكتاب المقدَّس، يمكننا أن نرى إشاراتٍ محدَّدة فقط إلى اثنتين من زوجات سليمان السَّبعمئة. فحياة سليمان موصوفة في سفرَي الملوك الأوَّل (٢- ١١) وأخبار الأيَّام الثاني (١- ٩). وفي هذه النُّصوص بضع إشارات إلى زوجة واحدة بعينها، ألا وهي ابنة فرعون. والزوجة الأُخرى الوحيدة المذكورة بالاسم هي نعمة العمُّونيَّة (١ملوك ١٤: ٢١)، وقد كانت والدة ابن سليمان المنكود رحُبعام. ولا بدَّ أنَّ كلتيهما تزوَّجتا من سليمان في سنيه الباكرة، حوالى الوقت الذي بدأ فيه حُكمه ملكًا. ويُحاجُّ بعض العلماء أنَّ الشُّولميَّة في نشيد الأنشاد كانت ابنة فرعون. إلاَّ أنَّ آخرين لا يتَّفقون معهم، على أساس أنَّ وصف العذراء الشابَّة هو وصف راعية ريفيَّة فقيرة، وهذه صورة مُناقِضة كليًّا لفتاة نشأت وسط ملوكيَّة بيت فرعون وأُبَّهته.

ويذهب تخمينٌ آخر إلى أنَّ الشُّولميَّة ربَّما كانت أبيشَج، العذراء الشابَّة التي جيء بها إلى الملك داود لتُدفئه في فِراش احتضاره، ولكنَّه لم يُقِم معها أيَّة علاقة جنسيَّة (١ملوك ١: ١- ٥). حوالى ذلك الوقت، حاول أدونيَّا، ابنُ داود الأكبر، أن يقوم بانقلاب كي يُنصِّب نفسه ملكًا، فيما داود ما يزال على قيد الحياة. ولكنَّ داود كان قد وعد بثشبع بأن يخلفه سليمان فيرث العرش. وما إن نُصِّب سليمان ملكًا، حتَّى

ذهب أدونيَّا إلى بثشبع وسألها أن تطلب من سليمان إعطاءه يد أبيشج للزَّواج، ولكنَّ سليمان تصرَّف بردَّة فعل مُتطرِّفة إذ أرسل فقتل أخاه أدونيَّا (١ملوك ٢: ١٩- ٢٥). فربَّما كان هذا مؤشِّرًا إلى أنَّ سليمان كان قد وضع عينه على هذه العذراء الشابَّة أيضًا، وأنَّها هي الشُّولميَّة في نشيد الأنشاد. ولكنْ حتَّى هذا التأويل غيرُ حاسم.

إلاَّ أنَّنا نستطيع أن نقول واثقين إنَّ سليمان والفتاة كليهما صورتان من العهد القديم، أو "رمزان" يُحدِّثاننا عن المسيح وعلاقته بعروسه، أي الكنيسة، أو بالمؤمن الفرد. ولجميع الرُّموز في العهد القديم محدوديَّاتُهم وعيوبهم: فآدم كان رمزًا للمسيح (رومية ٥: ١٤)، ومع ذلك أخطأ فنتج من معصيته سقوطُ الجنس البشريِّ بكامله. وموسى كان رمزًا للمسيح (١كورنثوس ١٠: ١- ٦)، غير أنَّ عصيانه لصوت **الله** في أواخر حياته حال دون دخوله أرضَ الآباء.

فلا شكَّ أنَّه كانت لسليمان ضعفاتُه وخطاياه، ولكنْ مع ذلك استخدمه **الله** كصورة ليُساعِدَنا في فهم بضعة أُمور. وفي قصيدة الحبِّ هذه، يستخدم **الله** سليمان مثالاً يُبيِّن كيف يخطب مليكُنا السماويُّ ودَّنا، ويكسب حبَّنا، ويجتذبنا إلى ذاته. فالفتاة رمزٌ إلينا نحن المؤمنين، بحيثُ يمكننا أن نتعلَّم من مثالها ما يعنيه التجاوب مع محبَّة الربّ.

وإذا كان فضولك الفكريُّ ما يزال يطلب جوابًا بشأن هويَّة الشُّولميَّة، ففكِّر في هذا: إنَّه لَأمرٌ ممكنٌ تصوُّره تمامًا أنَّ **الله** قد حجب هويَّتها عنَّا. ولمَّا استخدم الرسول بولس آدم وحوَّاء مَثَلين على العلاقة بين الزَّوج والزَّوجة، في رسالته إلى مؤمني أفسُس، خلص إلى القول: "هذا السِرُّ عظيم، ولكنَّني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أفسس ٥: ٣٢، والتشديد من عندي). ففي ضوء هذا، يبدو مُلائمًا أنَّ **الله** شاء أن يُبقي هويَّة الشولميَّة سرًّا أيضًا، حتَّى يمكن أن تكون بحقٍّ رمزًا للكنيسة.

ففي حكمة **الله**، لن تعترض الشخصيَّة التاريخيَّة في السبيل وتغدو مُلهيةً لنا، كائنةً مَن كانت، بكلِّ أخطائها ومشكلاتها. بل إنَّ في وسعنا بالأحرى أن نرى في عروس نشيد الأنشاد مِثالاً جليًّا على حقيقة النُّموِّ والنُّضج في المحبَّة للربِّ. إنَّ هويَّة الفتاة سرٌّ؛ وعليه، فإذ تقرأ قصَّتها، يغدو أسهل كثيرًا أن تؤمن بأنَّ الفتاة التي تجري الكتابة عنها يمكن أن تكون أنت حقًّا!

مراحل الحبِّ الثلاث

أكثرَ من أيِّ سِفر آخر في الكتاب المقدَّس، على وجه الاحتمال، يتضمَّن نشيد الأناشيد رسالةً تشمل الاختبار المسيحيَّ بكامله. فهو يكشف المراحل المختلفة التي يجتازها المؤمن على الطريق إلى النُّضج الروحيّ. فإذ تنمو محبَّتنا للربِّ من الحبِّ الأوَّليِّ ثُمَّ تزداد، تُسفِر أخيرًا عن محبَّة ناضجة. ونشيد الأنشاد يُعبِّر عن الحكاية الرقيقة بين مليكٍ وعذراء؛ بين ملكٍ وعروسه الآسِرة. إنَّه سفرٌ يكشف الحبَّ الشَّغِف والشَّديد والغيور الذي يكنُّه **الله** لك!

لقد قُسمت القصَّة ثلاثة أقسام تُوازي كلَّ مرحلة من مراحل الحبّ. ولكلِّ قِسمٍ آيةٌ مخصوصة تُميِّز موضوع تلك المرحلة من علاقة حبِّ الشُّولميَّة لعريسها.

أمَّا المرحلة الأُولى فهي الحُبُّ الأوَّليّ. والآية التي تُميِّز هذه المرحلة هي الآية ١٦ من الأصحاح الثاني: "حبيبي لي وأنا له." وهذه الفترة من حياة الفتاة مرحلةُ إعلانٍ واكتشاف. فهي ترى كثيرًا من الأمور الجديدة عن عريسها، ولكنَّ تلك الأُمور لم تصبح بعدُ مِلكَها في اختبارها. وفي المرحلة الأُولى، تشديد العروس هو على نفسها.

أمَّا المرحلة الثانية فمرحلة الحبِّ المتزايد. والآية التي تميِّز هذه المرحلة هي الآية ٣ من الأصحاح ٦: "أنا لحبيبي وحبيبي لي." ففي أثناء هذه المرحلة، تتعلَّم الفتاة أن تستسلم وتخضع للملك وطُرقه. والتشديدُ الآن هو عليه أوَّلاً، وعليها ثانيًا. كما قال يوحنَّا المعمدان عن المسيح: "ينبغي أنَّ ذلك يزيد وأنِّي أنا أنقص" (يوحنَّا ٣: ٣٠).

وأمَّا المرحلة الثالثة فهي الحبُّ الناضج. والآية المُميِّزة في هذا القسم هي الآية ١٠ من الأصحاح ٧: "أنا لحبيبي، وإليَّ اشتياقُه." وهذه مرحلةُ راحةٍ واتِّحاد وإثمار. فالآن بلغَت الفتاة النُّضج الروحيَّ. لقد دخلت في اتِّحاد مع الملك. والكلُّ الآن عنه وعن اشتياقه إليها. فكلُّ ما تراه هو حبُّه. إنَّها تثق به. وهي مستريحة معه. لقد أصبحت معه كِيانًا واحدًا في الخُلُق والغاية.

الدَّرس المُستفاد من نشيد الأنشاد

بصرف النَّظر عن الوقت الذي فيه كُتب النشيد، وسواءٌ دُبِّج في أثناء تأليف سليمان لثلاثة آلاف مثل وأكثر من ألف نشيد أم بعد ذلك، وبصرف النَّظر عمَّن كانت العروس، فإنَّ النتيجة تبقى هي إيَّاها. إذا كان سليمان- الرجلُ الذي فاقت حكمتُه حكمةَ جميع البشر- قد بلغ الإدراكَ أنَّ الأمر الأفضل والأعظم في الحياة هو المحبَّة، فبأيِّ درسٍ يمكن أن نمضي من هذا الواقع؟ وكيف ينبغي أن يؤثِّر هذا في القياس الذي به نقيس تقدُّمنا في الحياة المسيحية؟ وأيُّ مَعالِمِ تتوافر لنا لكي نعرف أنَّنا ننمو في الربّ؟

هل نقيس نموَّنا في الربِّ بفهمنا لكلمة **الله**؟ هل نقيسه بعدد السِّنين المتتالية التي فيها قرأنا الكتاب المقدَّس بحسب برنامجٍ مدَّتُه سنة واحدة؟ هل نقيسه بعدد الآيات الكتابيَّة التي استظهرناها، أو بعدد الأشخاص الذين اقتدناهم إلى المسيح؟ هذه كلُّها قد تكون مُهمَّة، ولكنْ ألا ينبغي أن يُقدَّر القياس الحقيقيُّ للنُّموِّ في الربِّ بالمَدى الذي بلغناه في معرفة الربِّ وفهم محبَّتنا له، وبالمقدار الذي نَمَونا به في محبَّتنا له بالمُقابِل؟

لقد عبَّر الرسول يوحنَّا عن هذه الفكرة في مكتوباته. فبعدما كان تابعًا للمسيح طوال أربعين سنة تقريبًا، كتب ما يلي:

"ونحن قد عرفنا **وصدَّقنا المحبَّة التي لله فينا [عند الله لنا]**. **الله** محبَّة، ومن يثبت في المحبَّة، يثبت في **الله**، و**الله** فيه. بهذا تكمَّلت المحبَّة فينا: أن يكون لنا ثقة في يوم الدِّين، لأنَّه كما هو في هذا العالم، هكذا نحن أيضًا. لا خوف في المحبَّة، بل المحبَّة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج لأنَّ الخوف له عذاب. وأمَّا مَن خاف فلم يتكمَّل في المحبَّة. نحن نحبُّه لأنَّه هو أحبَّنا أوَّلاً." (1يوحنَّا ٤: ١٦- ١٩، والتشديد من عندي).

فإنَّ يوحنَّا ليس فقط علم أنَّ **الله** أحبَّه، بل أيضًا بات **يصدِّق ذلك**. وقد عبَّر الرسول بولس عن الأمر بطريقة أُخرى:

"**فإنِّي مُتيقِّن** أنَّه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوَّات، ولا أُمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أُخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبَّة **الله** التي في المسيح يسوع ربِّنا." (رومية ٨: ٣٨ و٣٩، والتشديد من عندي).

بوصفنا أتباعًا للمسيح، قد نعلم أنَّ **الله** يحبُّنا. ولكن هل بتنا نُصدِّق ذلك حقًّا؟ أنحن مقتنعون به؟ حتَّى الرسول يوحنَّا الذي مشى مع الربِّ لمَّا كان على الأرض، والرسول بولس الذي احتمل اضطهاداتٍ وآلامًا كثيرة جدًّا، احتاجا أن يُقنَعا مرارًا وتكرارًا بمحبَّة المسيح التي لا تخذل أبدًا قبلما باتا يُصدِّقانها

حقًا ثمَّ يسلكان بمقتضى ذلك الإدراك.

وبصرف النظر عن المكان الذي أنت فيه في رحلتك الرُّوحيَّة مع الربّ، وسواءٌ كنتَ مؤمنًا حديثًا أو قدِّيسا مُتمرِّسًا، فإنَّ هذا الكتاب قد كُتب على رجاء أن يستخدمه عريسُنا السماويُّ كي يلمسَك ويستنهضك ويجتذبك بمحبَّته إلى علاقةٍ أكثر حميميَّةً بذاته.

فليت الحقيقة الروحيَّة المنوطة بالمحبَّة المصوَّرة بين العذراء الشُّولميَّة والملك سليمان تكونُ لك إذ تتعرَّفُ اختباريًّا المحبَّة التي يكنُّها لك الربُّ يسوع، مليكُك السماويُّ. "وهوذا أعظم من سليمان ههُنا!" (لو ١١: ٣١).

الباب الأوَّل: حبٌّ أوَّليٌّ

"حبيبي لي وأنا له."

نشيد الأنشاد ٢: ١٦

"العالَم كلُّه لا يُساوي اليوم الذي فيه أُعطيَ نشيد الأنشاد للأُمّة، لأنَّ أسفار الكتاب المقدَّس كلَّها مقدَّسة، ولكنَّ نشيد الأنشاد هو قُدس الأقداس."

الحَبر عقيبة، النّصف الأوَّل من القرن الثاني

اليوم الأوَّل

الاشتياق

نشيد الأنشاد، الأصحاح الأوَّل

"ليُقبِّلني بقُبلاتِ فمه، لأنَّ حبَّك أطيب من الخمر. لرائحة أدهانك الطيِّبة. اسمك دهنٌ مُهراق، لذلك أحبَّتك العذارى."

نشيد الأنشاد ١: ٢ و٣

كنتُ أشتغل في الحقول يومذاك إذ رأيتُ عربة تقترب من بعيد، يُحيط بها عشرة جنود على ظهور الخيل. كان النهار حارًّا، ووهج الشمس جعل عينيَّ تغمضان قليلاً إذ نظرتُ صوبهم. وبينَما العربة تمرُّ، بطَّأ السائق الفرس التي تتقدَّمها ونظر في اتِّجاهي. ثُمَّ شدَّ الزِّمام برِفق ووجَّه الفرس المُتقدِّمة حتَّى توقَّفت العربة على مقربة من المكان الذي كنتُ واقفة عليه. وما لبث أنَ ترجَّل وأقبل نحوي.

لم أكُن قطُّ قد رأيتُ أيَّ شخص مثله من قبل. كان شابًّا، في سنِّي تقريبًا، ذا مظهر ملوكيٍّ مُميَّز. وأوَّل فكرة خطرت في بالي أنَّه لا بدَّ أن يطلب منِّي شربة ماء، أو ربَّما بعض التوجيهات. فلم يكن في وسعي أن أتصوَّر لأيِّ سبب آخر يأتي شخص مثله إلى هذه القرية الصغيرة المغمورة، ناهيك بالتوقُّف في حقلي!

ولمَّا اقترب إليَّ أكثر، استطعتُ أن أشمَّ الرائحة الطيِّبة الفائحة من زيت المسحة على رأسه. وقد كانت عِطرًا فوَّاحًا نابضًا بالحياة، بدا مُحيِيًا للهواء الذي يكتنف المكان الذي وقفتُ فيه. وكان هو مُفعمًا

بالحياة، ذا ملامح حسنة وشعر طويل مُتموِّج بلون الغُراب.

وقف الشابُّ أمامي تمامًا هناك، مُحدِّقًا إليَّ بحملقة ثاقبة. وقد خالَجني في مكانٍ مَّا من صميم كِياني شعورٌ بأنَّني كنتُ أعرفه من قبل. غير أنَّني بالحقيقة لم أكُن أعرفه قطّ. ولمَّا نظرتُ إلى وجهه الجميل، لم أدرِ كيف أُفسِّر ما كان يجري في داخله. فقد بدت عيناه هائمتَين عجبًا، ولكنَّني لم أستطع أن أتصوَّر سبب ذلك. وبدا تقريبًا كما لو أنَّ الحُبَّ قد استولى عليه!

وفجأةً استدار، ورجع إلى العربة فاعتلاها وانطلقَ مُبتعِدًا. ولكنْ حتَّى لدى مغادرته أدركتُ في صميم كياني أنَّه بلَّغني رسالةً غير منطوقة. فإذا بالرَّجاء يشرع في الطُّموِّ داخلي. وفي تلك اللحظة، تجرَّأتُ أن أعتقد أنَّه سيرجع.

وفيما كان آخِر جنديٍّ في الموكب يمرّ، رفعتُ ذراعي ولوَّحتُ له هاتفةً: "مَن كان ذاك الشابُّ؟"

فصاح الجنديُّ وهو يمضي مُمتطيًا حصانه- ناظرًا إليَّ رجوعًا من فوق كتفه- "كان ذاك سليمان... الملك!"

همستُ: "سليمان!" وأنا لا أكاد أُصدِّق.

وإذ أنهيتُ مهمَّاتي في الحقل، غادرتُ باكرًا وعدت إلى بيتي. ولم أكفَّ طوال الوقت عن التفكير في الحادثة المُتعذِّر تفسيرُها، تلك التي جرت توًّا.

ماذا كانت تلك النّظرة التي رأيتُها في عينيه؟ أفي وسعي أن أُركِن إلى مشاعري؟ لقد بدا عقلي مناقضًا ما كنتُ أشعر به في قلبي. فقلتُ في نفسي: يقينًا، لقد أسأتُ تفسير حملقته. يستحيل أن يكنَّ الملك مشاعر خاصَّة لفتاةٍ مثلي.

رغم ذلك، لم يكُن في وسعي إلاَّ أن أتصوَّر. فقد تأصَّل في قلبي العجب المقرون برجاء رؤيته من جديد، وبات أقوى مع كلِّ يوم يمرّ. لقد أدركتُ أنَّه أيقظ في داخلي شيئًا مَّا تقتُ إليه، ولكنَّني لم أصِل إلى فهم الحقيقة إلاَّ على مهل. إنَّ الملك قد أيقظ فيَّ شوقًا إلى الحبّ!

كنتُ قد نشأت في القرية ولاحظتُ كيف يعيش أهلُ مُحيطي حياتهم، قابلين كأمرٍ حتميٍّ التقاليدَ والحياة الموروثة من آبائهم وأجدادهم. لقد كانوا قومًا فُقَراء، وكانت الحياة صعبة. فكانوا ينهضون كلَّ صباح ويعملون بكدٍّ طول النهار في الحقول والكروم، أو حول بيوتهم، لكي يكسبوا رزقهم فحسْب بشقّ النَّفس. ثُمَّ ينهضون في الصباح التالي ليُعيدوا الدَّورة كلَّها من جديد. وأقلاَّء جدًّا ابتعدوا يومًا عن جذورهم، أو أُتيحت لهم الفرصة لاختيار سبيلٍ آخر في الحياة.

كذلك رأيتُ أيضًا خيبات الأمل وعدم الرِّضى العميق داخِلَهم- وداخل نفسي- ولم أرغب أن أعيش هذه العيشة. يقينًا، لا بُدَّ أن يوجد شيءٌ أفضل. يقينًا، لا بدَّ أن يكون للقدر قصدٌ أسمى من هذا بالنسبة إليَّ. وإذ تمعَّنتُ في هذه الفكرة، ألفيتُ نفسي، أوَّل مرَّة، جريئةً على تصديقها.

وما لم أعرِفه حينذاك كان أنَّ الملك شاركني في آمالي وأحلامي. فرُغم كونه وليدَ سُلالة ملوكيَّة، وكون المملكة كلِّها طوعَ بَنانِه، فهو أيضًا كان يتوق إلى حبٍّ لا يُضاهى، حبٍّ يختلف عن أيِّ شيءٍ سبق أن عرفه.

وفي الأيَّام التالية، إذ عمدتُ إلى أداء مهامِّي اليوميَّة في الحقل، عادت أفكاري مرارًا وتكرارًا إلى الملك. وفي أحلام يقظتي، تسنَّى لي أن أراه آتيًا من أجلي، وأرى كِلَينا مُنطلِقين بعيدًا كي نتزوَّج، حبيبين لا يسعهما احتواء عواطفهما المشبوبة بعد.

وكان من شأني أحيانًا أن أشهقَ نفَسًا عميقًا وأتصوَّر، مرَّةً أُخرى بعد، العطر المُسكِر الفوَّاح من زيت المسحة. كما كان من شأني، أحيانًا أُخرى، أن أجعل فقط اسم الملك يكرُّ على شفتيَّ. سُليمان. لقد كان

اسمًا جميلاً جدًّا، إسمًا يعني السلام.

كنتُ قد سمعت عن الملك من قِصَص حكاها القرويُّون: عن غناه وحكمته وهيئته الفاتنة. فلا عجب أنَّ هذا العاهل الشابَّ كان مُشتهى كلِّ عذراء في المملكة!

ولكن لم يكن ثمَّة أيُّ شخص في وسعي أن أتحدَّث إليه عن هذه المشاعر الحميمة. أخيرًا، ذات يوم، بدأت تتكوَّن في داخلي كلماتٌ بسيطة، لكن قويَّة. ومثل طوفان، انبعث في مكان مَّا من أعماق كِياني دُعاءٌ وانطلق من بين شفتيّ: "لِيُقبِّلْني بقبلات فمه!"

ثمَّ أغمضتُ عينيَّ وبدأتُ أتصوَّره واقفًا أمامي مرَّةً أُخرى بعد. فماذا عساني أقول له؟ وعندئذٍ وافتني الكلمات: "إنَّ حبَّك أطيب من الخمر الفاخرة! أدهانُك ذاتُ عطر زكيٍّ مبهج. وقعُ اسمك كخرير جدول رقيق ناعم يجري في مرج. فلا عجب أن تحبَّك جميع العذارى!"

نِقاط للتأمُّل

إنَّ الغوص إلى مزيدٍ من العمق في العلاقة بالربِّ يبدأ باشتياق. وذلك الاشتياق غرسه **الله** نفسُه في قلب المؤمن.

والفتاة في هذا النشيد تُمثِّل شخصًا قد أقبل أصلاً إلى الإيمان بالمسيح. ويقول لنا النصُّ إنَّها عذراء. فالكلمة "عذراء" تشير إلى الذين قد وضعوا إيمانهم فعلاً في المسيح ووُهِبوا الحياة الأبديَّة، كما نرى في كلمات الرسول بولس: "فإنِّي أغار عليكم غيرة **الله**؛ لأنِّي خطبتكم لرجل واحد، لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح" (٢كورنثوس ١١: ٢).

وهكذا، فإنَّ النشيد يبدأ بشخص يحبُّ الربَّ اصلاً، ولكنَّه يودُّ أن يكون أكثرَ حميميَّةً معه، ولا يُريد أن يستقرَّ في ما بعد على "الحياة كالمُعتاد". إنَّه يبدأ بشخص يريد حياةَ شغفٍ غنيَّةً مع الربِّ وكلَّ ما تستلزمُه عيشةٌ كهذه.

ولا بدَّ أن تُحدِث معرفةُ المسيح على هذا النَّحو تغييراتٍ ومُغامرة. فليس هذا هو السَّبيل المعهود التقليديَّ المطروق عادةً: إذ توجد عذارى كثيرات، ولكنَّ بينهنَّ قلَّةً فقط يشتقن إلى حياة أعمق مع الربّ.

لقد تاقت الفتاة إلى قُبلات الملك. إنَّها تمنَّت أن يُبديَ لها عاطفته ومحبَّته بتقبيلها مرارًا وتكرارًا. وبالنِّسبة إلى المؤمن، يُماثِل هذا شوقنا لأن يُبديَ الربُّ محبَّته لنا مرارًا وتكرارًا ويُبيِّن عاطفته القويَّة نحونا. فكلُّ قبلة نتلقَّاها منه هي إعلانٌ جديد لهويَّته، تُعبِّر عن اختيار جديد لمحبَّته.

والأدهان في الآية الثالثة تُمثِّل العبير السماويَّ الفوَّاح من فضائل المسيح، ذاك الذي نُحسُّه حين نكون في حضرته. إنَّها تُشير إلى خُلقه وطبيعته الجذَّابة بقوَّة وبرِّه وسلامه وأمانته وقوَّته وحكمته ونعمته. وفي قصَّة السامريِّ الصالح، وجد السامريُّ إنسانًا في الخندق، وضمَّده ساكبًا الزَّيت والخمر على جِراحه (لوقا ١٠: ٣٣ و٣٤). فإنَّ اختبار حضور المسيح يجلب ليس فقط البهجة الشديدة، بل أيضًا الشِّفاء.

ليس في وسعنا أن نعرف **الله** بمعزل عن الإعلان الإلهيّ. والنموُّ في معرفته يُرافق الحصول على إعلانٍ أكثر فأكثر. خُذ مثلاً سمعان بطرس والخبر الوارد في متَّى ١٦: ١٣- ١٧:

"ولمَّا جاء يسوع إلى نواحي قيصريَّة فيلبُّس سأل تلاميذه قائلاَ: "مَن يقول الناس إنِّي أنا ابن الإنسان؟" فقالوا: "قوم: يوحنَّا المعمدان، وآخرون إيليَّا، وآخرون: إرميا أو واحدٌ من الأنبياء." قال لهم: "وأنتم، مَن تقولون إنِّي أنا؟" فأجاب سمعان بطرس وقال: "أنت هو المسيح، ابن **الله** الحيّ!" فأجاب يسوع وقال له: "طوبى لك يا سمعان بن يونا: إنَّ لحمًا ودمًا لم يُعلِن لك، لكنَّ أبي الذي في السماوات."

كان بطرس يعرف الربَّ وقد سار معه، ولكنْ استلزم الأمر إعلان الآب لكي يدرك أنَّه المسيح، ابنُ **الله** الحيِّ نفسُه.

وهكذا إذًا يبدأ نشيد الأنشاد بصلاة. وهي صلاةٌ يُطلَب فيها إعلان: أن يُعرف المسيح بطريقة أكثر حميميَّة، وأن يُختبَر المزيد من محبَّته.

أفكار / صلوات

ربِّ، قبِّلني مرارًا وتكرارًا. أبدِ لي ودادك ومحبَّتك. أُريد أن تكون علاقتي بك أكثر حميميَّةً. أحتاجُ أن تُعلِن لي ذاتك. افتح عينيَّ حتَّى أراك وأعرف محبَّتك لي. ليِّن قلبي لكي أُحبَّك أكثر. ضع في قلبي اشتياقًا لأعرفك بطُرق أعمق ممَّا عرفتُك يومًا من قبل.

إنَّ حُبَّك أفضلُ من أيِّ شيء يمكن أن يُقدِّمه هذا العالم؛ وتذوَّق محبَّتك أفضل من أحلى خمر. والوجود في حضرتك أفضل جدًّا من تنشُّق أطيب الزيوت العطرة التي يُمسَح بها مَلِكٌ مَّا. إنَّ اسمك حلو، أيُّها الربُّ يسوع. لبِّ اشتياق قلبي أن أعرفك أكثر بعد.

اليوم الثاني

اجتِذابُ الحُبِّ

نشيد الأنشاد، الأصحاح الأوَّل

"اجذبني وراءك، فنجري. أدخلني الملك إلى حجاله."

نشيد الأنشاد ١: ٤أ

كنتُ قد ذهبت، هذا النهار، إلى بُستان الجوز لأنظر زِهور الوادي، وأرى هل أخرجت الكرمة براعمها. وفجأةً رفعتُ نظري، فرأيت في البعيد زوبعةَ غُبار. فتسارعَت دقَّات قلبي ترقُّبًا! لَكأنَّ صلاتي استدعَته. إذ كان ذلك هو الملك!

توقَّفت عربتُه بقُرب كرمي مرَّةً أُخرى. وتقدَّم الملك الشابّ. وأمكنني أن اقول إنَّه كان فيه شوقٌ مخصوص، تمامًا كما كان فيَّ أنا. لم تكن لديَّ أيَّة فكرة عمَّا سيقول. هل يكون حديثُه عابرًا؟ ربَّما ملاحظة ما عن النهار أو الطقس؟

ثمَّ تكلَّم. وكانت كلماته الأُولى مباشرة وواضحة: "هلاَّ تأتين معي إلى المدينة! أودُّ أن أُريَكِ المكان الذي أُقيم فيه."

لم أُجِر كلامًا إلى حين. فما كنتُ قد توقَّعتُ بداية غريبة كهذه. ماذا كان هذا؟ أكان يدعوني إلى بيته بعينه؟

"سيِّدي الملك، يقينًا أنَّك لا تعني الآن، في هذه اللحظة!" هكذا قلتُ مُتلعثمةً.

فأجاب مُبتسِمًا- ووجهُه ينبض حماسةً- "بلى، أعني ذلك!"

"ولكن... ولكن... يجب أن أعود إلى بيتي وأُبدِّل ثيابي. يداي مُتَّسختان، ويجب أن أغتسل و..."

فقال: لا يشغلْ بالكِ أيُّ فِكر، ولا ينبغي أن تخافي. كوني على ثقة بأنَّك لن تذهبي إلى أيِّ مكانٍ لا يُناسبكِ. إنَّ سائقي عرباتي سيُوصِلونكِ إلى بيتك قبل هبوط اللَّيل."

والغريب أنَّه رُغمَ مُحاجَّة العقل بأنَّ القيام بذلك كان أمرًا مُنافيًا للعقل، فقد شعرتُ كما لو أنَّ سحابة سلام اكتنفتني. لقد وثقتُ بذلك الشابّ.

وقلتُ مُحتجَّةً بوهن: "ولكن، سيِّدي، لم يسبق لي أن ركبتُ في عربة قطّ. أنا ..."

فقفز إلى داخل عربته حالاً، ومدَّ يده قائلاً: "هاتي يدكِ!"

وإذ ابتسمتُ لِما انطوى عليه الأمر كلُّه من جرأة، وثبتُ تلك الوثبة. فأمسكتُ يده بإحكام، وفي الحال رفعني. وضحك عاليًا، كما ضحكتُ أنا، إزاء اندفاعِ ما حدث توًّا وإثارتِه وتهوُّره. فما تمالكتُ أن فكَّرت: إلى أين ستُفضي هذه المُغامرة؟

بدأت العربة تتحرَّك. فتشبَّثتُ بدرابزينها، وتمسَّك هو بالزِّمام، وصاحَ بالجياد، فما لبثَت أنِ اندفعَت تعدو. وأعتقد أنَّها حتَّى هي شعرت بالإثارة.

هبَّت الريح على وجهي فيما الجياد تجري أمامنا. لقد كنتُ واقفةً في عربة مُزَركشة بالذهب إلى جنب الملك! فضحكتُ ثانيةً من فرطِ البهجة. وفوقَ وقعِ حوافر الجياد، واهتزازات العربةِ من أخاديد الطريق، وسحن العجلات للحصى، مال الملك صوبيَ وهتف: "إلى مدينة القدس!" ولم أكَد أقوى على احتواء الفرح الذي شعرتُ به. فرُغم أنِّي بالحقيقة قابلتُه توًّا فحسب، شعرتُ بمُنتهى الأمان والحماية.

وما إن اقتربنا من أسوار القصرِ البرَّاقة، حتَّى بدأتُ أسمع دعوات وأوامر عالية، بدت صادرةً من كلِّ مكان. وصدحَت الأبواق من كلِّ جهة، مُعلِنةً قدوم الملك. وإذا بالحُرَّاس المُصطفِّين في زيِّهم العسكريّ، والسُّيوف مُعلَّقةٌ بالسُّيور على أجنابهم، ينحنون أمامه، ثُمَّ خطَوا إلى الوراء وفتحوا الأبواب البرونزيَّة الكبيرة المؤدِّية إلى القصر. وشعرتُ فجأةً بأنَّ بَشَرتي مُلوَّحة جدًّا من الشمس، فخبَّأتُ داخل ثنايا ثوبي يديَّ الملطَّختين بعصير الكُروم ووسخها. لا بدَّ أن يحسب أُولئك كلُّهم أنَّ الملك قد اشترى من توِّه عبدةً... عبدةً من الطَّبقة الدُّنيا. ولكن لم تكُن تلك هي الطريقة التي عاملني بها.

وإذ دخلنا الفِناء، توقَّفت الجياد. فمدَّ لي الملك يده مرَّةً أُخرى، وترجَّلنا كلانا. وتطلَّعَت عيناي إلى القصر، فإذا بالحجارة البيضاء الضخمة العاكسة لضوء الشَّمس، والأعمدة، والهندسة الرائعة، تبهر كلُّها أنفاسي!

لم ندخل القصر في الحال، بل اقتادني الملك بالأحرى عبر الفِناء، ثُمَّ في ممرٍّ، حتَّى وصلنا إلى باب حديديٍّ كبير. وعند فتح الباب، دخلنا. كان ذلك بُستانًا، ليس مجرَّد بُستان، بل أروع بستان يمكن أن يتصوَّره المرء. أشجارُ نخيل ولوز، شُجيرات زينة، أزهار حِنَّاء، رائحة الياسمين الذكيَّة... لم أكد أستوعبها كلَّها، وفاتتني التفاصيل تقريبًا بالسُّرعة التي بها وافتني. ولم يكَد الملك ينبس بكلمة. فهو إنَّما أراد لي أن أُشاهد المُحيط الخصيب. لقد كان جميلاً على نحوٍ لا يوصف. ولكنْ لدى التفكير، أمكنني بشقِّ النَّفس أن أتذكَّر ما رأيت.

كثيرًا ما سُئلتُ عمَّا رأيتُه يومذاك، عمَّا سمعتُه وأُطلِعتُ عليه وعن المكان الذي أُخِذتُ إليه. فعن هذه الأسئلة، تمكَّنتُ فقط أن أُجيب: "لقد وقف الملك بجانبي يومذاك. أنَّى لي أن أعلَم؟"

وكان مَقصِدُنا التالي شُرفةً داخل القصر تطلُّ على الموقع الذي فيه كان الهيكل المقدَّس يُشاد. من

هناك، دلّني سليمان على المباني المتعاظمة، وفسَّر لي أنَّ هذا سيكون هيكلاً منقطع النظير، المكانَ الذي فيه سوف يُقيم ذات يوم ملك آخر، ملك الملوك جميعًا.

ثُمَّ سألني، وهو مُتَّكئ على الدرابزون: "أيروقُكِ هذا المنظر من هنا؟"

فأجبت: "إنَّه رائع! ليس من منظر مثله في مدينة القدس كلِّها."

فابتسم مسرورًا بجوابي، كما بدا واضحًا، وقال: "قليلون قد وقفوا حيث تقفين كي يُشاهدوا هذا. ولكنَّ لديَّ خططًا لإدخال تحسينات عليه. فإنَّه حين يكتمل الهيكل، سيبدو هذا القصر قزمًا مُقارنةً بذاك الذي أنوي بناءه."

كان هنالك أشياء أُخرى بعدُ أراد أن يُريَني إيَّاها، فاستدرنا ورجعنا إلى الداخل. وقد امتلأ قلبي عجبًا... إنَّما بعدُ أكثر، امتلأ فرحًا، لمجرَّد كوني بقُربه، سامعةً خُطَطه كما لو كنتُ صديقًا موثوقًا به. وبينما هو يمشي معي، قال: "أودُّ الآن أن أصطحبَكِ إلى حيثُ لم يذهب قطُّ أيُّ بُستانيٍّ لديَّ وذهب فقط عدد ضئيل جدًّا من خُدَّامي. فلا يستطيع أن يمشي هناك إلاَّ أنا والأكثر موثوقيَّة بين حُرَّاسي وخُدَّامي. سآخذُكِ إلى داخل أسوار القصر، وأُريكِ الأبراج العالية والحُصون، ثمَّ أُريكِ المكان الذي يخصُّني وحدي."

وتعجَّبتُ إذِ اصطحبَني صعودًا ونزولاً على الأدراج الحجريَّة وفي الأروقَة. كان الحُرَّاس في كلِّ مكان. وبدا كما لو أنَّ الذهب أيضًا كان في كلِّ مكان: تماثيلُ وشمعدانات وطاولات كلُّها من ذهب. أخيرًا، توقَّف أمام بابٍ خشبيٍّ كبير. بقرب الباب، كان يقف للحراسة بصمت جنديٌّ طويل القامة. كانت ذراعاه الكبيرتان مطويَّتين على صدره. وكان ضخم البنية، ذا كتِفَين وعضل مُنتفخة ومشدودة.

ثمَّ دفع الباب ففتحه، وأمسك بيدي، وولجْنا إلى الداخل. كان ذلك مهجع الملك! وكان في وسط الغرفة، إلى الجدار الحجريّ، سريرٌ ضخمٌ فخم، ما سبق لي قطُّ أن تخيَّلتُ أيَّ شيء مثله. وقد كان مرفوعًا من زواياه الأربع على أعمدة من العاج، تتدلَّى منها أجملُ ستائر مُطرَّزة لمحَتها عيناي يومًا، وكانت ذات جمالٍ أخَّاذ. فكان تدرُّج الألوان، بين أزرق وبنفسجيٍّ غامق وفاتح، صنعةَ فنَّان ماهر.

إلى أحد جانبَي السرير، كان دَرَج يُفضي إلى بِركةٍ هي حمَّام الملك. وإلى الجانب الآخر قطعة أثاث خشبيَّة داكنة، استقرَّ عليها تاجُ الملك الذهبيُّ.

وسألت: "أذاك هو التاج الذي تعتمره عندما تجلس على عرشك؟"

فأجاب مُبتسمًا: "نعم!" ثُمَّ مشى نحوه، والتقطَه، وعاد به ليُريَني إيَّاه. وقد كان رائعًا، مُزدانًا بجواهر مُتعدِّدة الألوان.

وقال مُبتسمًا بفخر: "هيَّا، المسيه!" ثُمَّ ناولني التاج.

مددت يدي بحذر، فلمستُ التاج وجعلتُ أصابعي تنزلق ببطء على حافاته. وتعجَّبتُ من الجواهر الخضراء والزرقاء والحمراء التي رُصِّع بها على نحوٍ جميل جدًّا سطحُه الناعم البرَّاق.

ثمَّ أعاد التاج إلى مكانه، وانضمَّ إليَّ من جديد.

بقينا في غُرفة النوم هُنَيهةً فقط. ومن ثَمَّ، دون كلمة، أشار نحو الباب وعاد بي عبر القصر، فإلى الفِناء خارجًا، حيث كنَّا قد وصلنا أوَّلاً. ثمَّ أومأ للحُرَّاس، وفي بضع لحظات توقَّفت عربة بجانبه، يقودُها سائقان وسيمان لابسان ثيابًا فاخرة. فأمسك الملك برِفق رأسي بين يدَيه، ومال عليَّ، وطبع على جبيني قبلة وداع رقيقة.

وقال آمرًا: "أرجِعا الفتاة إلى بيتها."

وقبل أن يتمكّنا من الاستجابة، التفت الملك فجأةً. كان شخصٌ يقترب منه. وقد لوَّح الغريب بإحدى يديه في الهواء، مومئًا للسائقين أن يقفا. كان رجلاً قصيرًا مُمتلئ الجسم، ذا رأسٍ أصلع. وكان يحمل قلمًا بِيَد ورَقًّا بالأُخرى. ففكَّرتُ: لا بُدَّ أنَّه المُكلَّف تسجيل أنشطة الملك اليوميَّة.

وسأل الكاتب مبتسمًا: "سيِّدي الملك، أين كنتَ وماذا كنت تفعل هذا النَّهار؟"

فخطا الملك إليَّ، ورفع يدي برِفق عن الدَّرابزين، وقبَّل ظاهر يدي.

"أين كنتُ؟ ماذا فعلتُ؟ ماذا رأيتُ؟ إنَّ أجمل العذارى هذه قد وقفت بجانبي هذا النهار. فكيف يُعقَل أن أعرف؟"

نِقاط للتأمُّل

حين نأتي إلى المسيح أوَّل مرَّة، نعرفه بصفته مخلِّصنا، الشَّخص الذي يخلِّصنا من الخطيَّة ويُعطينا حياةً أبديَّة. ولكنَّنا غالبًا ما نُخفِق في إدراك كونه الملكَ أيضًا. إنَّه ملك الملوك كلِّهم، وهو يريد أن يكون ليس فقط مخلِّصنا، بل أيضًا سيِّدنا وحبيبنا.

ما إن طلبَت الفتاة قُبلات الملك- إبداءات حُبِّه- حتَّى استُجيبَت صلواتها. إذ تقول الآية: "أدخلني **الملك** إلى حِجاله." فبالنسبة إلى المؤمن الذي يُريد أن تكون علاقته بالربِّ أكثر حميميَّةً، يتمثَّل واحد من أوَّل الإعلانات بأنَّه هو الملك! ليس هو مجرَّد صديق عابر. وليس هو شخصًا نذهب إليه ونطلب نصيحته، ثُمَّ نقبلها أو نرفضها. إنَّه الملك! وهو يُريد أن يكون سيِّدًا على كلِّ مكان في حياة المؤمن.

من شهادة الفتاة، يمكننا أن نرى أنَّها قد ذاقت من الخمر التي يقدِّمها هذا العالَم، ولكنَّها رمَتها وراء ظهرها. فما إن ذاقت من محبَّة الملك، حتَّى اكتشفَت سريعًا أنَّ المقارنة غير واردة!

أيَّة فتاة دنت من حضرة سليمان أحبَّت أن تتنشَّق رائحة عطوره الذكيَّة الغالية. وأيُّ مؤمن قضى مرَّةً وقتًا في حضرة المسيح، و"قُبِّل" بإبداءات محبَّته، يرغب في أن يُجتَذَبَ أقربَ إليه.

إنَّ نشيد الأنشاد، من البداية إلى النهاية، يُبيِّن كيف يجتذبُ الربُّ المؤمن إلى شخصه باستمرار. وهذا الاجتِذاب هو واحدٌ من موضوعاته الرئيسيَّة:

- "اجذبني..." (نش ١: ٤)
- "أدخلني الملك إلى حجاله." (نش ١: ٤)
- "اخرجي على آثار الغنم." (نش ١: ٨)
- "أدخلني إلى بيت الخمر." (نش ٢: ٤)
- "قومي... وتعالي." (نش ٢: ١٠)
- "قومي... وتعالي." (نش ٢: ١٣)
- "صوت حبيبي قارعًا: افتحي لي..." (نش ٥: ٢)
- "لنخرج..." (نش ٧: ١١)

وفي العهد الجديد، قال المسيح لتلاميذه:

"لا يقدر أحد أن يُقبل إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير." (يوحنَّا ٦: ٤٤)

"وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليَّ الجميع." (يوحنَّا ١٢: ٣٢)

"ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتُكم، وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم." (يوحنَّا ١٥: ١٦)

تقول الآية في نشيد ١: ٤،

"اجذبني وراءك فنجري." والمعنى الظاهريُّ هنا أنَّ الفتاة تُريد من الملك أن يجتذبها حتَّى يتيسَّر لكِلَيهما أن يفرَّا معًا بقصد الزواج. غير أنَّ الآية السابقة تذكر عذارى أُخَر. فيمكن أن يُقترح تفسيرٌ ثانويٌّ هكذا: "إن أنت اجتذبتَني، فلن أجريَ أنا وحدي وراءك، بل إنَّ هؤلاء العذارى الأُخَر سيَجرين وراءك معي أيضًا." وفي الحياة المسيحيَّة، يُعمَل على نحوٍ واضح بهذا المبدإ: حين يجتذب الربُّ أحدًا إلى شخصه، سيتبعه آخرون.

ويتمثَّل أحد الأمثلة على هذا المبدإ في حياة مريم ومرثا. فالأصحاح الحادي عشر من إنجيل يوحنَّا يحكي قصَّة إقامة المسيح للعازر من بين الأموات. ولمَّا سمعت مرثا أنَّ يسوع آتٍ، خرجت للقائه لترى لماذا لم يأت في وقت أبكر. ويتحوَّل السَّرد في الأصحاح عن المسيح ليقول لنا: "مضت ودعت مريم أُختها سرًّا، قائلةً: "المعلِّم قد حضر، وهو يدعوكِ" (يوحنَّا ١١: ٢٨). وكان اليهود الموجودون مع مريم في البيت يُعزُّونها، إلاَّ أنَّهم "لمَّا رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت، تبعوها" (يوحنَّا ١١: ٣١). فلا أحد تبع مرثا لمَّا خرجت وحدها لملاقاة يسوع، ولكنَّ مريم اجتذبها الربّ، ولمَّا استجابت، لَحِقَ بها آخرون كانوا في البيت.

أفكار / صلوات

أيُّها الربُّ يسوع، أنت ليس فقط مُخلِّصي بل مَلِكي أيضًا. أُريد أن تملك على كلِّ حيِّز في حياتي. وبالنِّسبة إلى كلِّ حيِّز لستُ راغبًا في التخلِّي عنه، اجعلني راغبًا، لأنَّك إله محبَّة. اجتذبني إلى ذلك الموضع الداخليِّ المقدَّس في أعماق كِياني، إلى روحي حيث يُلاقي البشريُّ الإلهيَّ؛ ودعني أسمعك، ثُمَّ دعني أرَك. أنت هو الملك، وأنا أُريد منك أن تشغل مكانك الشرعيَّ في حياتي باعتبارك الملك والمخلِّص. ربِّ، اجتذبني، فأجري وراءك!

اليوم الثالث

اكتِشافُ الذَّات

نشيد الأنشاد، الأصحاح الأوَّل

"أنا سوداء وجميلة يا بنات أُورشليم، كخيام قيدار، كشُقَق سليمان."

نشيد الأنشاد ١: ٥

رجعتُ إلى البيت مُتأخِّرةً عصرَ ذلك النهار، قبل حلول الظَّلام كما سبق أن وعد الملك. فخرج أهل القرية من بيوتهم وقطعوا مهامَّهم اليوميَّة، ليُشاهِدوا العربة الملوكيَّة تجري عبر القرية وتتوقَّف أمام بيتي. وكان قد انتشر خبر انطلاق الملك بي بعيدًا هذا الصباح.

في أثناء ركوبي إلى البيت، تأمَّلتُ بلا انقطاع في هذه المُقابلة الاستثنائية وغير المُتوقَّعة للملك. وتساءلتُ كيف أُفسِّرها لعائلتي وصديقاتي. وحاولتُ أن أُصفِّيَ ذهني وأضع كلَّ ما حدث توًّا في منظوره الصحيح. ولكنَّ الحقيقة كانت أنَّ كلَّ ما قد جرى كان عجيبًا للغاية بحيث أبى رأسي أن يصفوَ إطلاقًا!

أوقف السائقان العربة أمام بيتي الصغير. ثُمَّ ترجَّل أحدهما واستدار ورفع يده لي. فأمسكتُ بها ونزلت، فرافقني حتَّى الباب. وتواريتُ داخل الغرفة الوحيدة المُظلمة التي يتكوَّن منها بيتُ عائلتي. لم يكُن أحدٌ في البيت. فجلستُ على كُرسيٍّ خشبيٍّ مُخلَّع، وحدَّقتُ إلى الأرضيَّة التُرابيَّة. وكانت ذِكرياتي مُشَّوشة، فأردتُ أن أنتحِب. أردتُ أن أبكي. أردتُ أن أضحك عاليًا. وشعرت بأنِّي خائفة؛ خائفة أن يكون قلبي

المِسكين آخِذًا بالوقوع في حبِّ الملك. غير أنَّ الملوك، حيثُ كنتُ أقيم، لم يكونوا يقعون في حُبِّ فتاةٍ مثلي.

ورفعتُ عينيَّ فرأيت السِّتارة الصغيرة المُهلهلة المتدلِّية أمام نافذة الغرفة الوحيدة. يا لها من مُفارقة مُربكة! هكذا فكَّرتُ، مُستحضِرةً صُوَرًا عن مهاجع الملك وفخامة القصر.

فجأةً، سُمِع طرقٌ على الباب. فنهضتُ وتقدَّمت إلى الباب، ففتحته. فإذا أمامي جماعةٌ من الصَّبايا الأُخَر في القرية، يضحكن بنزق ويترجَّين أن يُدعَين إلى الداخل.

وما كدن يعبرن الباب حتى سألت إحداهُنَّ: "أهذا صحيح؟ هل أُخِذتِ حقًّا إلى مدينة القدس، إلى قصر الملك؟"

أجبتُ: "نعم، هذا صحيح."

"أخبرينا بكلِّ شيء! أخبرينا ماذا رأيتِ، وأين ذهبت، وكيف كانت مرافقتك للملك!"

لم يسعني إلاَّ الابتسام إزاء طيشهنَّ. ورغم كلِّ شيء، هؤلاء كنَّ صديقاتي! فقلت: "اجلسن جميعًا. سأخبركنَّ كيف كانت مرافقتي للملك!"

وطما عليَّ فرحي إذ حكيتُ كلَّ تفصيل استطعت أن أتذكَّره. ثُمَّ قلتُ في فرحي ومرحي: "ابتهِجن معي وافرحن. إنَّ الملك هو كلُّ ما يمكن أن تتصوَّرنه يومًا، وأكثر!"

عندئذٍ مالت إحداهُنَّ إلى الأمام وسألت: "ولكن لماذا أنتِ؟ ماذا يرى فيكِ؟ إنَّ جميع عذارى المملكة الأُخَر تحت تصرُّفه. كان يمكن أن يختار أيَّة واحدة منهنَّ لتكون عروسَه."

أحسستُ أثَر غيرة في صوتها. ونزلت عليَّ الكلمات نزول الصاعقة... عروسًا، عروسه! أكان ذلك حقًّا ما أراده؟

ثُمَّ قاطعَت أُخرى قائلةً: "الملكات جميلات ويلبس ثيابًا ملوكيَّة. بَشَرتُهنَّ ناعمة غضَّة، لأنَّهنَّ يستحممن بالحليب والزُّيوت والعُطور الثمينة. ولكنَّكِ أنتِ تشتغلين دائمًا في العراء تحت حرِّ الشمس. فيداكِ مُتصلِّبتان. وبشرتُك مُلوَّحة ومسفوعة. فكيف يمكن أن يتغاضى الملك عن هذا؟"

آنذاك بات الهزء والتهكُّم والازدراء ملءَ جوِّ الغرفة. وكان في وسعي أن أرى ذلك منبعثًا من عيونهنَّ.

فشعرتُ بالإذلال، وقد عاودني ارتباكي، بل بات أقوى بَعد. لقد عبَّرت أقوالهنَّ الجارحة عن الأفكار التي ما برحت تدور في رأسي منذ أوَّل يومٍ فيه رآني في الحقل. وعند الجهر بها، شكَّلت حقيقة رهيبة. فبدأ قلبي يتصدَّع.

انسدل شعري على وجهي إذ حنيتُ رأسي وبكيت. وفيما انقبض صدري وحاولتُ حبس دموعي، قلت: "صحيح... صحيح! أنا سوداء، كوَبَر المعزى الوسِخ المُغبَّر الذي يكسو خيام الرُّعاة في قيدار. إنَّني أعلم أنِّي لستُ أهلاً ولو للاقتراب من الملك." وتذكَّرتُ يديَّ إذ توقَّفَت العربة في باحة القصر؛ وأفكاري: لا بدَّ أن يعتقدوا أنَّ الملك قد اشترى فتاةً عبدة. غير أنَّه كان في منتهى الكِياسة. فعدَّلتُ جلستي على أفضل نحوٍ في وسعي، ومسحتُ خدَّيَّ، وقلت: "لماذا حدث لي هذا، أمرٌ لن أعلمه البتَّة. ربَّما كان قد نسيَني فعلاً، ولن أرى وجهه أبدًا مرَّةً أُخرى. ولكنْ كان نهارًا رائعًا رغم ذلك."

وما إن نطقتُ بهذه الكلمات، حتَّى بدأتْ أحلامُ اليقظة بشأن اختباري تدبُّ مُجدَّدًا داخل أفكاري. فرأيتُه، ويدُه الفتيَّة المُفعمة بالحماسة ممدودةٌ لي، وعيناه مُتلألئتان ورقيقتان. ورجعت عينا ذهني إلى المكان الذي فيه رأيتُه آخِر مرَّة، حيثُ قبَّلني برقَّة ومودَّة على جبيني. وتذكَّرت سيماء وجهه والشعورَ الذي غمر قلبي. وعلمتُ بالفِطرة أنَّه لا بدَّ أن يكون قد شعر بمثل شعوري أيضًا. إلاَّ أنَّ ذلك كان أمرًا لا يُصدَّق! لماذا عميَ عن عيوبي وضعفاتي؛ لماذا لم يبدُ مهتمًّا بالمكان الذي أنا منه؟ فلسبب يتعذَّر

تفسيرُه، رأى فيَّ جمالاً، لا سوادًا.

وإذ أدركتُ هذه الحقيقة الجديدة، رفعتُ نظري ببطء مرَّةً أُخرى بعد إلى جماعة العذارى. وشقَّت بسمةٌ جدولَ الدموع على وجهي. وأحسستُ اللونَ عائدًا إلى وجهي، كما علمتُ أنَّ قبسًا تلألأ في عينيَّ المُغرورقتَين. فنظَّفتُ حنجرتي بالتَّنحنُح، وتكلَّمتُ بصوتٍ بطيء، لكنْ ثابت، مخاطِبةً الفتيات المحدِّقات إليَّ ببلاهة.

"غير أنَّني أرى الآن شيئًا آخر. كلامُكنَّ صحيح. نعم، أنا سوداء. نعم، يداي خشنتان. نعم، وجهي قد لوَّحته الشمس. ولكنَّني أسألكنَّ هذا السؤال: أيَّة واحدة منَّا ينبغي أن تقول إنَّ أمورًا كهذه ليست جميلة في عينيَ الملك؟ ومَن سيُقرِّر أخيرًا ما هو جميل، وما هو مُخزٍ؟ أأنتُنَّ، هنا في هذه الغُرفة، قاضياتي؟ إنَّ تقرير معيار الجمال ليس بيدي ولا بأيديكُنَّ."

وإذ لمستُ صدق كلماتي، بتُّ أكثر جرأةً بعد. "سأقول لكُنَّ تمامًا مَن يُقرِّر ما هو الجمال. إنَّه الملك بنفسه. نعم، أنا سوداء، لكنَّني أيضًا جميلة. وأنا داكنة البشرة، ولكنَّني أيضًا أخَّاذةٌ في نظر الملك كالستائر الرائعة التي تزدان بها غُرفةُ نومه الخاصَّة!"

نِقاط للتأمُّل

لقد "قبَّلها" الربُّ ثانيةً، فتلقَّت إعلانًا جديدًا: "أنا سوداء، لكنْ جميلة." وعندما يُرينا الربُّ مَن هو- غنيٌّ وعليٌّ ومجيد على نحوٍ فائقٍ جدًّا- ففي ضوء عظمته نحن أيضًا، على غِرار عروس النشيد، سنُدرِك مَن نحن.

إنَّ النبيَّ إشعياء رأى الربَّ، فأدرك في الحال أنَّه إنسان نجس الشفتين وينتمي إلى شعب نجس (إشعياء ٦: ٥). ومع ذلك أدرك أنَّ **الله** كان بصدد اختياره لمهمَّة خاصَّة. وهكذا أيضًا العروس، بعد رؤيتها للملك، علمت أنَّها سوداء، ولكنْ جميلة أيضًا. فهذان الإعلانان يسيران يدًا بيد.

كذلك يعطينا الرسول بولس أيضًا فهمًا جليًّا لهاتين الحقيقتَين المُتكافئتين:

- في أفسس ١: ١، بدأ الرسالة قائلاً: "بولس، رسول يسوع المسيح"، ولكن في الاية ٨ من الأصحاح ٣ يدعو نفسه "أصغر جميع القدِّيسين."
- في ١كورنثوس ١٥: ٩، يدرك بولس رسوليَّته الخاصَّة- وهي دعوة روحيَّة عُليا- رغم أنَّه يرى نفسه باعتباره "أصغر الرسل." ولكن في ٢كورنثوس ١٢: ١١ هو "ليس شيئًا."
- في ١تيموثاوس ١: ١٢- ١٥، شكر الربَّ على حسبانه أمينًا وعلى وضعه في ميدان الخدمة، في حين يعترف في اللحظة نفسها قائلاً: "صادقة هي الكلمة ومستحقَّة كلَّ قبول: أنَّ المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلِّص الخطاة الذين أوَّلهم أنا."
- في رومية ٦ ومواضع أُخرى، قال بولس إنَّنا "في المسيح" و"متَّحدون معه،" ولكنَّه في الأصحاح التالي خاض صراعًا مع إدراك كون الخطيَّة ساكنةً في جسده والشرّ حاضرًا عنده.

كانت التجربة بالنسبة إلى الفتاة أن تحاول جعْل نفسها أجمل في نظر سليمان بحيث تكون مقبولةً عنده، كما سنرى في ما يلي. غير أنَّها كانت جميلة بجُملتها في نظره تمامًا في الحالة التي كانت فيها. فقد كان من شأن حبِّه أن يجتذبها ويُنقِّيها، محوِّلاً إيَّاها إلى ما كان في وسعها فقط، هذا الحين، أن ترجو لو تكونُه.

أفكار / صلوات

ربِّي الكريم، باتِّضاع أعترِف بأنَّك تكتسي النُّور وأنَّك قدُّوس ولا نظيرَ لك. أنتَ نسيجُ وحدِك: الأفضل والذي لا تُضاهى. فلَا مِثلَ لك. وفي نورك، أنا لاشيء. ومعرفتي ذلكِ تؤتيني شعورًا بالعُري وإدراكًا بأنَّني لا أستحقُّ أن أكون غرض عواطفك. غير أنَّك دفعت ثمنًا باهظًا كي تشتريني وتفتديني بدمك الثمين. ففي نظرك، أنا الآن مغفور الخطايا وقدِّيس وبلا لوم. اجعلني دائمًا عالِمًا في اتِّضاع مَن أنا مِن دونك. وفي الوقت نفسه، بيِّن لي باستمرار مَن أنا فيك، ودعني أحيَ في نورك المقتبَس.

اليوم الرابع

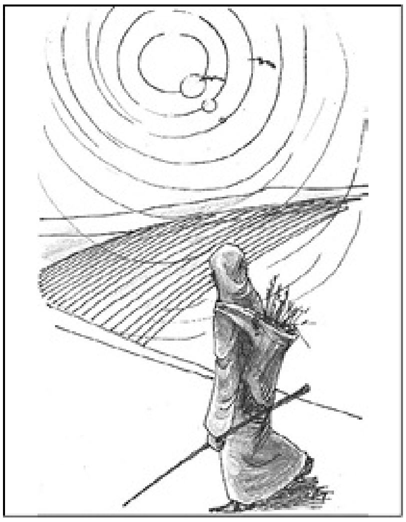

الإنقاذُ من الخِدمة المُلهِية

نشيد الأنشاد، الأصحاح الأوَّل

"لا تنظرن إليَّ لكوني سوداء، لأنَّ الشمس قد لوَّحتني. بنو أُمِّي غضبوا عليَّ. جعلوني ناطورة الكروم. أمَّا كرمي، فلم أنطره."

نشيد الأنشاد ١: ٦

بينما انتظرتُ رجوع الملك، مرَّت الأيام صائرةً أسابيع. لماذا لم يرجع؟ لقد دافعتُ الشَّوق والرَّجاء والخوف. وبتُّ أكثر وعيًا لبشَرتي التي أثَّرَت فيها عوامل الطقس وقسَّاها العمل. إلاَّ أنَّني قلتُ لنفسي: "أنا جميلة. في نظره، أنا جميلة."

من طريق العمل الشاقّ، اقتنَت عائلتي بضعة كروم صغيرة على التلال حول قريتنا. فرجعتُ إلى العمل في أرضي الخاصَّة، الأرض المُقدَّسة التي فيها قابلتُ الملك أوَّل مرَّة. وغالبًا ما ألفيتُ نفسي وحيدة، مستغرقةً في الأفكار ومتوقِّفةً للجلوس بضع دقائق- أو ساعات- دفعةً واحدة، مُهمِلةً عملي فيما تهيم أفكاري رجوعًا إلى اليوم الفاتن الذي سبق أن قضيتُه مع العاهل الذي سبى قلبي.

وإذ رأى إخوتي كسلي، غدَوا باطِّرادٍ قليلي الاحتمال لسلوكي. وقال واحد منهم بحِدَّة: "هيَّا، عندنا عمل كثير ينبغي أن يُنجَز. إنَّنا بحاجةٍ إلى مساعدتكِ لنا في الكروم الأُخرى. إذا اشتغلتِ معنا، فسيعود فرحكِ، وستنسَين غباوتكِ هذه كلَّها في الحلم بأنَّه سيرجع يومًا. يا أُختي، لا يُعقَل أن تصدِّقي حقًّا أنَّكِ

سوف تُصبحين ملكة. دعكِ من هذه الحماقة."

وشيئًا فشيئًا، تحوَّلت تملُّقاتهم إلى تهديدات. ثُمَّ أخيرًا، لم يعُد غضبُهم مقنَّعًا. فأرغموني على مرافقتهم للعمل في الكروم حيث كانوا يشتغلون بكدّ.

كان العمل يتطلَّب جهدًا وإتقانًا. إذ كان ذاك أوانَ تشذيب الكروم وربط الأغصان الباقية بالتعريشات. فاشتغلتُ من الصباح حتَّى المساء. ولكنَّني سُرعان ما تعوَّدتُ الساعات الطويلة والمسؤوليَّات التي ألقَوها عليّ. وشيئًا فشيئًا، ضاعفوا مهامِّي. كذلك أيضًا كُلِّفتُ رعاية جِداء المِعزى. ورغم إرهاق العمل لي، ففي الأخير- بعدٍ رؤيتي بعضَ الثمر وقد بدأ يظهر على أغصان الكروم- بدأتُ أستمدُّ شيئًا من المتعة الضئيلة من كلِّ عنائي. وتدريجيًّا، باتت أشواقي الشديدة إلى الملك مستترة بشيءٍ من الإحساس بالقصد والقيمة من جرَّاء عمل يديَّ.

وبينما كنتُ راجعةً إلى البيت مُتأخِّرةً في عصر أحد الأيَّام بقطيع جِدائي الصغير، قرَّرتُ أن أُعرِّج على كرمي الخاصّ. فلمَّا وصلتُ، أذهلني أن أراه في حالة مُزرية جدًّا. إذ كانت التُّربة عطشى وجافَّة. وقد طلع فيها كثير من الأعشاب الضارَّة. وكانت المساميك التي سبق أن عرَّشت عليها الكروم مائلةً، وقد أُهمِل تدعيمُها. كما كان أنَّ غصون الكرم لم تكُن قد قُلِّمت. وكانت تلك الغصون الجميلة، لكنْ غير المُثمِرة، قد امتدَّت بضراوة في كلِّ اتِّجاه. كما السِّياج الحِمائيُّ المحيط بكرمي قد وُطِئ في عدَّة مواضع. فالغزلان والثعالب وغيرها من المخلوقات قد شقَّت طريقها إليه بحثًا عن طعام.

وإذ كنتُ مُنهكة وجائعة من جرَّاء نهارٍ آخر، طويل وحارٍّ ومُضنٍ، حدَّقتُ إلى الكرم المُهمَل. فنفرَت الدُّموع إلى عينيَّ. لطالما كان هذا مكانَ أحلام رائعًا، ولكنَّه الآنَ مكانُ خراب موحش. لقد ضربَت الشمس رأسي، وانعصر قلبي إزاء فكرة الرجوع إلى إخوتي وأساليبهم الفظَّة.

وظنًّا منِّي بأنِّي كنت وحدي، تكلَّمت بصوتٍ عالٍ: "آه يا كرمي الداعي إلى الرثاء، كم هو مؤلم النَّظر إليك الآن! أنت تذكِّرني بحالة قلبي، وكيف أهملتُ الآمال والأحلام بشأن العثور مجدَّدًا على مَن تحبُّه نفسي. لو تسنَّى لي أن أراه مرَّةً واحدةً بَعد، لسألتُه أين يرعى قطيعه ويُربِضه في حرِّ النهار."

وإذا بصوت مألوف يُقاطعني من ورائي: "اسأليني، فأقولَ لكِ!"

فاستدرتُ بسُرعة، وإذا به هُناك! وقد كان مرتديًا تُنكًا بلا كُمَّين، بسيطًا لكنْ أنيقًا، ومنتعلاً صندلاً.

فهتفتُ: "أنت هُنا!"

"لقد عرَّجتُ على هذا المكان عدَّة مرَّات منذ رأيتُكِ آخِر مرَّة، راجيًا أن ألقاكِ. ولكنْ لمَّا لم تظهري، ورأيتُ أنَّ كرمك قد علاه العُشب الضارُّ والشَّوك، اعتقدتُ أنَّكِ لا بدَّ أن تكوني قد رحلتِ. وكنتُ قد بدأت أحسب أنَّكِ رحلتِ إلى غير رجعة. غير أنَّني قرَّرتُ أن أعود مرَّةً أخرى بعدُ اليوم."

فرددتُ قائلةً: "أنا مُحرَجة جدًّا لأنَّك وجدتني على هذه الحال المزرية. رجاءً، لا تحدِّق إليَّ. عندما ينظر إليَّ الآخرون من أهل قريتي، أريد أن أختبئ منهم أيضًا. حتَّى إنَّني أحيانًا أُريد أن أتحجَّب وأُغطِّي وجهي كنائحة بحيث لا تلاحظ أنت، وأيُّ شخص آخر يراني، الخواء الذي أُحِسُّه في داخلي."

وقال بلُطف: "في وسعي أن أقول إنَّكِ قد دأبتِ في العمل الشاقّ. أنا أعلم أنَّكِ قد افتقدتِني. أنتِ مُتعَبة. وأنتِ جائعة. وأنتِ عطشانة. هذا شيءٌ لا يُستحى به. غير أنَّكِ لم تقصِدي هذا المكان في غضون مدَّة طويلة. لو أنَّكِ رجعتِ في وقتٍ أبكر، لوجدتُكِ وانطلقتُ بكِ مرَّة أُخرى، لأنَّني لم أستطع أن أكفَّ عن التفكير فيكِ. فبالنسبة إليَّ، ما زلتِ الأجملَ بين جميع النساء!"

نِقاط للتأمُّل

بالنِّسبة إلى المؤمن بالمسيح، "بنو أُمِّي" يُمثِّلون المؤمنين الآخرين في عائلة **الله**، أُولئك الذين هم إخوتنا وأخواتنا في المسيح.

وأغلب الأحيان، يكون الأشخاص الذين يحبُّون الربَّ حقًّا ويجرون وراءه هم الأكثرَ عُرضةً لأنْ يستغلَّهم بعضُ الذين يشغلون مراكِزَ نفوذ في الكنائس أو المُنظَّمات المسيحيَّة. ففي وسع القادة أن يُميِّزوا مَن هم غيورون وراغبون حقًّا في خدمة الربّ، وسوف يُجنِّدونهم ويجعلونهم ينهمكون في ما يبدو أنَّه خدمة مسيحيَّة أصيلة. ولكنْ بعد مدَّة من الزَّمن، يمكن أن يؤدِّي هذا الأمر إلى فقدان الفرح، وخيبة الأمل، والإرهاق، والجوع الروحيّ، وأحيانًا إلى الاحتراق النفسيّ. فكلُّ نشاطٍ يستهلك الوقت يمكن أن يصير إلهاءً مربكًا، مُسبِّبًا لمن يحبُّ **الله** إهمالَ الاعتناء بحياته الروحيَّة الخاصَّة.

وعندما يحدث هذا، يكون أوانُ الرجوع إلى المحبَّة الأُولى.

ونرى هذا في الرسالة إلى كنيسة أفسُس، في سفر الرؤيا:

"أنا عارفٌ أعمالكَ وتعبَك وصبرَك، وأنَّك لا تقْدِر أن تحتملَ الأشرار، وقد جرَّبْتَ القائلين إنَّهم رُسُلٌ وليسوا رُسُلاً، فوجدْتَهم كاذبين. وقد احتملتَ ولكَ صَبْرٌ، وتَعِبْتَ من أجل اسمي ولم تَكِلّ. لكن عندي عليك: أنَّك تركْتَ محبَّتَك الأُولى. فاذْكُر من أين سقطْتَ وتُبْ، واعمَلِ الأعمالَ الأُولى، وإلاّ فإنِّي آتيك عن قريبٍ وأُزحزِحُ منارتَكَ من مكانها، إنْ لم تتُبْ. ولكن عندك هذا: أنَّك تُبغِض أعمال النِّقولاويِّين التي أُبغِضُها أنا أيضًا" (رؤيا ٢:٢١- ٦).

كان هنالك أُمور كثيرة تقوم بها كنيسة أفسس بصورة حسنة:

- كان المؤمنون منخرطين في خدمة الربّ.
- كان لديهم مُثابرة.
- كانوا يملكون العزيمة والقوَّة لعدم التساهُل مع الأردياء في وسطهم.
- واجهوا أُولئك الذين زعموا بأنَّهم رسل وقادة، إلاَّ أنهم لم يكونوا كذلك.
- احتملوا الاضطهاد بصبر.
- أبغضوا الأمور التي يبغضها الربُّ.

ومع ذلك كانوا على حافة إزالة شهادتهم كلِّيًا. أمَّا السَّبب المذكور فهو أنَّ هذا الأمر كان مسألة محبَّة. فقد كانوا يُراعون الشكليَّات ويقومون بجميع الأمور التي بدت صائبةً حسب الظاهر، غير أنَّهم كانوا قد تركوا محبَّتهم الأُولى.

إنَّ الخدمة ينبغي أن تأتي نتيجةً لقضاء وقتٍ مع الربّ، وبالتالي استجابةً لِما يكونُ هو فاعلَه في داخلك.

فليس المهمَّ كم يمكننا أن نعمل لأجل **الله**، بل كم يستطيع **الله** أن يُنجزه عامِلاً فينا وبواسطتنا.

مؤسَّسات كثيرة اليوم أنشأها الربُّ في البداية، ولكنَّها الآن الحُيود البحريَّة المُرجانيَّة المَيْتة للدِّين المسيحيّ: امتِدادٌ زاحِف لشيءٍ كان حيًّا في ما مضى، ولكنَّه الآن مَيْت.

ولكنَّ هنالك رجاءً لأُولئك الذين يشعرون بأنَّهم مضغوطون لتعهُّد مقدار مُفرِط من المسؤوليَّة الروحيَّة، مع أنَّهم يعلمون داخليًّا أنَّهم يعملون في فراغٍ دائم. فإنَّ آخرين قد سلكوا هذا السبيل الموحش. وقد كانت عروس النشيد واحدةً منهم.

أفكار / صلوات

ربِّي يسوع، إن كان ثمَّة أيُّ شخص أو أيُّ شيء يُلهيني عن معرفتك؛ إن كانت ثمَّة أيَّة خدمة أُؤدِّيها معتقدًا أنَّها ستُخلِّف لديك انطباعًا حسنًا، ولكنَّها جعلت قلبي يبرد؛ فإنِّي أطلب منك أن تضع إصبعك عليها. اكشِفها لي، ورُدَّني إلى محبَّتي الأُولى. استَبدِل بأيَّة أصنام من نشاط الخدمة الفارغ والعمل المسيحيِّ الخاوي اتِّباعًا شَغِفًا لك وحدك.

اليوم الخامس

العُثور على القطيع الحقيقيِّ ورُعاةِ النِّعمة

نشيد الأنشاد، الأصحاح الأوَّل

"أخبِرني يا مَن تحبُّه نفسي، أين ترعى، أين تُربِض عند الظَّهيرة. لماذا أنا أكون كمقنَّعة عند قطعان أصحابك؟"

"إن لم تعرفي أيَّتها الجميلة بين النِّساء، فاخرُجي على آثار الغنم، وارعَي جِداءكِ عند مساكن الرُّعاة."

نشيد الأنشاد ١: ٧ و٨

فكَّرتُ: أيَّتها الجميلة بين النِّساء! هل يُعقَل أنَّ كلماته كانت صادقة؟

وإذ تعزَّيتُ واطمأننتُ بأنَّ أفكاري بشأن حبِّ الملك لي لم تكن أُكذوبة، فتحتُ له قلبي وطلبتُ مشورته: "عيناك تنظران أعماقي. وأنت تعلم كم أحتاج إلى الرَّاحة والغِذاء لنفسي، كحالِ جِدائي هذه. فقُل لي، ماذا ينبغي أن أفعل؟ أتعلم أين يمكنني، أنا وجِدائي، أن نجد مرعًى وظلاًّ كي نستلقي في حرِّ النَّهار المُحرِق؟"

فأجاب بصوتٍ رقيق عطوف: "أنتِ مثل نعجة أساء رُعاتُها معاملتها. فهناك أُولئك الذين يتَّصفون بالقسوة والتطلُّب، مَن هم رعاة بالاسم فقط. وهناك أُولئك الذين يتشبَّثون تشبُّثًا شديدًا بالقوانين والأُصول كي يفرضوها على الآخرين، غير أنَّهم هم أيضًا يُدعَون رعاة. ولكنَّ لديَّ رُعاتي الخاصِّين الجديرين بالثِّقة، وهم يرعَون قطيعي في مكان غير بعيد من هنا. إنَّهم ليسوا مثل إخوتك الذين يفتقرون

إلى الرحمة والنعمة، والذين يُثقَلون حِمل مَن ينبغي أن يكونوا مُعتنين به ويُجهِدونه بالعمل. أمَّا رُعاتي فقد تلقَّوا تدريبًا جيِّدًا. إنَّهم رُعاة صالحون. مِنهم مَن هو في مُقتبل العمر، ومِنهم مَن هو كبير السنّ، ولكنّهم مملوؤون حكمة ونعمة تجاه مَن يلتمسون معونتهم."

سألتُه: "من أين طلع هؤلاء الرعاة الصالحون؟ وكيف يُعقل أن تستأمنهم؟"

"هل تذكُرين أعظم الرُّعاة جميعًا، أبي داود؟ لقد كان رجُلاً في حضنه محبَّةٌ لكُلِّ حَمَل. وكان مستعدًّا للمُخاطرة بحياته مُقاتلاً الأسود والدببة بيدَيه المجرَّدتين لحماية القطيع. فالرُّعاة الذين أتكلَّم عنهم علَّمهم أبي ورعاة آخرون شكَّل هو حياتَهم. ولكنَّ أبي تلقَّى تعليمه من راعٍ أعظم بَعد، من ذاك الذي دعاه "الربّ". فقد كان **الله** هو مَن لبَّى احتياجاتِه، ووفَّر له مراعيَ خضرًا ومشربًا بقرب المياه الرائقة، وردَّ نفسَه، وهداه سُبل البرِّ، ورتَّب أمامه مائدة مُقابِل أعدائه، وسار معه في الوادي الذي فيه يُقيم الموت. فإذا كان ممكنًا أن يتعلَّم البَشر الاعتناء بمخلوقاتٍ بسيطة وبكماء كالغَنَم، فكم بالأحرى إذا كان لهم قلبُ الراعي الذي كان لداود ولربِّ داود، سيعتنون بأولئك الذين خُلقوا على صورة **الله** بعينها؟

وسألتُه ثانيةً: "هلاَّ تصطحبني إليهم!"

فأجاب الملك: "ها هي الظِّلال تطول مؤذِنةً باقتراب المساء، وعليَّ أن أرجع إلى المدينة. ولكنْ في الصباح، عند بزوغ الفجر، قومي واجمعي قطيعكِ ووجِّهيه نحو مدينة القُدس. فسرعان ما تُدرِكين آثارَ غَنَمي. فاتبعي تلك الآثار حتَّى تبلُغي خيام الرُّعاة.

"في طريق رجوعي إلى القصر، سأقول لهم أن يستعدُّوا لقدومكِ. إنَّهم سيُرحِّبون ويعتنون بكِ. سيُطعمونكِ أقراص الزَّبيب فتعود إليكِ قُوَّتكِ. سيُوفِّرون لكِ الرَّاحة ويدلُّونكِ أين ترعَين جِداءكِ. إنَّني سأرجع لأُقابلكِ هُناك. لن يطول غيابي."

نِقاط للتأمُّل

إنَّ خدمتنا للربِّ بقوَّتنا الخاصَّة لا يمكن أن تؤدِّيَ إلاَّ إلى الإرهاق والخواء. فعندما ندرك فعلاً أنَّنا كنَّا نقوم بذلك، يكون أوانُ الرُّجوع إلى مكان راحة ووجدان استمتاع وقوَّة في المسيح نفسه. إنَّه أوان اتِّخاذ قرار بالكفِّ عن العمل لأجل الربِّ والتحرُّك في اتِّجاه السَّماح للربِّ بأن يعمل فيك وبواسطتك.

على الرُّغم من حقيقة كون الفتاة مُتعَبة وجائعة ومُتلمِّسة طريقها للظَّفر براحةٍ لنفسها، كانت ما تزالُ الأجمل بين النِّساء في نظر الملك. وكلَّ مرَّةٍ فيها خاطبَها في النشيد كلِّه- مهما كانت مرحلة النموِّ الروحيّ التي هي فيها- رآها دائمًا باعتبارها جميلتَه، كاملته.

- "الجميلة بين النساء." (نش ١: ٨)
- "ها أنت جميلة، يا حبيبتي." (نش ١: ١٥)
- "قومي يا حبيبتي، يا جميلتي وتعالي." (نش ٢: ١٠)
- "قومي يا حبيبتي، يا جميلتي وتعالي." (نش ٢: ١٣)
- "ها أنتِ جميلة يا حبيبتي، ها أنت جميلة!" (نش ٤: ١)
- "كلُّكِ جميل يا حبيبتِي ليس فيك عيبة." (نش ٤: ٧)
- "ما أحسن حبَّكِ يا أختي العروس!" (نش ٤: ١٠)
- "افتحي لي يا أُختي، يا حبيبتي، يا حمامتي، يا كاملتي!" (نش ٥: ٢)

- “أنت جميلة يا حبيبتي كترصة، حسنة كأورشليم، مرهبة كجيش بألوية.” (نش ٦: ٤)
- “واحدةٌ هي حمامتي كاملتي.” (نش ٦: ٩)
- “ما أجمل رجليكِ بالنَّعلين يا بنت الكريم!” (نش ٧: ١)
- “ما أجملكِ وما أحلاك أيَّتها الحبيبة باللَّذَّات!” (نش ٧: ٦)
- أُحلِّفكنَّ يا بنات أُورشليم ألاَّ تُيقِّظنَ ولا تُنبِّهن الحبيب حتَّى يشاء (الحبيبة حتَّى تشاء).” (نش ٨: ٤)

عندما ينظرنا **الله**، يرانا مغسولين بدم المسيح الذي جعلنا على نحوٍ كامل أبرارًا وأطهارًا في عينيه. إنَّه يرانا “في المسيح” (١كورنثوس ١: ٣٠). وهو ينظر إلينا ويحبُّنا تمامًا بالطريقة التي بها ينظر إلى ابنه الكريم ويحبُّه. فنحنُ في عِداد العائلة السماويَّة.

وحين يتكلَّم الملك إلى عذرائه، لا يظهر أيَّ أثر للخيبة أو الإدانة. فهو لم يكُن غاضبًا عليها كما كان “بنو أمِّها” غاضبين. ولم يكن مَعنيًّا فوق الحدِّ بعيوبها. ولم يحطَّ من قدرها، ولا قارنها بالأُخريات. لقد كانت فريدة... ومحبوبة.

إنَّ الربَّ يحبُّنا بشغف شديد كما نحن تمامًا. لقد كوَّن كلَّ واحد منَّا في بطون أُمَّهاتنا. وقد امتزنا عجبًا في خَلقنا. ووُهِبنا شخصيَّات ومواهِب ومَلَكات فريدات، مُصمَّمة بجُملتها كي تُعظِّمه على نحوٍ فريد.

في المزمور ٣: ٣، قال المزاميريُّ: “أنت، يا ربُّ... مجدي ورافع رأسي!” فالربُّ يسوع لا يريد لنا أن نكون مُتمرِّغين بالتُّراب، ولا ناظرين إلى تحتُ في خزي. إنَّه يريد أن يضعَ إصبعه تحت ذقن كلٍّ منَّا، فيرفعَها ويجعلنا ننظر وجهه، حيث سنسمع الكلمات: “كلُّكِ جميل، يا حبيبتي، ليس فيكِ عيبة.”

فالمؤمن المتعَب الجائع الذي طالما كان تحت تأثير رُعاة قساة، خادمًا الربَّ في مُحيط من القوانين والأحكام المُلزِمة والقوانين الناموسيَّة، يُعوِزه أن يرى أنَّ لدى الربِّ رُعاةَ نعمة خاصِّين به. وله قطيعه الخاصُّ المُكوَّن من أُولئك الذين يتبعون الحمل أينما ذهب (رؤيا ١٤: ٤).

هؤلاء الرُّعاة قد يكونون على قيد الحياة أو قد يكونون راحلين. ورُبَّما لن تُقابلهم أبدًا في هذه الحياة. غير أنَّهم تركوا آثارهم لكي تتبعها أنت. ففكِّر في بعض العمالقة الروحيِّين الذين- على مرِّ العصور- تركوا مكتوباتهم للأجيال الآتية حتَّى تغتذي بها: أُناس مثل جان بنيان ومدام غيون وفنيلون والأخ لورنس ووتشمان ني، وعشرات غيرهم. إنَّ رعاة النِّعمة الحقيقيِّين هم أُولئك الذين يستطيعون أن يأخذوا بأيدي الآخرين في اختبار اتِّباع الروح القدس، والراحة في المسيح، والتغذِّي به.

أفكار / صلوات

كانت مريم بنتُ بيت عنيا شخصًا تغذَّى بالمسيح إذ جلست عند قدمَيه (لو ١٠: ٣٩). وبطرس تعلَّم الدرس أنَّه قبل أن يخدم الربَّ ينبغي له أوَّلاً أن يسمح للربِّ بأن يخدمه بغسل رجليه (يوحنَّا ١٣: ٥ و٦). فقبل أن نتمكَّن من خدمة الآخرين على نحوٍ وافٍ، نحتاج لأن يُنعِشنا الربُّ ويملأنا، حتَّى يكون لنا- من ذلك الملء- ما نُعطيه.

ربِّ، اهدِ نفسي بواسطة إرشاد روحك إلى أُولئك الذين هم رُعاة نعمة، لكي أتعلَّم أين أجد الراحة والغذاء فيك. اهدِني إلى قطيع مؤمنين ترعاهم أنت، حتَّى يُتاح لي بمعيَّتهم أن أتبعك أينما تمضي.

أشكرك لأنَّك لست فقط الراعي الصالح، بل أنت أيضًا المرعى والباب الذي به أدخل. أنت هو مَن

أتغذى به. فأنعِشني، واغسل رجليَّ من الوسخ الذي علق بي من جرَّاء السَّير في هذا العالم، واملأني. شكرًا لك على كوني- حتَّى في تلك الأوقات التي فيها أُكافح للعثور عليك- ما أزال، وسأبقى دائمًا، جميلتك!

اليوم السادس

الوَعدُ بالتَّحوُّل

نشيد الأنشاد، الأصحاح الأوَّل

"لقد شبَّهتُكِ يا حبيبتي بفرس في مركبات فرعون. ما أجمل خدَّيكِ بسموط، وعنقكِ بقلائد! نصنع لكِ سلاسل من ذهب، مع جُمان من فضَّة."

"ما دام الملك في مجلسه أفاح نارديني رائحته."

نشيد الأنشاد ١: ٩- ١٢

في تلك اللَّيلة، أعددتُ صُرَّة قُماش صغيرةً فيها بعضٌ من أشيائي: بدلة ثياب، مُشط، فرشاة، شيءٌ من الخُبز والتين المجفَّف آكلُه على الطريق. وقد قلِقَت عليَّ والدتي، غير أنِّي قلتُ لها ألاَّ تقلق، مطَمئنةً إيَّاها بأنِّي سأكونُ في مأمن.

وفي صباح الغد، نهضتُ قبل شروق الشمس. فسمعَت أُمِّي حركتي، وقامت لترى هل من شيءٍ أحتاج إليه. وتوجَّهتُ صوب الباب وفتحتُه قليلاً حتَّى يتسنَّى لي أن أرى وجهها في الغرفة المظلمة، إذ كانت أشعَّة الشمس قد بدأت تُنير الآفاق.

قالت أُمِّي بابتسامة مُرتعشة: "عندي شيءٌ أودُّ إعطاءكِ إيَّاه لتأخُذيه معكِ في رحلتكِ." كنتُ قد أخبرتُها بأنَّ الملك وعد بمُلاقاتي لدى انضِمامي إلىِ رُعاته، ومع أنَّها لم تكد تُصدِّق ذلك فقد طفحَت عيناها أملاً من جهتي. وإذ فتحَت يديها، أخرجَت سِمطي خرَز صغيرين، وقُرطَين مُدلَّيين. وقد كانت هذه كنوزها

اليتيمة. ثمَّ قالت: "خُذي هذه. ليست كثيرة، ولكنَّها كلّ ما أملك. أريد أن تحوزيها لأجل هذه المناسَبة الخاصَّة."

شكرتُها، ووضعتُ تلك الأشياء في صُرَّتي. وإذ عانقتُها عناقًا طويلاً وقبَّلتُها قبلةَ الوَداع، انسلَلتُ من الباب وتوجَّهتُ إلى الحظيرة، حيثُ كان قطيعُ جِدائنا الصغير ما يزالُ نائمًا.

التقطتُ عصايَ المُسنَدة إلى سياج الحظيرة الخشبيّ، وعلَّقتُ على كتفي صُرَّة القُماش بواسطة طوقها. وشعرتُ بالنَّشاط إذ فتحتُ باب الحظيرة، وأطلقتُ الجِداء، ومشَيتُ وراءها تحت الشَّمس المُشرقة على الطريق التُّرابيِّ المؤدِّي إلى مدينة القُدس.

عند الضُّحى، صادفتُ أخاديدَ آثارٍ عريضةً تُقاطِع الطريق. فوثب قلبي. لقد علمتُ أنَّه لا بدَّ أن أكون على وشك العثور على الرُّعاة. وإذ مِلتُ عن الطريق إلى اليسار، سارعتُ خطوي وسُقتُ القطيع الصغير أمامي، واكزةً بعصايَ بعض الجداء الشاردة وكزًا خفيفًا. وبعد نحو نصف ساعة، وصلتُ إلى حقلٍ كبير مكشوف بين تلَّتين قليلتَي الانحدار، منثورٍ عليهما قليلٌ من الصخور وشجر الزيتون البرِّيّ. هنالك في الحقل كان بحرٌ من الغنم والمِعزى، حملقتُ إلى أعدادها مشدوهةً. لا شكَّ أنَّ ذلك كان قطيع الملك الخاصّ.

لمَّا صرتُ أقرب، عددتُ فوق عشر خِيَم تخصُّ الرُّعاة. ورآني هؤلاء آتيةً واحدًا فواحدًا، من أماكن شتَّى في الحقل، فخرجوا للتَّرحيب بي.

دلَّني الرُّعاة على المكان الذي فيه أترك قطيعي، ثُمَّ اصطحبوني إلى الخيمة التي سأُقيم فيها. وكانوا قد وضعوا جرَّة ماء وطاسًا ومنشفة على طاولة صغيرة داخل الخيمة، بقُرب حشيَّة القشّ التي سأنام عليها. وبعدما انتعشتُ قليلاً، انضممتُ إليهم لتناوُل غداء سبق أن أعدُّوه: كعك زَبيب، تُفَّاح، تين مُجفَّف، لحم حملان وطيور، خُبز ساخن.

قعدتُ أُحدِّثهم طيلة العصر. كانوا رِفقة مُسِرَّة، رجالاً لُطَفاء لديهم قصص كثيرة يحكونها. وتعلَّمتُ الكثير عن طريقة اعتنائهم بالخراف والجِداء، كيف يُطعِمونها ويعالجون جروحها. غير أنِّي أيضًا سألتُهم عن الملك، فبادروا إلى إطلاعي على المزيد بشأن خُلقه وطُرقه. واستفسرتُ منهم متى يُتوقَّع قدومُ الملك. فأعلموني أنَّه سيأتي لرؤيتي في الغد.

تناولنا العشاء ذلك المساء حول نار سَمَر بين الخِيَم. وكان الليلُ باردًا، وسماء الليل مظلمة وصافية ومُرصَّعة بالنجوم. ولمَّا حان وقت الإخلاد إلى النوم، أشعلتُ فتيلةَ سِراج زيت صغير بعود مُشتعل الطرَّف. ثمَّ استأذنتُ، وحملتُ السِّراج على كفِّ يدي الممدودة، واستترتُ به راجعةً إلى خيمتي. حتَّى إذا صرتُ في الدَّاخل، لم أكُن مُستعجِلة أن أنام. وطوال ما بدا فترةً طويلة، رحتُ أذرعُ مُقامي الوقتيَّ جيئةً وذُهوبًا، مترقِّبةً قدوم الملك ومُتأمِّلةً اتِّساع الخيمة ورفاهية حيازتها كلِّها لنفسي، على خلاف بيت الغرفة الواحدة الضَّيق الذي كنتُ أُقيم فيه مع إخوتي وأخواتي.

استيقظتُ لدى بزوغ الفجر، وعند أوَّل طرفة من أجفاني شرعَت الإثارة تغمر قلبي. اليومَ سأرى الملك مرَّةً أُخرى بعد! فنهضتُ، وارتديتُ ثيابي على عَجَل، وخرجتُ لتناوُل فَطور خفيف مع الرُّعاة. ثمَّ رجعتُ إلى خيمتي، فاغتسلتُ وأخرجتُ من صُرَّتي الثَّوب الجميل الوحيد الذي كان في حوزتي، ولبستُه بسرعة. ورششتُ قليلاً من عطرِ أُمِّي على كلِّ ناحية من عُنقي ووراء أُذنيَّ. ثُمَّ خصَّصت وقتًا فائقًا للعادة لتمشيط شعري، متيقِّنةً بأنَّ كلَّ خُصلة منه باتت في مكانها الصحيح. بعد ذلك رفعتُ سِمطَي الخَرَز الصغيرين فوق رأسي وجعلتُهما يتدلَّيان حول عُنقي. أخيرًا علَّقتُ القُرطَين المُدَلَّيين في أُذنيَّ.

تلك اللَّحظة، سمعتُ هُتافًا عاليًا من الرُّعاة: "هوذا الملك آتٍ!"

فسوَّيتُ هِندامي، وخرجتُ من خيمتي لمُلاقاته. وكان في وسعي أن أراه آتيًا من بعيد. كان يمتطي

جوادًا أبيض مُطهَّمًا، مخلوقًا رائعًا مُرتَّبًا بإتقان. وكان للجواد سَرجٌ من جلدٍ مرصَّعٌ بتشكيلة من الجواهر الزاهية، وكِساءٌ مُتعدِّد الألوان تتدلَّى منه عند العُنق شراريبُ مُتمايلة مضفورة بحجارة كريمة. وقد حفَّ بالملك رجُلان ملوكيّا المظهر على السَّواء لم أعرِفهما.

وما إن وصلوا، حتَّى ترجَّل الملك بسُرعة عن جواده في نفثةٍ من الغُبار ومشى نحوي مباشرةً. وقال بابتسامة عريضة: "تحيَّاتي، أيَّتها الصبيَّة الجميلة! هل أكرم الرُّعاة وفادتكِ؟"

فأجبتُ، مبادِلةً إيَّاه الابتسامة بمِثلها: "نعم، سيِّدي الملك، لقد فعلوا ذلك. وقد تعلَّمتُ منهم الكثير فعلاً، لا عن الجِداء والخراف فقط، بل عنك أيضًا!"

وسأل: "هل تشعرين بالرَّاحة؟ وهل عادت إليكِ قوَّتكِ؟"

قلتُ: "نعم، سيِّدي الملك. إنَّني أشعر تقريبًا بأنِّي قويَّة مثل ذاك الجواد الملوكيِّ المُطهَّم الذي كنتَ تمتطيه!"

فالتفت ليُربِّت عُنق جواده، قائلاً: "إذًا لا بُدَّ أنَّكِ وُهِبتِ قوَّةً طبيعيَّة عظيمة. وإذ عاد ينظر إليَّ، أردف: "هذه فَرَسي المُمتازة، رئيسةُ الأربعين ألفًا التي أملكها. هذا الحيوان الجميل كان يخدم في طليعة مجموعةٍ من الجياد التي تجرُّ عربة فرعون الملوكيَّة. عادةً، أفضلُ الأحصِنة من مصر يُدفَع فيها ثمنٌ غالٍ يبلغ مئة شاقل من فضَّة. أمَّا لقاءَ هذه المطيَّة الرائعة، فقد دفعتُ مئة وخمسين شاقلاً. فهي ليست مُثمَّنةً من أجل جمالها الطبيعيِّ فقط، بل إنَّها مُروَّضة ومدرَّبة أيضًا، وهي مُذعِنة لكلِّ رغبةٍ أبتغيها. لقد خُلِقنا أحدُنا للآخر. وأنا أحترِمها وأُحسِن معاملتها، كما تُبادِلني هيَ بالمِثل."

ثُمَّ اقتربَ إليَّ قال: "في نظري، حبيبتي، أنتِ مثل فَرَسي وسطَ مركبات فرعون."

فاحمرَّ وجهي. وأدام الملك النَّظر إليَّ، فصارع الارتباك الإثارة في أعماق كِياني.

كان شعري مرفوعًا فوق رأسي، مُظهِرًا عظم وجنتيَّ البارز. فإذ حملق إليهما، قال مُعلِّقًا برِقَّة: "خدَّاك جميلان، وقُرطاكِ يُضرِمان النَّار فيهما."

وإذ نظر بعدئذٍ إلى سِمطَي الخرَز اللذَين زيَّنتُ عُنقي بهما، قال: "عُنقكِ أيضًا حلوٌ. ولكنْ سنصنعُ لك قلائدَ من ذهب مع حبَّاتٍ من فِضَّة!"

ثُمَّ رجعَت عيناه إلى عينيَّ، فأدركتُ أنَّ حُلايَ- رغم إطرائه الكريم لها- لم تكُن هي ما جذبه إليَّ. لقد كان ينظر إليَّ أنا، لا إلى الأشياء التي تزيَّيتُ بها كي أَسِرَه.

انهمك الرُّعاة في إعداد طعام للملك وللضَّيفين الآخرين، ولي. وإذا بواحد منهم يطلُّ من الخيمة التي كنَّا سنأكل فيها، ويومئ للملك بأنَّ الوليمة باتت جاهزة. فمدَّ لي الملك ذراعه، فأمسكتُ بها، واصطحبني إلى داخل الخيمة.

اتَّكأنا على أريكتَين مُنفصلتين مُتقابلتَين. وكانت بيننا، إنَّما في مُتناوَلنا، بضعُ طاولات منخفضة عليها كثير من الطعام والشراب.

ولَشدَّ ما أدهشني أنَّني شعرتُ بكثير من الرَّاحة في حضرة الملك وهذين السيِّدين المميَّزين! وقد كان حديثُنا أشبهَ بوليمة: وافرًا، وافيًا، مُحفِّزًا، مُنكَّهًا بالضَّحِك. فمع أنَّني من منزلة اجتماعيَّة دُنيا، جعلوني أشعر كما لو كنتُ في بيتي بينهم.

وبينما كُنَّا نُنهي وجبتَنا، هبَّت إلى داخل الخيمة نفثةُ ريح خفيفة باتِّجاه الملك سليمان. فبدا أنَّ الريح اللطيفة انتزعت عبير العِطر الذي على عُنقي وحملَته إليه. وإذ رفع الملك نظرَه، أغمض عينيه وتنشَّق الرائحة الطيِّبة. ثُمَّ التفت إليَّ بنظرة مُتوانية وقال: "عبيرُ عطرِك مُبهِج، لا يمكن أن يُضاهيَه أيُّ شَذًا مُنبعِث من هذه الوليمة التي تناولناها توًّا. إنَّ رائحة عطرِكِ هي الفُضلى إلى أبعد حدّ، وهي التي

أستمتع بها أكثرَ الكل!"

نِقاط للتأمُّل

إنَّ تشبيه سليمان للفتاة بفَرَسِهِ وسط مركبات فرعون كان تعبيرًا شِعريًّا عن القول إنَّها، رغم كونها تجري وراء الملك، كانت ما تزال تخدِم بقوَّتها الطبيعيَّة الخاصَّة. فلكي تكون الفرس نافعةً ينبغي أن تُروَّض وتُدرَّب، بحيثُ تُستخدم جميع طاقاتها وتُوجَّه حسنًا.

لقد أدركت الفتاة أنَّها كانت سوداء، لكنْ جميلة، وأنَّ الشمس قد سفعَتها. وفي نظرها، كان جمالها يحتاج إلى تحسين لتكون مقبولةً عند الملك، ولذلك تزيَّنت بحُلاها وعقدها الخاصَّة المصنوعة باليد.

ونحن نميل أغلب الأحيان إلى أن نعتقد أنَّه لا بدَّ من وجود شيءٍ مّا يمكننا أن نفعله خارجيًّا فيجعلنا مقبولين ومَرضيِّين عند الربِّ أكثرَ ممَّا نحنُ عليه أصلاً. ولكنْ ما من شيء يمكننا أن نفعله كي نجعل الربَّ يحبُّنا قطرةً واحدةً أكثر ممَّا يحبُّنا فعلاً.

فحضور مزيد من الاجتماعات الروحيَّة، وقضاء أوقات خلوة تعبُّديَّة أطول كلَّ صباح، والانهماك في مزيدٍ من دراسة الكتاب المقدّس، والصلوات والأصوام كلَّ أسبوع، وزيادة التقدمات المادِّيَّة أو العشور، والخدمات الاجتماعيَّة، والجولات التبشيريَّة، والاجتهاد في إطاعة الوصايا العشر... لا شيء من هذه كلِّها يمكن أن يُكسِب المرء مزيدًا من محبَّة الربِّ له.

لقد لاحظ الملك سموط الخرَز لدى الفتاة، ولكنَّه وعدها أيضًا بأن يستبدل بها شيئًا آخر من صُنعه: "سلاسل من ذهب، مع جُمان من فضَّة." والجمع في قوله "نصنع" يُشير هنا إلى **الله** المُثلَّث الأقانيم. أمَّا الذهب فيمثِّل الطبيعة الإلهيَّة. وأمَّا الفضَّة فتُمثِّل الفداء.

إنَّ العهد المقطوع للمؤمن بالمسيح هو أنَّنا سنُزيَّن بجمالٍ لا ينتج من الجهد الذاتيّ. فجمالُنا سيكون نتيجةً لطبيعة **الله** السماويَّة وطبيعة المسيح الفدائيَّة، مصنوعًا في داخلنا بعمل الروح القدس المُحوِّل.

وبلُغة العهد الجديد، فإنَّ العروس بدأت ترى وعود العهد الإلهيِّ الجديد. فلو أتمَّ امرؤ مُتطلَّبات الناموس، لكان يُبارَك. ولكنَّ كلَّ من عصى، أو أخفق، وقع تحت لعنة، الأمرُ الذي يؤدِّي إلى العقاب.

ففي غلاطيَّة ٣: ١٠ و١١، اقتباسًا من تثنية ٢٧: ٢٦ وحبقُّوق ٢: ٤، كتب بولس:

"لأنَّ جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنَّه مكتوب: "ملعون كلُّ مَن لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به." ولكنْ أن ليس أحد يتبرَّر بالناموس عند **الله** فظاهر، لأنَّ "البارَّ بالإيمان يحيا."(التشديد من عندي)

وواضح من هذه الشواهد أنَّه إن كان الشخص لا يُثابر على العمل بكلِّ ما هو مكتوب في الناموس فهو ملعون. وعلى نحوٍ أكثر تحديدًا، يعني ذلك أنَّه كلَّ لحظة من كلِّ يوم، سبعةَ أيَّام في الأسبوع، اثنين وخمسين أسبوعًا من كلِّ سنة، طيلةَ السنين التي يعيشها المرء، ينبغي له أن يُطيع كلَّ ما تضمَّنه الناموس، وإلاَّ وقع تحت لعنة.

ثمَّة ثلاث مشكلات رئيسيَّة تُساور العهد القديم الذي كُتب على لوحَي حجَر باردين. الأُولى أنَّه يستحيل حفظُه عمليًّا. والثانية أنَّه لم يكُن ممكنًا أن يُبرِّر الإنسان أمام **الله** (فبالإيمان وحدَه يمكن أن يتبرَّر المرء). أمَّا الثالثة والأخيرة فأنَّه ما كان ممكنًا أن يغفر الخطايا.

"لأنَّ الناموس، إذ له ظلّ الخيرات العتيدة لا نفسُ صورة الأشياء، لا يقدر **أبدًا** بنفس الذبائح كلّ سنة، التي يقدِّمونها على الدَّوام، أن يُكمِّل الذين يتقدَّمون." (عبرانيِّين ١٠: ١، والتشديد من عندي)

"لأنَّه لا يمكن أنَّ دم ثيران وتيوس يرفع خطايا." (عبرانيِّين ١٠: ٤)

غير أنَّ العهد الجديد هو عهدٌ يقطعه **الله** لكلِّ مؤمن، إذ يَعِد بأنَّه سيكتب شرائعه في داخلهم:

>"ها أيَّام تأتي، يقول الربُّ، وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم، يقول الربّ. بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الربّ. أجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا. ولا يعلِّمون بعد كلّ واحد صاحبه، وكلّ واحد أخاه، قائلين: اعرفوا الربّ، لأنهم كلّهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الربّ، لأنّي أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيَّتهم بعد" (إرميا ٣١: ٣١- ٣٤).

إنَّ العهد الجديد، على خلاف العهد القديم، هو عهد يُلزِم طرفًا واحدًا فحسْب. إنَّه أُحاديُّ الجانب. فليس من شروط يُطلَب منَّا أن نُراعيَها. ليس من عبارات مبدوءة "بإنْ وإذا" الشَّرطيَّتين. **فالله** لا يَعِد بأن يُبارِكنا بموجب شروط. إذ إنَّ هذا العهد غير مشروط. فليس فيه إلاَّ أفعالٌ فاعِلُها **الله**.

وعلى ما نرى في إرميا٣١، ها هي الأفعال الإلهيَّة الذاتيَّة الثلاثة التي يتضمَّنها العهد الجديد:

- "أجعل شريعتي في داخلكم، وأكتبها على قلوبكم."
- "أكون لكم إلهًا، وأنتم تكونون لي شعبًا."
- "أصفح عن إثمكم، ولا أذكر خطيَّتكم بعد."

هذه بالحقيقة بُشرى لمن يعرف ضَعَفاتِه الخاصَّة، وبشارةٌ رائعة لأيِّ مَن حاول يومًا أن يعيش تحت الناموس! فإذا كنتَ ما تزال في هذا الموقع، فأنت تعرف كم هو مهمٌّ أن يتوافر لك عهدٌ جديد لا ينطوي على أيِّ شروط. إنَّ جسدنا البشريَّ لا يستطيع أن يرقى إلى الوفاء بأيِّ شروط. فهذا عهدُ نعمة خالصة.

أفكار/ صلوات

ربِّ، قبِّلني بالإعلان الذي تلقَّته العذراءُ الشابَّة لمَّا سمعَت من حبيبها وعدَه بأن يستبدل بعِقدها الخرَزيِّ قِلادتَهُ الثمينة. لك الشُّكر لأنَّك قد وعدتَ بأنَّني- من خلال عمل الروح القدس المُحوِّل- سأُجعَل ذلك الشَّخص الذي تُريد أنت لي أن أكونه. لك الشُّكر لأنَّك من أجل أيِّ شيء أحتاج إليه قد قمتَ بالإعداد والإمداد. دعني أرَك وأعرِفك باعتبارك **الله** المُبادِر إلى الفِعل قائلاً: سأفعل كذا وكذا.

"وإله السلام الذي أقام من الأموات راعيَ الخراف العظيم، ربَّنا يسوع، بدم العهد الأبديِّ، **ليُكمِّلْكم** في كلِّ عمل صالح لتصنعوا مشيئته، **عاملاً فيكم** ما يرضي أمامه بيسوع المسيح، الذي له المجد إلى أبد الآبدين. آمين" (عبرانيِّين ١٣: ٢٠و٢١، والتشديد من عندي).

اليوم السابع

الموت والقيامة

نشيد الأنشاد، الأصحاح الأوَّل

"صرَّة المرِّ حبيبي لي. بين ثديَّ يبيت. طاقة فاغية حبيبي لي في كروم عين جدي."

نشيد الأنشاد ١: ١٣ و١٤

بعد بضعة أيَّام، قرَّرتُ أن أزور السُّوق في قرية أكبر لا تبعد عن دياري. وحملتُ معي بعض أقراص جبن المِعزى لأُقايِض الباعةَ بها.

فيما كنتُ أطوف في السُّوق، كان كلُّ ما استطعتُ التفكير فيه هو الملك. ومررتُ بأحد أكشاك الباعة، فأسرَت حواسِّي فجأةً رائحة عطريَّة ذكيَّة لم أستطِع تمييزها أوَّل الأمر. وإذ فتَّشتُ حواليَّ عن مصدر ذلك العطر الشذيِّ، وصلتُ إلى طاولة ملأى بكثير من قنانيِّ الزيوت والعطور الغريبة الشَّكل، وسط عُلَب مُلوَّنة مُختلفة الأحجام، مُرصَّعة بالجواهر. وكان وراء الطاولة القديمة تاجر لم أكُن قد رأيتُه قطُّ من قبل، رجلٌ كبير السنِّ ذو شعرٍ أشعث خفيف شائب وابتِسامة درداء.

قلتُ للرَّجل: "أُحِسُّ شذًا فريدًا منبعثًا من طاولتك."

وإذ نظر إلى فوق، برقت عيناه كما لو كان قد عرفني. وسأل: "أأنتِ العذراء الشابَّة؟" ورأى أنَّني لم أفهم حالاً، فأردف: "أأنتِ مَن يُشاع أنَّ الملك سليمان وقع في حبِّها؟"

لم أجِب، إذ شعرتُ بوجوب الحذر من جهة إفشاء علاقتي بالملك.

ولمَّا رأى أنَّني لن أُجاوِب، تابع قائلاً: "لأُخبِرْكِ عن هذه المجموعة من الأعشاب العطريَّة والطيوب والزيوت." وإذ قال ذلك، بدأ ينتقل من عُلبة إلى عُلبة، فاتحًا الأغطية على مداها. وبذراعَيه القصيرتين المكتنزتين، رفعها واحدةً فواحدة إلى قُرب أنفي حتَّى أشمَّها.

ولمَّا وصل الشَّيخ إلى البَخُور، قال: "هذا الطِّيبُ المُمتاز قطع رحلةً طويلة من مكان بعيد في الشَّرق بواسطةِ قافلة، على ظهور الحمير والجِمال. فلو أعطيتِني أونصة ذهب، لأعطيتُك فقط قبضةً من هذا البخور. فإنَّ قيمته تكمن في رائحته النادرة المُمتازة. وفي شكله الأنقى، هذا هو اللُّبان الذي أوصى الربُّ موسى باستعماله لصُنع البخور الذي وجب إحراقُه أمام الربِّ في قُدس أقداس خيمة الاجتماع. فهذا طيب ثمين حقًّا.

تنشَّقتُ نشقة من البخور. وكان شذاه طيِّبًا حقًّا، إلاَّ أنَّه لم يكُن ما سبق أن شممتُه. فسألتُ: "أيمكن أن يكون ذلك شيئًا آخر؟"

وقال الرجل مبتسمًا ابتسامة خفيفة: "نعم، أعتقد أنَّ ما تنبَّهَت إليه حاسَّةُ شمِّك الحسَّاسة هو المُرّ. فإنَّ المرَّ هو العُنصر الثمين الذي إذا مُزِج بالزَّيت وطيوب أُخرى، وفقَ نِسَب لا يعرفها إلاَّ الكهنة، يُستخدم في صُنع دهن المسحة المقدَّس الذي به يُمسَح الملوك ورئيس الكهنة.

ثمَّ مدَّ يده فتناول إحدى العُلَب، وسحب منها صُرَّةً صغيرة كانت مُعلَّقة بسَير رفيع من الجلد. وإذ رفعها أمامي، ارتفع حاجباه الكثيفان واتَّسعت عيناه.

"هذا المُرُّ مأخوذٌ من راتينَج بُنِّيٍّ ضارب إلى الحُمرة يكون داخل الشجرة. ويجب أن نجرح ونفتح الشجرة لكي نستخرج هذا النَّسغ الصمغيَّ. ثمَّ يتقسَّى حُبَيباتٍ بِلَّوريَّة. وما إن تجفَّ الحُبَيبات البِلَّوريَّة، المدعوَّة دُموعًا، حتى يمكن أن تُوقَد. عندئذٍ تُطلِق المادَّة المُشتعلة أذكى رائحة مُسِرَّة. وغالبًا ما يُستخدم المرُّ في الجنائز لتبديد رائحة الموت. ويُسحق المرُّ أحيانًا فيُضاف إلى الزيت لحفظ أجساد الموتى بدهنها به."

قلتُ، وصوتي يُفشي إثارتي: "هذه هي الرائحة التي ميَّزتُها. إنَّها الرائحة التي أهيمُ بها حين أكون على مقربة..."

ولكنَّني ما لبِثتُ أن توقَّفتُ فجأةً.

فاستأنف الشَّيخ كلامه: "المرُّ نادر وغالٍ للغاية بحيث يمكن أن يُستخدم عوضًا عن المال. والمرُّ الرفيع النوعيَّة يمكن أن يكون أغلى من البخور بخمسة أضعاف! والغريب تمامًا هو أنَّ طعمه مرٌّ جدًّا، مع أنَّ رائحته لا تُضاهى. وبعضَ الأحيان يطلب المحتضَرون، أو المتألِّمون كثيرًا، أن يُمزج لهم المُرُّ بالخمر تسكينًا لألمهم."

وسألتُه: "كم يدوم العبير الطيِّب المُنبعِث من هذه الصُرَّة؟"

فقال: "الأمرُ يتوقَّف على الظروف. فحين يُترك جانبًا، قد يُخيَّل إليكِ أنَّه فقد شذاه. ولكن إذا لامس الدِّفء، يُذكي عبيرَه من جديد."

وخشِيتُ أن أسأل الرجُل عن ثمن الصُرَّة الصغيرة، مخافَة أن يكون أغلى من أن تناله يدي. غير أنَّني أخيرًا استجمعتُ شجاعتي، فاستفسرتُ: "كم تأخذ من أقراص جبن المِعزى لقاء الصُرَّة؟"

فقال هازًّا رأسه: "احتفظي بما لديكِ من الجبن. أنا أعرف مَن أنتِ. اعتبري هذه هديَّة خاصَّة لسيِّدة مُميَّزة. سوف تتوافر لكِ يومًا الوسيلةُ التي بها توفينَني. إنَّما ألتمس أن تزوريني ثانيةً تاليَ مرَّة تكونين في هذه القرية، وألاَّ تنسَيني."

وإذ ناولني الصُرَّة فشددتُ يديَّ عليها بإحكام، هتفتُ قائلةً: "أوه، شكرًا لك! سوف أعود. وأنا يقينًا لن أنساك!"

ثمَّ توغَّلتُ في السُّوق العاجَّة والضاجَّة، وسمعتُ صيحةً من بائع آخر: "أزهار! نَورُ فاغيةٍ من عين جدي- أزهار، هل مِن مُشترٍ؟" والتفتُّ صوبَ مصدر الصوت، فرأيتُ امرأةً مُسِنَّة رثَّة الثياب تشقُّ طريقها بصعوبة وسط حشدِ المُتسوِّقين، مُلوِّحةً بباقة من عناقيد زهر الحِنَّاء الأبيض الرُّباعيّ البَتَلات على غُصَيناته الكثيفة. ولمَّا لحقتُ بالمرأة، نقرتُ كتفها فالتفتَت لتُواجهَني.

وسألتُها: "هل لي أن أرى أزهاركِ؟"

سبق لي، قبل مدَّة طويلة، أن زرتُ تلك الواحة الخصيبة في عين جدي بالصحراء المُحرِقة قرب شطِّ البحر الميِّت. فإذ أعجبتني الأزهار، تذكَّرتُ الشلاَّل الذي يتدفَّق نزولاً فوق الأجرُف الصخريَّة البنِّيَّة الشديدة الانحدار إلى البِركة الواسعة التي يقصدها المسافرون للاستِقاء والاستحمام. وتذكَّرتُ الاسم "عين جدي" ومعناه: نبعَ الجدي (نظير الحمل). واستغرقت في الذِّكريات عن الكروم هناك، تُحيط بها وتحميها سياجات الحِنَّاء الشائكة الكثيفة، ذاك الذي يطلع في مكانٍ ما كان أحد ليتوقَّع أن يوجد فيه حياةٌ وعبير من هذا النَّوع النادر. وقد بعثَت الذِّكرى فيَّ سرورًا فائقًا.

فقلتُ للمرأة- مُناولِةً إيَّاها قُرص جبن بدلاً من باقة الزَّهر- "سآخُذ تلك الباقة من زهر الحِنَّاء!"

بعدما رجعتُ إلى بيتي ذلك المساء، استلقيتُ على فراشي المحشوِّ بالقشِّ لأنام ليلتي. وتشبَّثتُ بصُرَّة المرِّ الصغيرة المعلَّقة بين ثدييَّ، ثُمَّ وضعتها فوق قلبي مباشرةً. فإذا بدفء جسمي، وقد مازجَ المرَّ، يُذكي رائحةً مُبهِجة انبعثَت بلطف في الهواء. فكانت تمامًا كما وعد ذلك الشَّيخ.

وإذ حوَّلتُ نظري صوب باقة الحِنَّاء بقربي، اكتنف حواسِّي فجأةً عبيرُ أزهارها الشذيُّ الطيِّب. وفيما غمر الرِّضى والسُّرور أعماقي، فكَّرتُ: يا لَهذا من مزيجٍ بهيج... عطرٌ مقترنٌ بالموت، وآخَرُ بالحياة التي تطلع من الموت! وإذ انطبقَت عيناي وأخذتُ أُفكِّر مليًّا في هذه المُفارقة الظاهريَّة، عادت أفكاري تدريجيًّا إلى الملك، وغطغطَ عليَّ نومٌ عميق وهنيء.

نِقاط للتأمُّل

يؤخذ المرُّ من تشكيلة أشجار طويلة وغير جذَّابة تنمو في مُناخ الشَّرق الأوسط الجافِّ الشديد الحرّ. فهذه الأشجار تُذكِّرنا بالمسيح الذي- كما كتب إشعياء-

"نبت قدَّامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة، لا صورة له ولا جمال فننظرَ إليه، ولا منظر فنشتهيَه. مُحتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبِر الحَزَن، وكمستَّر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتدَّ به" (إشعياء ٥٣: ٢ و٣).

كان المرُّ هو المكوِّن الرئيسيَّ المستعمَل في صنع زيت المسحة المقدَّس (خروج ٣٠: ٢٢- ٢٥)، في حينَ كان اللُّبان يُستعمل لصنع البخور الذي يوقَد أمام الربّ (خروج ٣٠: ٣٤- ٣٧).

وفي ثلاث مناسَبات، استُخدم المُرُّ في العهد الجديد على ارتباط بالمسيح. وهو كلَّ مرَّة يُمثِّل الآلام والموت.

- المرَّة الأُولى التي يظهر المرُّ فيها هي عندما يأتي المجوس من الشَّرق حاملين كنوزهم من

الذهب واللّبان والمرّ إكرامًا للملك الوليد في متّى ٢: ١١. وقد علموا أنَّ الهدايا التي يُكرَم بها الملك يجب أن تكون ذات نوعيَّة نادرة وقيمة عظيمة. فإذ تعبَّدوا للمسيح، مثَّلت هديَّة المرِّ الآلام التي سيُقاسيها معًا في الحياة وفي الموت أخيرًا، لمَّا حمل في جسده خطايانا على الصليب رافعًا خطيَّة العالَم أجمع. ورمزيًّا، انطوت هدايا المجوس على الاعتراف بأنَّه كان الله (الذهب)، وأنَّه سيكون كاهننا الأعلى الذي سيتوسَّط ويتشفَّع لأجلنا (اللُّبان)، وأنَّه مُخلِّصنا (المرّ).

- المرَّة التالية التي يُذكر المرُّ فيها هي لمَّا مُزِج بالخمر وقُدِّم للمسيح وهو مُعلَّق على الخشبة، في مرقس ١٥: ٢٣. وقد أبى أن يشرب ذلك الشَّراب المخدِّر، حتَّى لا يُخفِّفَ على الإطلاق كأس غضب الله الملآنة التي شربها لأجلنا.
- أخيرًا، يظهر المرُّ أيضًا في يوحنَّا ١٩: ٣٩ لمَّا جاء نيقوديموس "وهو حامل مزيج مُرٍّ وعود نحو مئة منًا" لتحنيط جُثمان المسيح. وقد جرت العادة أن يُستعمل نحو منًا واحدٍ فقط من المُرِّ في إعدادات الدَّفن عند العبرانيِّين. غير أنَّ نيقوديموس، بدافع الاحترام الجليل لِمَن سمَّاه بيلاطُس "ملك اليهود"، أتى بكميَّة وافرة جدًّا من المرِّ والعود كي يُعِدَّ جُثمانه للدَّفن.

فإنَّ صُرَّة المرِّ التي تدلَّت من عُنق الفتاة واستقرَّت بين ثديَيها تُمثِّل، بالنِّسبة إلى المؤمن، تقديرًا لآلام المسيح وموته عميقًا من صميم القلب.

تأمَّل كلَّ ما اصطحبه المسيح إلى القبر لمَّا مات عنك على عود الصليب:

- جميعَ خطاياكِ الفرديَّة (رومية ٩: ٢٨)
- الخطيَّة: "ذاتكَ" القديمة وطبيعتك الخاطئة (رومية ٦: ٦ و٧)
- جسدك (غلاطيَّة ٥: ٢٤)
- "أنت" (غلاطيَّة ٢: ٢٠)
- الناموس (أفسس ٢: ١٣- ١٦)
- العالم (غلاطيَّة ٦: ١٤)
- جميعَ التُّهَم ضدَّك (كولوسِّي ٢: ١٤)
- الرؤساء والسلاطين في السماويَّات (كولوسِّي ٢: ١٥)
- الشيطان (عبرانيِّين ٢: ١٤)
- الموت (١كورنثوس ١٥: ١٦)

ثُمَّ في اليوم الثالث، قام المسيح حيًّا. ولكنَّه لم يكُن وحيدًا. فأنت قد أُقِمت معه! أمَّا جميع تلك الأُمور السلبيَّة، فقد تُرِكت في القبر.

"فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتمُّوا بما فوق لا بما على الأرض، لأنَّكم قد متُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظهر المسيح حياتُنا، فحينئذٍ تُظهرون أنتم أيضًا معه في المجد" (كولوسِّي ٣: ١- ٤).

لم يكُن الملك في نظر الفتاة كصُرَّة من المرِّ فحسْب، بل كان أيضًا كباقة من زهر الحِنَّاء في كروم عين جدي. ويُطلِع الحِنَّاء أزهارًا شذيَّة ضاربة إلى البياض تُستعمَل في صنع العطر. وكان بقُرب عين جدي أنَّ داود وجد ملجأً عند "نبع الحَمَل" ونُجِّيَ من شاول وجيش يضمُّ ثلاثة آلاف رجُل. وقد خرج ظافرًا من غياهبِ مغارة، واعترف به شاول على أنَّه مَن جعله الله ملكًا وإيَّاه أعطى المملكة (١صموئيل ٢٤).

فإنَّ زهر الحِنَّاء يمثِّل حياةَ قيامةِ المسيح. وممَّا ينطوي على دلالة مهمَّة أنَّ المُرَّ يُذكر قبل الحِنَّاء (الفاغية) في نشيد الأنشاد. فالخسارة يجب أن تسبق الرِّبح دائمًا. والموت يسبق القيامة دائمًا.

ومثل عصا هارون التي أفرخت وأزهرت، يرمز الزَّهر إلى الحياة الجديدة التي تنبعث ممَّا يبدو حطبًا ميْتًا. فهذه الباقة الجميلة من زهر الحنَّاء، مأخوذةً من المُحيط القاحل في صحراء عديمة الحياة، تُحدِّث عن حياة قيامة المسيح. إنَّها حياة تقهر الموت، وهي الآن حيَّة ومالكة فيك!

أفكار/ صلوات

ليت رائحة المرِّ وعبير زهر الحنَّاء يغمران حواسَّك اليوم إذ تتأمَّل في رسالة الإنجيل البسيطة المختصَّة بموت المسيح وقيامته!

"فإنَّني سلَّمت إليكم في الأوَّل ما قبلته أنا أيضًا: أنَّ المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكُتب، وأنَّه دُفن، وأنَّه قام في اليوم الثالث حسب الكُتب" (١كورنثوس ١٥: ٣ و٤).

اليوم الثامن

تذوُّقٌ مبدئيٌّ للرَّاحة والاتِّحاد

نشيد الأنشاد، الأصحاح الأوَّل

"ها أنتِ جميلة يا حبيبتي، ها أنتِ جميلة. عيناكِ حمامتان."

"ها أنت جميل يا حبيبي، وحُلوٌ،"

"وسريرنا أخضر. جوائز بيتنا أرز، وروافدنا سروٌ."

نشيد الأنشاد ١: ١٥- ١٧

تاليَ يوم، حصل قرعٌ على باب الفتاة. وما إن فتحته، حتَّى رأت أنَّ الطارق كان واحدًا من خُدَّام الملك.

ناولها الشابُّ دَرْجًا صغيرًا أنيقًا، قائلاً: "رسالة من الملك!"

ففضَّتِ الرسالة وقرأتها. ثُمَّ قالت مُبتسِمة: "قُل للملك إنَّني سأُقابِله بسرور غدًا."

أجاب الخادم: "سأكون هنا بعد الشُّروق بساعة لأصطحبَكِ إليه."

فردَّت: "قُل له إنَّني سأكون حاضرة ومنتظِرة."

كما في المناسَبات الأُخرى التي فيها تلاقينا أنا والفتاة، وجبَ أن يكون هذا اللِّقاء بعيدًا عن المدينة. ففي فترة تودُّدنا القصيرة، تبيَّن لي أنَّها هي أيضًا تحبُّ الطبيعة والهواء الطَّلق. وبوجود الضغط

والمسؤوليّات المرتبطة بمنصبي ملكًا على الأمَّة، تطلّعتُ دائمًا إلى اصطحابها بعيدًا إلى مكان جديد، خارجًا في الهواء الطَّلق حيث يُتاح لنا أن نكون وحدَنا معًا ونستريح ونتحدَّث.

فهذه المرَّة كان مُلتقانا في الريف الجبليِّ، في مرجة خضراء فوق صفِّ الشجَر. كان يُحيط بالمرجة دَغَلٌ فيه كثيرٌ من أشجار الأرز والشربين والسَّرو. وقد واكبَت الفتاةَ وإيَّاي أربعُ عربات ملأى بالرِّجال جنودًا وخُدَّامًا. فركبْنا إلى حيث تُوصِلنا الطريق، ثمَّ ترجَّلنا وسرنا على الأقدام صعودًا إلى هضْبة صغيرة ذات إشرافٍ پانوراميّ، مُطلَّة على الوادي في الأسفل. وإذ تركْنا الجنود والخُدَّام تحتُ مع العربات، سبقناهم أنا والفتاة مسافةً قصيرة ماشيَين يدًا بيد، حتَّى عثرنا على رُقعة عُشبٍ مُريحة نقعد عليها.

تولَّيتُ أنا معظم الحديث. ورُبَّما لم يكن ذلك رومنسيًّا للغاية من قِبَلي، إلاَّ أنَّ حديثنا تحوَّل إلى درس في علم النَّبات وعلم الشجر. فإذ كانت الطبيعة نفسُها غُرفة درسنا، دللتُ الفتاة على مختلف أنواع ما حولنا من أشجار ونبتات، بل من طيور أيضًا، محدِّدًا كلَّ شيء باسمِه. وأصغت إليَّ باهتمام فعليّ، ممَّا جعلني أُحبُّها أكثر فأكثر!

فجأةً، قاطع محاضرتي صوتٌ جليٌّ سمعناه من بعيد لحمائمَ تهدل. وأدرنا رأسينا باتِّجاه لحنهنَّ الجميل، فلمحنا زوجين منهنَّ جاثمين على غصن سروة قريبة. وبدا كما لو أنَّهما كانا يشدوان لنا! فالتفتُّ إلى محبوبتي وقلت: "ها أنت جميلة جدًّا، يا حبيبتي. عيناك السوداوان مثل أعين هاتين الحمامتين اللتين تؤنسانِنا بأغنيتهما."

فأجابت: "هل من عجب، يا مليكي، أنَّه حين أكون معك تتمكَّن عيناي، على غرار عيني الحمامة، من أن تُركِّزا فقط على غرض واحد في وقتٍ واحد؟ وأنا أختار أن أُركِّزهما عليك. فها أنت جميل جدًّا، يا حبيبي، وحلو جدًّا."

قلتُ لها: "غريبٌ أن تدعيني "حبيبي"، أو محبوبي، لأنَّ هذا اسمٌ يدعونني به شخص آخر أيضًا."

فظهرت على وجهها فجأةً علامات القلق.

وضحكتُ ضحكة خافتة. "لا تقلقي، يا حبيبتي، فإنِّي سأُطلعكِ على سرٍّ يعرفه قليلون. لمَّا وُلدتُ، سمَّاني أبي سُليمان، وهو اسم معناه "سلام". ولكن أُطلِق عليَّ اسمٌ آخر أيضًا. فاعلمي أنَّ الله تكلَّم بفم النبيِّ ناثان قائلاً: قل لداود إنَّني أكنُّ مودَّة خاصَّة لهذا الابن الذي وُلد لك. فسأدعوه يديديَّا، ومعناه 'محبوبُ الربّ'."

فهتَفَت: "رائع جدًّا! اسمٌ سرِّيٌّ من عند القدير! إن كان مَن خلق السماوات وهذه الأرض يدعوك محبوبَهُ، فأنا سأحذو حذوه بسرور أيضًا!"

قلتُ: "هناك بعدُ أمرٌ أودُّ أن تعرفيه عنِّي. قبلَما وُلدتُ، ظهر الإله الحقُّ لأبي، الملك داود، وقال له إنَّني أنا، ابنَه، سوف أبني لإلهنا بيتًا عظيمًا. فاستحوذ على أبي تقريبًا جمعُ الموادِّ لأجل ذلك البيت من غنائم الحرب وتقدمات الشعب الطوعيَّة. حتَّى إنَّه تبرَّع بثروة من خزانته الخاصَّة. فتكدَّس ذهب وفضَّة ونُحاس وحجارة كريمة وخشب وقُماش، بمقادير هائلة يصعب تصوُّرها. وقد تحرَّق شغفًا لبناء ذلك البيت. حتَّى إنَّ القدير أعطاه النَّموذج الدقيق الذي ينبغي أن يُبنى البيت وفقًا له، بكُلِّ تفاصيله. ولكنَّني كنت أنا الشخص المُعيَّن لبنائه. فأنتِ تعلمين أنَّ والدي كان رجُل حرب، وكان على يديه دم. لذلك لم يُسمَح له ببناء ذلك البيت.

"ومع أنَّ هذا البناء سيكون مجيدًا جدًّا، فإنَّني أسأل نفسي أحيانًا: 'أيَّ أثرٍ جميل يستطيع الإنسان أن يبني مُقارنةً بالخالق؟' فإذ تبتهج أعيُننا بكلِّ ما يُحيط بنا هنا، لا يسعُني إلاَّ أن أتساءل: كيف يُعقل أنَّ هذا المهندس والمُصمِّم البارع للكون كلِّه يحصر نفسه داخل بيت مصنوع بأيدي بشر؟ السماوات

كَرسيُّه والأرضُ موطئ قدميه. فالسَّماء، حتّى السماءُ العليا، لا يمكن أن تسعَه!"

وأردفتُ: "فضلاً عن هذا، سأُخبركِ بأمر آخر. إن هذا الإله بعينه قطع لأبي وعدًا آخر قائلاً: 'هوذا يولك لك ابنٌ يكون صاحب راحة، وأُريحه من جميع أعدائه حواليه، لأنَّ اسمه يكون سليمان. فسأُعطيه سلامًا وسكينة في إسرائيل كلَّ أيَّامه.' كما قال الربُّ أيضًا عنِّي: 'وأُثبِّت كرسيَّ ملكه على إسرائيل إلى الأبد.' فمع أنَّ أبي كان رجُل حرب، فسيكون في أثناء ملكي سلامٌ وراحة. أوليس السلام والرَّاحة ممَّا يتوق إليه كلُّ إنسان؟"

أجابت: "بلى، إنَّهما مُشتهى كلِّ نفس. وبالحقيقة أنَّ كِلا الاسمين يناسبانِك جيِّدًا. فإن تسنَّى لي أن أتكلَّم نيابةً عن جميع رعايا مملكتك، أقولُ بحقٍّ إنَّ وجودي معك يعني الوجود مع شخصٍ محبوبٍ من قِبَل **الله**، وإنَّ في حضرتك راحةً وسلامًا حقًّا."

فأجبت: "ما دمنا نعيش معًا، فالحال ستكون على هذا المِنوال."

ومن ثمَّ استلقَينا كِلانا على سريرنا المكوَّن من العشب الطويل الشذيّ. وإذ تمدَّدنا براحة وسلام تحت أغصان الشجر المُتدلِّية فوقنا، حدَّقنا صوب السماء إلى الفضاء الصافي الأزرق، وتشرَّبنا الجمال صامتَين. فقلتُ: "حقًّا إنَّ سريرنا أخضر! لَئن شاء إلهُنا السرمديُّ أن يُقيم في بيتٍ مصنوع من حَجَر، فإنَّ عوارض بيتنا أرز، وروافدنا سرو."

بقيَت صامتةً هُنَيهة، ثُمَّ سألت بصوت ينمُّ عن اندهاش: "هل قلتَ: **سريرنا**، **بيتنا**، **روافدنا**، يا مليكي؟"

فأجبتُها: "نعم، يا حبيبتي. ما سمعتِه صحيح. عندما تُصبحين زوجتي، أُريد أن أُشرِكَكِ في كلِّ ما تشتمل مملكتي عليه. **فالكل** سيكون **لنا**!"

نِقاط للتأمُّل

لا يمكن أن نبالغ مهما شدَّدنا على أهمِّيَّة تعلُّمنا أن نستريح "في المسيح". فهذه الراحة هي في صميم كلِّ إثمار روحيّ.

من البدء تمامًا، ما انفكَّ **الله** كلَّ حين يريد للإنسان أن يدخل رحاب الرَّاحة في حضرته. ففي اليوم السادس خلق الرجُل والمرأة. ثمَّ في اليوم السابع، استراح **الله**. وقد أوصى الرجل والمرأة أنْ "أثمِروا واكثروا واملأُوا الأرض، وأخضعوها، وتسلَّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كلِّ حيوان يدبُّ على الأرض" (تكوين ١: ٢٨)، ولكن قبل أن يستطيعا تحريك حتَّى إصبع واحدة للعمل، استيقظا في اليوم السابع، يومِ راحة **الله**! فإنَّ يوم آدم وحوَّاء الأوَّلَ لم يكُن يوم عمل، بل كان يوم راحة مع **الله**.

وعند إعطاء الناموس، أوصى موسى بني إسرائيل بتخصيص يوم واحد في الأُسبوع للاستراحة من أعمالهم. وكلَّ سابع شهر، طلب أن يحفظوا عيدًا ليتذكَّروا أنَّ في وسعهم أن يستريحوا ويتوكَّلوا على الربّ. وكلَّ سنة سابعة، أوصاهم **الله** بتخصيص سنة كاملة للاستراحة والكفِّ عن العمل ومشاهدته يعولهم:

"ستَّ سنين تزرع أرضك وتجمع غلَّتها، وأمَّا في السنة السابعة فتُريحها وتتركها ليأكل فقراء شعبك. وفضلتهم تأكلها وحوش البرِّيَّة. كذلك تفعل بكرمك وزيتونك" (خروج ٢٣: ١٠ و١١).

"وإذا قلتم: ماذا نأكل في السنة السابعة إن لم نزرع ولم نجمع غلَّتنا؟" فإنِّي آمر ببركتي لكم في السنة

السادسة، فتعمل غلّة لثلاث سنين" (لاويِّين ٢٥: ٢٠- ٢٢).

في أثناء السنة السابعة، أو "السنة السبتيَّة"، كان في وسع الشعب أن يصطادوا الطرائد والسَّمك، ويعتنوا بمواشيهم، ويُصلِحوا بيوتهم، ويصنعوا ثيابًا، ويُعلِّموا بعضهم بعضًا وأولادَهم طُرق **الله**، ولكنَّ **الله** أراد منهم أن يدَعوا الأرض تستريح، وقد وعد بأن يعولهم.

كان **الله** يعرف قلوبهم، كما يعرف قلبك! وأراد أن يُبيِّن محبَّته لهم، وبالطريقة عينها يُريد أن يبيِّن محبَّته لك. ولكنَّه يعلم أنَّ الأمر يقتضي فعل إيمان من شعبه ليُصدِّقوا أنَّه سيُعيلهم فعلاً إن لم يشتغلوا في زرع حقولهم وتعهُّد كرومهم وأشجارهم. فماذا فعل إذًا؟ لقد قطع وعدًا بأنَّه في السنة السادسة، تعويضًا عن السنة السابعة التي ستُراح الأرض فيها، سيَرزقُهم ثلاثة أضعاف من الغِلال لكي تكفيَهم.

تصوَّر أنَّك كنت واحدًا من العائشين هناك. وفي قطعة الأرض التي أُعطيتَها ميراثًا، عندك بضعُ أشجار زيتون، أو بعض غروس الكرمة، أو حقل حنطة. فأنت تعلم كم يكون محصول السنة العاديَّة. ولكنِ الآن تصوَّر أنَّ زيتوناتك، أو كرمك أو حقلك، أنتجت ثلاثة أضعاف غلَّتها المعهودة في سنة واحدة! وكلَّ يوم قبل الحصاد أو القطاف، تتمشَّى لترى أشجارك أو كرمك تتثقَّل أكثر فأكثر بالثمر، حتَّى تكاد الأغصان تنقصف، فيما أتلام حنطتك صائرةٌ أكثف وأعلى من أيِّ شيء سبق أن رأيته يومًا!

غير أنَّ القوم لم يختبروا قطُّ وعد **الله** بالخير الوافر. ففي أثناء مرحلة الملوك، ظلَّ الشعب يعملون دون استراحة مُدَّتها سنة واحدة، حتَّى هُدِرت سبعون سنةً سبتيَّة. هم لم يكونوا يَعدُّون، ولكنَّ **الله** كان يَعدّ! أخيرًا، بعد انقضاء أربع مئة وتسعين سنة، بينها سبعون سنة سبتيَّة لم يُكرَم **الله** فيها، أرسلهم **الله** إلى السَّبي في بابل مدَّةَ سبعين سنة، سنة واحدة مُقابل كلِّ سنة سبتيَّة أهملوا فيها الاستِراحة فيه والتوكُّل على إمداده (٢أخبار الأيَّام ٣٦: ٢٠ و٢١).

لقد أعطى **الله** الأُمَّة القديمة أرضًا بهيَّة. وكانت أرضًا خصيبة تفيض لبنًا وعسلاً. وقد أدخلهم يشوع تلك الأرض وقسَّمها بين الأسباط الاثني عشر. وكان عليهم أن يشتغلوا في الأرض، ويستخرجوا منها رِزقَهم، ويتمتَّعوا بها. ولكنْ بسبب إهمالهم إكرام السنة السَّبتيَّة التي أوصى بها **الله**، خسروا الأرض وأُرسلوا إلى السبي في بابل (ومعناها حرفيًّا "بَلبلة") مدَّة سبعين سنة.

وإليك المُماثلة الروحيَّة: لمَّا آمنَّا بالمسيح، حلَّ في أرواحنا ليُقيم فيها. فهو فينا، ونحن "فيه". وهو كلُّه لنا. فليس ميراثُنا أرضًا مادِّيَّة، بل إنَّ ميراثنا هو المسيح، وفي وسعنا أن نُقيم في هذا المسيح العجيب، ونكون شُركاء طبيعته الإلهيَّة، ونتمتَّع بجميع البركات الروحيَّة في السماويَّات في شخصه، فيما نتعلَّم أن نستريح ونثبت فيه. ولكنْ أحيانًا، بسبب عدم الأمانة، قد نخسر اختبارَ استمدادِ قوَّتنا ومواردنا منه، والتمتُّع ببركاته. وسيؤدِّي ذلك ذات يومٍ إلى استيقاظنا ووجدانِنا أنفُسَنا في حالة بلبلة وسبيٍ روحيّ.

وعندما يحصل هذا، ففي توقنا للرُّجوع إلى الربِّ والتمتُّع بحضرته مجدَّدًا، يكون ردُّ الفعل الطبيعيُّ هو أن نرجع من حيثُ انطلقنا لنرى إن كان في وسعنا أن نحدِّد سببَ ابتعادنا أو انفصالنا الملموس عنه. أكان انحرافًا تدريجيًّا؟ أكان فِعلة غير أخلاقيَّة؟ أكان كذبًا، غشًّا، سرقة، اشتهاءً، دُنيويَّة، كبرياء، سوراتِ غضب غير مكبوحة، كلامَ سوء عن أخٍ آخر أو أُخت أُخرى، بل عصيانًا سافرًا أيضًا؟ هل تقهقرنا وابتعدنا لأنَّ **الله** خيَّب آمالنا، أو لم يرقَ إلى مستوى توقُّعاتنا، من حيث كونُه الشخصَ الذي تصوَّرنا أن يكونَه؟ إنَّ أيَّة واحدة من هذه الخطايا أو سواها ربَّما تكون قد أحدثت انقطاعًا في شركتنا معه. ولكنْ يجب أن نسأل أنفُسَنا: هل من قاسم مشترك أكثر جوهريَّةً، أو نقطة ابتعاد عامَّة، أو خطيَّة جذريَّة، حيث يكمن السبب الذي من أجله- على غرار قدِّيسي العهدَين القديم والجديد- نتردَّى في متاهة السَّبي الروحيّ؟

وبلُغة روحيَّة، فإنَّ رفض قدِّيسي العهد القديم أن يُكرموا السنة السبتية ويثقوا بإمداد **الله** أدَّى بالنتيجة إلى سبيهم. ولا تختلف الحال بالنِّسبة إلى المؤمن بالمسيح. فالسَّبيُ (أو الأسْر) هو نتيجة إخفاقه في أن

يستريح في المسيح ويتوكّل على إمداده الوافر.

"اثبتوا فيَّ وأنا فيكم." (يوحنَّا ١٥: ٤)

"تعالَوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أُريحكم" (متَّى ١١: ٢٨).

فيما سليمان والفتاة مُستلقيان معًا يستريحان، تعلَّمَت أنَّ كلَّ ما كان له يخصُّها أيضًا. فالاستراحة هي نقطة الانطلاق لكلِّ إثمار روحيّ.

أفكار / صلوات

دع المسيح يكُن راحتك السبتيَّة اليوم. استرِح في الاتِّحاد به، رافعًا نظرك إلى داخل السماوات، ومُراقِبًا فيمَا يمدُّك على نحو وفير بسداد احتياجاتك كلِّها!

اليوم التاسع

قاعة الولائم

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثاني

"أنا نرجس شارون، سوسنة الأودية."

"كالسَّوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات."

"كالتُّفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين. تحت ظلِّه اشتهيت أن أجلس، وثمرته حلوة لحلقي. أدخلني إلى بيت الخمر، وعلمه فوقي محبَّة. أسندوني بأقراص الزَّبيب. أنعشوني بالتُّفَّاح، فإنِّي مريضة حبًّا. شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني."

نشيد الأنشاد ٢: ١- ٦

أصبحَت أوقاتنا معًا، أوقاتُ فتاتي وأوقاتي، أكثر تواتُرًا. كنتُ من حين إلى آخر آتي بنفسي للقائها. وفي أحيان أُخرى كنتُ أبعث واحدًا من خُدَّامي للإتيان بها إلى القصر، أو لتُلاقيَني في موضع محدَّد. وذات يوم، طلبتُ منها أن تتأهَّب لرحلة طويلة كي تزور بيتي الشَّتويِّ في لُبنان. فتلك الرِّحلة تستغرق بضعة أيَّام.

انطلقنا برفقة حاشية كبيرة، تضمُّ جنودًا وخُدَّامًا وطبَّاخين وحُرَّاسًا وضيوفًا ومغنِّين وعازفين. وقد أرسلتُ بعضًا منهم مقدَّمًا، لإعلام بقدومنا والإعداد لمجيئنا. ولمَّا وصلنا أخيرًا إلى القصر الشتويّ، كان قد حلَّ غَسَقُ اليوم الثاني عشر، وقتَ تناوُل العشاء تمامًا. فترجَّلنا أنا والفتاة من عربتي، ومشَينا معًا عبر الفِناء الواسع المرصوف بحجارة كبيرة منحوتة، والمُفضي إلى قاعة الولائم. ولمَّا اقتربنا من

القاعة، رفعَت نظرها بتعجُّب إلى أعمدة الأرز الضَّخمة الداعمة للقاعة والمُحيطة بها.

قلتُ: "أخيرًا، ها نحن هنا، يا عزيزتي. ستُقابِلين في الداخل وُجَهاء وزوَّارًا أجنبيِّين، وحاشيَتي الملوكيَّة، فضلاً عن الذين يُشاركونني بانتظام إلى مائدتي. إنَّني أُريد لهم أن يرَوكِ. أُريدُ أن أعرضكِ أمامهم. ستُجلَسين إلى جانبي في صدر المائدة، في ظلِّ يدي اليُمنى، بحيث يعرف الجميع أنَّكِ حبيبتي الحقيقيَّة."

فأجابت : "أشعر بالارتباك. يا لهذا من شرفٍ لي، سيِّدي الملك. إنَّما يجب أن أعترف بأنَّني زهرة برِّيَّة عاديَّة فحسب، كنرجسة في شارون أو سوسنة من الوادي. فلماذا أنا؟ إنَّني لا أستحقُّ أيَّ شيء كهذا!"

أجبتُ بسرعة: "لعلَّكِ سوسنة، ولكنَّكِ في نظري كالسَّوسنة بين الشوك... بالغة الرِّقَّة، بالغة النُّعومة، بالغة الضَّعف، بالغة الجمال. إنَّ جميع عذارى البلد الأُخَر، مقارنةً بك، لسن سوى أشواك عندما تكونين في وسطهنَّ."

وما لبثت أن ردَّت الإطراءاة، بضحكة خفيفة. "وبالنِّسبة إليَّ، يا مليكي، أنت حقًّا كشجرة تُفَّاح بين شجر الغابة!"

وإذ قاربنا مدخل القاعة الكبيرة، قالت لاهثةً. "هذا جميل جدًّا." وقد ملأت عينيها الدَّهشة والعَجَب.

فقلت: "أردتُ أن يكون هذا مكانَ استمتاع بالغ لجميع الحواسّ: كلِّ ما تَرَين، كلِّ ما تذوقين، كلِّ ما تلمسين، كلِّ ما تسمعين، كلِّ ما تشمِّين."

لدى الإيعاز، ظهر الحُرَّاس وفتحوا الأبواب الكبيرة. وما إن خَطَونا إلى الداخل، حتَّى صدحَت الأبواق مُعلِنةً دخولنا. وللتَّوِّ غمرت حواسَّنا رائحةُ الأرْز الشذيَّة. كان الخشب الفاخر في كلِّ مكان، مكوِّنًا الأرضيَّات والكُسوة وأُطر النوافذ المُبدَعة والدَّعائم. فحملقَت حواليها برهبة إلى الجدران، ثُمَّ إلى صفوف النوافذ الثلاثة في جوانب القاعة المتقابلة، المواجِهة إحداها للأخرى تناظُريًّا، مُتيحةً للشمس أن تُلقي ضوءها على طاولة الولائم.

كان مُعلَّقًا في أعلى الجُدران تروسٌ كبيرة. ورأيتُ عينيها شاخصتين إلى التُّروس، فقلت: " هذه التُّروس التي تنظرين إليها، حبيبتي، هي من جُملة مئتين صنعتُها، كلٌّ منها مكوَّن من ستِّ مئة شاقل من الذهب المطرَّق. أمَّا التُّروس الأصغر فمن جُملة المئتين التي صُنع كلٌّ منها من ثلاث مئة شاقل من الذهب المُطرَّق. إنَّني أُريد لجميع الذين يدخلون هذا المكان، الأصدقاء والأعداء المحتمَلين على السواء، أن يعلموا إلى أيِّ مدًى من الضَّراوة أنا معنيٌّ بحماية كلِّ ما هو في نطاق مملكتي." والتقت عيناها عينيَّ، فابتسمَت، وأردفتُ: "هذا يشملكِ أنت، يا حبيبتي! إنَّ هذه التروس سوف تكتسب معنًى أكثر أهمِّيَّة بعدُ في نظركِ، في الأيَّام الآتية."

وفيما دخلنا القاعة، شخصَت إلينا جميعُ العيون. كنتُ أنا متعوِّدًا هذا الاهتمام، أمَّا هي فما. وقد لاحظتُ قلقها وسرورها المتمازجين. وقد جرت مرافقتُنا إلى مقعدينا، فجلسنا إلى رأس طاولة الولائم الطويلة، المصنوعة من الأرز أيضًا. وكانت مُحاطة بالضيوف، ومكتظَّة بالأطباق الغنيَّة والشهيَّة. وكان فوق المكان الذي جلسنا فيه تمامًا عَلَم كبير صنعتُه خصوصًا لأجل هذه المناسَبة، منسوجٌ من الكتَّان الأبيض الجميل ومُطرَّز بالذَّهب. وكان مخطوطًا على العَلَم لفظٌ واحدٌ لا غير: "محبَّة."

وقوفًا على أُهبةِ الخدمة، وراء الضيوف، كان مئاتٌ من النُّدُل الحسني الهندام والمُرتدِين ثيابًا ملوَّنة زاهية. وكان كلٌّ منهم مُدرَّبًا على استِباق حاجات ضيوف الوليمة ومعاملتهم كشخصيَّات ملوكيَّة. وإذ حدَّقَت محبوبتي من علُ إلى الطاولة المُستطيلة، علَّقتُ على المؤونة الوفيرة: "كلَّ يوم تُملأ هذه المائدة بأطايب مصنوعة من ثلاثين كُرَّ سميذ وستِّين كُرَّ دقيق. ويشمل اللَّحم قِطعًا ممتازة من عشرة ثيران مُسمَّنة، وعشرين ثورًا من المراعي، ومئة خروف، ما عدا الأيائل والظِّباء واليحامير والوزِّ المُسمَّن."

فأومأتْ متأثِّرةً: "وهناك أرى طبقًا كبيرًا من كعك الزَّبيب. إنَّه يبدو شهيًّا! كيف عرفتَ أنَّ أقراص الزَّبيب من جُملة ألواني المُفضَّلة؟"

أجبتُ مبتسِمًا: "لدى طُهاتي الكبار طريقةٌ خاصَّة في المعرفة."

كانت كؤوس الشُّرب أمامنا مصنوعة من الذهب. فسكب ساقِيَّ بحرصٍ النبيذ وذاقه، ثمَّ ناولني كأسًا وناول محبوبتي كأسًا. وقفتُ، فساد الغُرفةَ الهدوء حالاً. ورفعتُ كأسي على شرف ضيفتي المميَّزة. "شاركوني، أيُّها الأصدقاء والضيوف، في تكريم هذه العذراء الجميلة الجالسة إلى جانبي اليوم. بهذه الكؤوس الذهبيَّة، نشرب نخب هذه السيِّدة بأجود الخمر. فما كانت كأسٌ من فضَّة، أو أيِّ شيءٍ أقلَّ قيمة، لِتنفعَ هنا، لأنَّ الفضَّة مُنتشرة في مملكتي كالحِجارة في مدينة القدس. إنَّ كأسًا من الذهب فقط تليق بشخصٍ في مكانةِ ضيفتي هذه!"

ومرَّةً أُخرى نجحتُ في إحراجها بثنائي السخيّ. فاحمرَّ وجهُها إذ رفع جميع الجالسين إلى المائدة كؤوسهم، وبعد هُتافٍ مُدَوٍّ اشتركوا في تناول نتاج الكرمة.

ثُمَّ جلسنا، فانتقَت حبَّة فاكهة من القصعة الموضوعة قربَ ذراعي، وأمسكَتها أمام عينيَّ، قائلةً: "هذه التُّفاحة واحدة من الفواكه المُفضَّلة عندي. قلتُ لكِ آنفًا إنَّك كشجرة تفَّاح بين شجر الغابة. فهكذا تبرز ممتازًا في نظري بين الشُّبَّان. لا مثيلَ لك! ومع كلِّ قضمة من هذه الثمرة، سأنتعش بأفكار تدور حولك وحدَك!"

ولمَّا انتهت الوليمة أخيرًا، كنَّا آخر شخصَين جالسَين إلى المائدة. كان الضيوف الآخرون قد غادروا من وقتٍ طويل، وقد رُفعَت الأطعمة والصُّحون الباقية. فأمرتُ خُدَّامي بإحضار شمعدان كبير ووضعه بقربنا حتَّى يتسنَّى لنا أن نواصل حديثنا تحت وميضِ نوره.

وإذ أخذ الوقت يفوت، وآن أوان إخلادنا إلى النوم، قلتُ لها: "أعترف بأنَّني راضٍ تمام الرِّضى، ليس فقط من أجل المأدُبة العظيمة، ولا من أجل الوجود بصُحبة جميع الضيوف الذين كانوا هنا. فإن فرحي اكتمل بمجرَّد وجودي معكِ. على أنَّ لديَّ أمرًا أخيرًا واحدًا أسألُكِ عنه: أودُّ أن أعلم هل كانت هذه الليلة كلَّ ما رجوتِ وتوقَّعتِ لها أن تكون؟"

أجابت: "إنَّ فرحي وسروري لَيفيضان. فالحبُّ الذي تُبديه لي يفوق كلَّ شيء أمكنني أن أتصوَّره على الإطلاق! يقينًا أنَّني استوعبتُ الكثير الكثير هذه الليلة. وكما يمرض بعضُهم من ابتلاع مقدار زائد من الطعام أو الشَّراب النقيّ، هكذا أنا مريضةٌ حبًّا!"

فشبكنا أيدِيَنا.

ثُمَّ أردفَت: "سألتَني هل كانت هذه الليلة كلَّ ما رجَوتُه، وسأُجيب عن سؤالك بصدق." واقتربت منِّي أكثر قربًا بالغًا بحيث كاد وجهانا يتلامسان. ونظرَت إلى داخل عينيَّ، وهمسَت: "طوال هذه الليلة، ما برحَت تتراقص في رأسي أفكارٌ رومنسيَّة بشأن وجودي وحدي معك. فرغمَ علمي بأنْ ليس الآن الوقتَ أو الساعة، فالفرح الوحيد الذي يبقى غير مُلبًّى هو فكرةُ أن تضع يُسراك تحت رأسي مُعانِقًا إيَّاي بيُمناك فيما تُسبِغ عليَّ كلَّ حبِّك!"

فأجبتُ جادًّا: "أليس في وسعكِ أن ترَي الرغبةَ نفسها في عينيَّ أنا؟ إنَّها لَتُذكيها الأفكار نفسُها تلك التي تتأجَّج في داخلي كالنَّار في الهشيم! لقد عايشتُ هذا الشَّغف المُضطرِم تجاهكِ من أوَّل يوم فيه رأيتُكِ في الحقل. أؤكِّد لك، يا حبيبتي، أنَّه سيأتي، وسيأتي سريعًا، اليوم الذي فيه لن تكون أشواقُنا العُمقى بحاجةٍ لأنْ تُكتَب بعد، حين لا يكون أيُّ داعٍ إلى كبح أدنى قسط من الحُبّ، حين يُوفى كلُّه. إنَّني أتعهَّد لكِ بهذا الليلةَ، بواسطة هذه القُبلة."

إذ ذاك انطبقَت أجفان أعيُننا، وتشاركت شفاهُنا في اتِّحادٍ رقيق. فاستمتعتُ بالقُبلة اللذيذة الطويلة، كما

استمتَعت هي.

ولمَّا افترقَت شفاهُنا أخيرًا، قلتُ لها: "حبيبتي، ما هذه إلاَّ بُلغة من التذوُّق المبدئيِّ لِما سيأتي."

فردَّت بابتسامة: "نعم!"

وعلى مضض، قمنا عن الطاولة. ثمَّ خرجنا من قاعة الولائم يدًا بيَد، فيما رافقتُها إلى المُقام المجاوِر. وهناك استقبلتنا بعضٌ من بنات القُدس اللواتي كنَّ يعتنين بالمُقام وبجميع ضيوفي.

وإذ تمنَّيتُ لها ليلة سعيدة، التفتُّ إلى الشابَّات الأُخريات قائلاً: "رافِقن الفتاة إلى الغرفة التي أُعِدَّت لها. لتسترِح ما دامت تودُّ ذلك. وعندما تستيقظ، لبِّين كلَّ حاجةٍ لديها. أستحلِفُكنَّ، أيَّتها البنات، بالغُزلان، أو بظِباء الحقول، ألاَّ تُوقظنَ حبيبتي أو تُنبِّهنها حتَّى تشاء."

نِقاط للتأمُّل

نجد وصفًا لأُسلوب بناء قصور سليمان في ١ملوك ٧: ١- ١٢، وللتُّروس في ٢أخبار الأيَّام ٩: ١٣-١٦، ولآنية الشُّرب الذهبيَّة في ٢أخبار الأيَّام ٩: ٢٠، وللمؤونة اليوميَّة على مائدته في ١ملوك ٤: ٢٢ و٢٣.

في وقتٍ أسبق، اصطحب الملك الفتاة لرؤية مهجعه. والآن، أتـى بها إلى قاعة ولائمه. فالرسالة الروحيَّة هنا هي أنَّ الربَّ لا يُريد فقط أن يوصلنا إلى مكان راحة وحميميَّة، بل أيضًا إلى مكانٍ فيه يمكننا أن نتعلَّم الابتهاج والاستمتاع به باعتباره طعامَنا المعنويَّ.

في جنَّة عدْن، عرَّف **الله** الإنسان بنفسه تعالى باعتباره طعامًا، كما هو مُمثَّل بشجرة الحياة.

وقد جاء الربُّ يسوع بصفته الإتمام لِما تُمثِّله تلك الشجرة. "وأمَّا أنا فقد أتَيت لتكون لهم حياة [حياةُ **الله**؛ حياة أبديَّة غيرِ مخلوقة؛ أسمى حياة في الكون؛ الحياةُ التي يحيا بها **الله** نفسُها]، وليكون لهم أفضلُ [تلك الحياة نفسُها بفَيضٍ فيَّاض]" (يوحنَّا ١٠: ١٠).

لقد مثَّل المسيح نفسَه لنا على أنَّه:

- الخبز الحيُّ (يوحنَّا ٦: ٥١)
- الماء الحيُّ (يوحنَّا ٤: ١٠)
- المأكل والمشرب الحقيقيَّان (يوحنَّا ٦: ٥٥؛ كولوسِّي ٢: ١٦ و١٧)
- الحقيقة الماثلة وراء جميع أعياد العهد القديم (كولوسِّي ٢:١٦و١٧)

فإنَّ تعلُّمَنا أن نأكل منه ليس فقط أمرًا مُهمًّا، بل هو ضرورةٌ حتميَّة.

"ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم **الله**" (متَّى ٤: ٤)

"ذوقوا وانظروا ما أطيب الربَّ!" (المزمور ٣٤: ٨)

فأن نتَّخذ المسيح طعامًا هو أن نتعلَّمَ التوجُّه إلى الداخل، إلى حيثُ يُقيم داخل أرواحنا، ونستمدَّ قوَّتنا منه. وأن نختبره باعتباره شرابنا هو أن نختبره بصفته الشخص الذي يمدُّ نفوسنا بالانتعاش، مثل كأس ماء باردة. فالأكل والشُّرب من المسيح هما في صميم قصد **الله** الأزليِّ للإنسان.

في أورُشليم الجديدة الموصوفة في سفر الرؤيا ٢١ و٢٢، المدينةَ كلَّها (وهي عروس المسيح) يُغذّيها ويُشبِعها ثمرُ شجرة الحياة ويُرويها نهرُ ماء الحياة المتدفِّقُ بسخاء من عرش **الله** والحَمَل (رؤيا ٢٢: ١- ٣). والمسيح الآن يقيم في داخلنا، في أرواحنا (١كورنثوس ٦: ١٧)؛ حيث يُشارِك روحُه أرواحنا.

والكلام الذي يتكلَّم به في داخلنا هو روح وحياة (يوحنَّا ٦: ٦٣).

ولسنا فقط نأكل منه "بالروح"، بل أيضًا نعبده "بالروح والحق" (أو "في الروح وفي الحقيقة"- يوحنَّا ٤: ٢٣ و٢٤).

فكما ترمز هذه الفتاة إليه، يجب أن نتعلَّم السماحَ للمسيح بأن يقتادنا إلى قاعة ولائمه. وإذ نغتذي به ونتمتَّع به، نكتشف يقينًا أنَّ عَلَمه فوقنا هو محبَّة!

أفكار/ صلوات

أيُّها الربُّ يسوع، أنت مأكلٌ حقٌّ وأنت مشربٌ حقٌّ. إنَّني بحاجة إلى أن آكل وأشرب منك كلَّ يوم. خُذني إلى مائدة ولائمك الآن. أُريد أن أتمتَّع بالمكوث في حضرتك والاستمتاعِ والابتهاج بك. كُن خبزي اليوميَّ. كن مائي الحيَّ. إنَّني أتعبَّد لك، يا ربّ، وأشكرك على محبَّتك!

اليوم العاشر

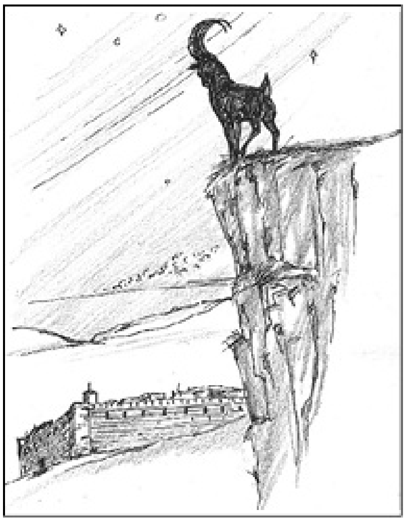

السُّور

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثاني

"أُحلِّفكنَّ يا بنات أُورشليم بالظِّباء وبأيائل الحقول، ألاَّ تيقِّظن ولا تنبِّهن الحبيب حتَّى يشاء."

"صوتُ حبيبي. هوذا آتٍ طافرًا على الجبال، قافزًا على التلال. حبيبي هو شبيه بالظبي أو بغُفر الأيائل. هوذا واقف وراء حائطنا، يتطلَّع من الكوى، يوصوص من الشبابيك. أجاب حبيبي وقال لي: 'قومي يا حبيبتي، يا جميلتي وتعالي. لأنَّ الشتاء قد مضى، والمطر مرَّ وزال. الزُّهور ظهرت في الأرض. بلغ أوانُ القضب، وصوت اليمامة سُمع في أرضنا. التينة أخرجت فجَّها، وقُعال الكروم تفيح رائحتها. قومي يا حبيبتي، يا جميلتي وتعالي'."

نشيد الأنشاد ٢: ٧- ١٣

مرَّت الأيَّام، وبتُّ مُستريحة تمامًا في محيطي الجديد. وقد تولَّت خدمتي خادماتٌ ليلَ نهار. وجُهِّزت لي خزانة ملابس غنيَّة. وفي أوقات فراغي، جنيتُ سرورًا عظيمًا من الإصغاء إلى الجوقة اللاويَّة والموسيقى اليوميَّة التي يعزفها موسيقيُّون مهَرة. وكانت أنواع الخبز واللحم والمرَق والفاكهة المتوافرة في كلِّ وجبة بكثرة بالغة فوقَ أيِّ شيء تصوَّرتُ وجوده يومًا.

ذات صباح، إذ كانت إحدى بنات القُدس تسكب ماءً لأجل حمَّامي، سألتُها: "أين محبوبي؟"

فكان الجواب: "ليس هو هنا. لقد ذهب إلى الجبال لتفقُّد الأخشاب الجاري جمعُها والمعدَّة للاستعمال في

مدينة القدس."

قلتُ مذهولةً: "ليس هنا؟ كيف يمكن أن يكون هذا؟ حسبتُ أنَّه سيبقى دائمًا معي هنا."

كم طالَ غيابُه، لم أعلم. ربَّما بضعةَ أيَّام، وربَّما أكثر. ولئن بدا الأمر غريبًا، ففي أثناء غيابِه بتُّ مُطمئنَّةً إلى حدٍّ بعيد، مُنهمِكة في بيئتي الجديدة بكلِّ ما فيها. ولكنْ فجأةً شعرتُ بنوبة الندم الحادَّة. ففكَّرتُ: كم أنا غبيَّة! أفعلاً أهملتُ الملك فيما كنت أتمتَّع بجميع الخيرات التي أسبغها عليَّ؟ هلِ استخففتُ به؟ كم أنا ناكرة للجميل كما لا بُدَّ أن يحسبني!

في إطار الدِّفء والحماية اللذَين اختبرتُهما داخل قصر الملك الشتويّ، لم أتنبَّه إلى الشتاء الدابِّ داخل قلبي.

لاحقًا في ذلك اليوم، جلستُ على حافة سريري في المهجع الفاخر الذي بات مُقامي الوقتيَّ، مُتحدِّثةً إلى إحدى الخادمات. وكنت آنذاك قد غدوتُ مُكتئبةً وقلِقة جدًّا بشأن مكان وجود الملك، غير عالمة متى يرجع. حتَّى إنَّني بدأت أتساءل عن احتمالِ أن يكون حبُّه لي قد برد.

ثُمَّ على غير توقُّع، سمعتُ هُتافًا خافتًا صادرًا من مكانٍ بعيد في الخارج. فوقفتُ توًّا وأسرعتُ إلى النافذة. وقلتُ لمُرافِقتي مُتعجِّبةً: "أصغي! هوذا حبيبي! إنَّني أراه! ها هو آتٍ، مُتسلِّقًا الجبال، واثبًا على التِّلال. انظُريه! إنَّه يبدو خفيفًا ونشيطًا جدًّا، كغزالٍ أو أيِّلٍ فتيٍّ يقفز على الصُّخور!"

ثُمَّ اختفى عن نظري إلى حين. وأملاً منِّي بأن أراه من جديد، ظللتُ مُحملِقةً عبر النافذة إلى أن يظهر ثانيةً كما أرجو. فإذا به هناك! وهذه المرَّة كان أقرب بكثير. فالآن كان وراء سُور حجريٍّ يفصلُ القصر عن الحقول وراءه، في مكانٍ غير بعيد جدًّا. كان واقفًا على رؤوس أصابع قدمَيه، بل ماطًّا قامتَه، كي يرى عبر نافذتي من خلال الشَّعريَّة هل أنا هُناك.

فهتفتُ: "أنا هنا، سُليمان، أنا هنا!" مع أنِّي لم أعلم إذا كان يستطيع سماعي.

وبصوتٍ قويٍّ جَهوَريّ، سمعتُه يصيح ثانيةً قائلاً: "قومي، يا حبيبتي، يا جميلتي، وتعالَي معي! لقد مضى الشتاء، ومرَّ المطر وزال. الزُّهور ظهرَت في الأرض! شدو الطيور وغناء اليَمام يملآن الجوَّ! سأصطحبُكِ إلى الكروم، وسنلعب هناك فيما تنشر الغُروس عبيرها الذكيّ. سنقطف التِّين، ومن ثَمَّ نرودُ الأماكن الصخريَّة ونعثر على مُختلًى في الأجراف. هلمِّي، يا حمامتي الحييَّة! اخرجي إلى الهواء الطَّلق واذهبي معي!"

نِقاط للتأمُّل

في هذه المقطوعة، يتابع حبيب الفتاة الملوكيُّ مسعاه، جاذبًا إيَّاها، طالبًا منها أن تمضي معه. سابقًا، استراحت معه على سريرهما الأخضر مُحدِّقةً صوبَ السماء. ثُمَّ اصطحبها إلى قاعة ولائمِه (حرفيًّا "بيت الخمر")، حيث كان علَمه فوقها محبَّة. والآن يُوافيها مجدَّدًا، مظهِرًا ذاته كمن يثِب على الجبال ويقفز على التِّلال.

إنَّ التصوير البيانيَّ هنا مؤثِّر جدًّا. فهو كان على الجبال؛ أمَّا هي فكانت وراء سُور. هو كان حرًّا؛ أمَّا هي فكانت محبوسة. هو كان قافزًا؛ أمَّا هي فكانت ساكنة. فإذ لم تُثبِّط همَّته الجبال (مشاكل الحياة الكبيرةُ) والتلال (العوائق والمصاعب الصُّغرى)، قفز فوقها وقهرها. في تلك الأثناء، كانت الفتاة تودُّ لو تكونُ معه حيث هو، ولكنَّها انكفأت. فإذا بسُور يفصلهما الآن. وكما تبيَّن لنا إذ نتابع القراءة، لم تكن

قادرة على الاستجابة لدعوته.

كانت مرحلة الحبِّ الأوَّليَّة لدى الفتاة ملأى بالاكتشاف والإعلان واللقاءات الجديدة لحبيبها. ولكن كان في تلك المرحلة أيضًا فصل شتاءٍ. ففي أثناء فصل الشتاء، تنتقل من اختبار حضور محبوبها أكثر فأكثر إلى اختباره شخصيًّا أقلَّ فأقلّ. وهي أيضًا تفقد الشعور بأنَّها، في نظر الملك، ما تزال جميلتَه الأجمل. ومع أنَّها من جهةٍ أرادت أن تكون معه، فإنَّها من الجهة الأخرى انكفأت وراء سُور.

وبالنِّسبة إلى المؤمن، فإنَّ افتقادات الربِّ- بكلمات مدام غيون- يمكن أن تكون ليس فقط "عرابينَ محبَّته، بل علاماتِ رحيله" أيضًا.

باديُ بدء، كانت إبداءات الملك للمحبَّة هي ما جذب الفتاة وجعلها تحبُّه. ولكنْ هل تظلُّ تحبُّه في غياب تلك الإظهارات العاطفيَّة؟

في عدم نُضجنا الروحيّ، يُمكن أحيانا أن نغدو مدمنين للمشاعر الرائعة التي تُثار فينا حين يؤتينا الربُّ إحساسَ حضوره المُسكِر. ولكن في أثناء فصول الشتاء، عندما نُمتحن، هل نظلُّ نحبُّ الربَّ ونتبعه حتى لو كنَّا لا نختبره أو نشعر بقرب حضوره؟ أنحبُّه من أجل لحظات الابتهاج الغامر حين نحسُّ لمسته؟ أم نحبُّه من أجل مَن هو، بصرف النظر عن كوننا نختبر هباته وخيراته أو لا نختبرها؟ وإذا جُرِّدنا من الشُّعور، فهل يمكننا أن نبقى ثابتين ونُبدي محبَّتنا له، حتَّى لو كان ذلك بالإيمان وحده؟

ورغم احتمال علمنا أنَّ في المسيح حرِّيَّة، أفليس صحيحًا أنَّنا نجد أنفُسَنا أحيانًا وراءَ سُورٍ من نوعٍ مَّا وغيرَ عائشين في تلك الحرِّيَّة؟

وفي الاختبار المسيحيّ، يمكن أن يُبنى ذلك السُّور بأشياءَ شتَّى.

ففي بعض الحالات، تمرُّ في مسيرتنا الروحيَّة أوقاتٌ تعقب اختبارنا مقابلةً رائعة للربِّ- كوجودنا معه على "سريرنا" أو الاستمتاع معه في قاعة ولائمه- حين نجد مكانَ اطمئنانٍ لا نريد أن نغادره مواصلين المسير. وليس بنادر أن ننصب خيمتَنا عند اختبارٍ روحيٍّ واحد، ونرفض التقدُّم إلى آخر. غير أنَّ تصرُّفنا هذا يُفوِّت على مُعطي جميع البركات الرُّوحيَّة فُرصةَ اقتيادنا خارجًا من قِطاعات راحتنا إلى ميادين جديدة من الاكتشاف الروحيّ.

إنَّ أيَّ اختبار روحيٍّ يمكن أن يتحوَّل إلى صنم عندما ننتقل من التماس الربِّ نفسه إلى التركيز على شيءٍ آخر. قد يكون ذلك مواهب الروح القدس. أو قد يكون محبَّة التكلُّم أمام الحشود. أو قد يكون الكنيسة. أو قد يكون عقيدة مُحبَّبة مَّا، أو مجموعة مُنوَّعة من الأُمور الأُخرى. ومهما كان ذلك، فمتى التمسْنا شيئًا آخر سوى المسيح، أو رفَّعنا شيئًا آخر إلى المنزلة التي ينبغي أن يشغلها المسيح وحده، فإنَّه في الأخير سينزع منَّا إحساس حضوره، وسنجد أنفُسَنا على سريرنا الخاصِّ، وبيننا وبينه سورٌ فاصل.

ويمكن أن يتَّخذ السُّور الفاصل أيضًا شكل نظامنا اللاهوتيِّ الخاصّ. وقد يكون أيضًا عقيدةً مَّا أنشأناها ونستند إليها بدلاً من الاستناد إلى المسيح نفسه. نرى هذا في حياة سمعانِ بطرس. فإنَّ "لاهوتيَّاتِه" تصدَّعت مرارًا وتكرارًا حتَّى يمكنَ أن يُنقذهُ المسيح ويصيرِ الكُلَّ لديه. مثلاً الوقتَ على جبل التجلِّي، لما رأى بطرسٍ المسيح ظاهرًا في مجد، وموسى وإيليَّا يتكلَّمان معه. فقد أراد بطرس أن ينصب ثلاث خِيَم، واحدةً لكُلٍّ منهم. ففي منظور بطرس اللاهوتيّ، رأى الثلاثة أندادًا مُتساوين: المسيح وموسى (مُمثِّلاً الناموس) وإيليَّا (ممثِّلاً الأنبياء). ولكن عندئذٍ جاء من السماء الصوتُ القائل: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرت؛ له اسمعوا!" وإذ رفع بطرس والتلميذان الآخران أنظارهم لم يرَوا إلاَّ يسوع وحده.

في العهد القديم، إذا أراد شخص أن يعرف ماذا يستطيع أن يأكل أو كم من العمل يمكنه أن يعمل يوم

السَّبت، كان من شأنه أن يتوجَّه إلى كتاب الناموس ليجد الجواب. وإذا أراد رجلَ أن يعرف أيتزوَّج بامرأة معيَّنة أم لا، أو امرأةٌ أن تعرف أتتزوَّج من رجل معيَّن أم لا، أو شخصٌ مَّا هل يقوم بسَفرة عتيدة، كان هؤلاء يذهبون إلى نبيٍّ من شأنه أن يسأل **الله** فيتلقَّى الجواب. وفي كلا الوضعَين، لم يكُن من اتِّصال مباشر **بالله**، لأنَّ **الله** كان يُقيم في قدس الأقداس، في نور لا يُدنى منه، حيث لا يستطيع الشخص العاديُّ أن يدخل.

فكان واجبًا أن ينقض الربُّ يسوع لاهوتيَّات بطرس القديمة بإفهامه أنَّ الطريقة القديمة لمعرفة مشيئة **الله** باستشارة الناموس والأنبياء قد كُسِفت. ذلك أنَّ مشيئة **الله** وحضرته لم تكونا لتُميَّزا بعدُ بواسطة كتاب أو استشارة شخص ما. ففي وسع المرء الآن أن يذهب إلى **الله** مباشرةً بواسطة عَلاقة حيَّة بيسوع المسيح.

وفي يوحنَّا ١٣، أُسقِطت قنبلة أُخرى على لاهوتيَّات بطرس. فبعد ثلاث سنين ونصف من اتِّباع الربّ، حسب أنَّه آنذاك بات مدركًا الأُمور على حقيقتها. لقد كان يسوع هو الربَّ، فجعله ذلك خادم الربّ. ولكن ليلَة العشاء الأخير- في واحدة من إشارات الحبِّ الأخيرة من قِبَل المسيح قبل ذهابه إلى الصليب- ركع مثل خادم عاديٍّ وشرع يغسل قدمَي بطرس. وإذ أُسخِط بطرس وارتاع (لأنَّ المسيح خالف لاهوتيَّاته: السادَة لا يخدمون الخُدَّام؛ الخُدَّام يخدمون السادة)، زجر الربَّ بشدَّة قائلاً: "لن تغسل قدميَّ أبدًا، كلاَّ البتَّة، إلى دهور الأبديَّة!"

غير أنَّ بطرس أعوزه أن يُفهَم أنَّه ما لم يكن راغبًا في أن يسمح أوَّلاً للمسيح بأن يخدمه فليس في وسعه أبدًا أن يكون تلميذ المسيح. لقد كان بطرس بحاجة لأنْ تُكتب لاهوتيَّاته من جديد. وأوَّلاً وقبل كلِّ شيء، أعوز بطرس أن يتعلَّم أن يكون مُتلقِّيًا. أعوزه أن يسمح للربِّ بأن يغسل قدمَيه من غُبار هذا العالَم، وأن يُنعِشه ويُشبعه، قبل أن يكون له أيُّ نفع على الإطلاق في خدمة الآخرين.

أفكار / صلوات

بين الرُّعاة المذكورين في تأمُّل أسبق، أحدُ الذين ما تزال سيرتُهم وخدمتهم تؤثِّران في مؤمنين بالمسيح كثيرين جدًّا هو أ. ب. سِمبسون. وقد وُلد سمبسون سنة ١٨٤٣، وكان واعظًا ولاهوتيًّا ومؤلِّفًا وناظم ترانيم فصيحًا، ومؤسِّس الاتِّحاد المسيحيِّ والإرساليّ. في مجرى حياته، كتب أكثر من مئة كتاب وعددًا من الترانيم المشهورة؛ وفي كهولته، اختبر شفاءً إلهيًّا من اعتلال مزمن في القلب. ومع أنَّه آمن وكرز بالشفاء الإلهيّ، فقد ظلَّ مُحافظًا على المنظور الصحيح في إعلاء شخص المسيح بدلاً من إعلاء شأن مواهبه. وهذا مُبيَّن في السُّطور التالية من إحدى ترنيماته المشهورة "في الماضي، كان الأمر هو البركة":

في الماضي، كان الأمر هو البَرَكة،

أمَّا الآن فهو الربّ؛

في الماضي، كان الشُّعور،

أمَّا الآن، فهو كلمته المقدَّسة؛

في الماضي عطيَّتَه أردتُ،

أمَّا الآن فالمُعطي هو لي؛

في الماضي التمستُ الشَفاء،

أمَّا الآن فالربَّ نفسَه وحده.

الكلَّ في الكُلِّ إلى الأبد،

المسيحَ وحدَه سأُغنِّي؛

كلُّ شيءٍ هو في المسيح

والمسيح هو كلُّ شيء!

فإذا شعرتَ بأنَّك واقع في شَرَك وراء سور بطريقة قديمة في القيام بالأُمور، إذا كنتَ عالقًا في الروتين الدينيِّ لفكرةٍ لاهوتيَّة قديمة لا تقرِّبك أكثر إلى الربِّ أبدًا، إذا كنت مُختنقًا داخل بيئة دينيَّة خانقة أو مُعانيًا خيبةً ما لأنَّ **الله** الذي حسبتَ أنَّك تعرفه لم يرقَ إلى مستوى آمالك، فالآنَ أوانُ رفع عينيك إلى ذاك القافز على التلال والجبال. إنَّه حرٌّ كلِّيًا. وهو يريد لك أن تنضمَّ إليه حيث هو. إنَّه مَن يُناديك قائلاً: "قُم، يا حبيبي، يا جميلي، وتعال!"

خلاصة القسم الأوَّل

الحبُّ الأوَّليُّ

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثاني

"حبيبي لي وأنا له. الرَّاعي بين السَّوسن. إلى أين يفيح النهر وتنهزم الظِّلال، ارجِع وأشبِه يا حبيبي الظَّبيَ أو غُفر الأيائل على الجبال المُشعَّبة."

نشيد الأنشاد ٢: ١٦ و١٧

تتلخَّص المرحلة الأُولى من فهم الفتاة لحُبِّ حبيبها في هذه الآية: "حبيبي لي، وأنا له" (نشيد الأنشاد ٢: ١٦) أو بما تضمَّنته آيتان سابقتان في هذا القسم: "...حبيبي لي..." (نشيد الأنشاد ١: ١٣ و١٤). وقد كانت هذه مرحلة اكتشاف وإعلان. فمع أنَّها باتت تعرف وتحبُّ مليكها، فالتَّشديد كان في المقام الأوَّل على نفسها، على ما كانه بالنِّسبة إليها. إنَّها لم تصل بعدُ إلى اكتشاف روعة ما كانته هي بالنسبة إليه والسرِّ العجيب في ذلك.

فحتَّى الآن، رأت واختبرت:

- أنَّ حبَّ حبيبها أفضل من أيِّ شيء يمكن أن يقدِّمه هذا العالم (نش ١: ٢)
- أنَّه كان هو الملك (نش ١: ٤)
- المفارقة بين مَن كان هو ومن كانت هي (نش ١: ٥)
- أنَّها احترقت على نحو شديد بمحاولتها أن تعيش في ظلِّ قوانين وقواعد ونشاط خارجيٍّ ألهاها

(نش ١: ٦)

- أنَّه كان للملك الراعي قطيعُه ورُعاتُه الذين يسَعُها أن تتبعهم فتجد الراحة والغذاء اللذَين كانت تَنشدهما (نش ١: ٨)
- أنَّ جمالها سيأتي نتيجةً لعطيَّة حبيبها، لا ممَّا كان في وسعها أن تُنتِجه من تلقاء ذاتها (نش ١: ١١)
- إعلانًا أعظم وتقديرًا أوفى للموت والقيامة (نش ١: ١٣ و١٤)
- الراحة والاتِّحاد معه والمعرفة بأنَّ ما كان له كان لها أيضًا (نش ١: ١٦ و١٧)
- الاستمتاع إلى مائدة ولائمه، حيث علمُه فوقها محبَّة (نش ٢: ٤)
- أنَّ حبيبها كان حُرًّا كغزال (نش ٢: ٨ و٩)

ولكنْ رغم كونها قد رأت جميع هذه الأُمور واختبرَتها جزئيًّا، لم تكُن هذه كلُّها قد جُعِلت جزءًا من حياتها.

وفي هذا القسم، اكتشفَت أيضًا أنَّها كانت نرجس شارون- شيئًا شائعًا ومعتادًا- ولكنْ أيضًا أنَّها كانت سوسنةَ الملك (نشيد الأنشاد ٢: ١ و٢). وفي الآية ١٦ من الأصحاح الثاني، تعلَّمَت أنَّه "الراعي بين السَّوسن". فماذا يعني أنَّه يرعى بين السَّوسن؟ ثمَّة طريقتان ممكنتان للنظر إلى الأمر: إذ يمكن أن يعني أنَّ الملك يُطعِم حبيبته، جميلتَه، بين "سَوسنات" أُخَر؛ أو أنَّ الملك نفسه يأكل ويجد اطمئنانًا وشِبعًا بين السَّوسن. وفي كلتا الطريقتين، بيتُ القصيد أنَّ هنالك أُخرَياتٍ مثلَها. فالسَّوسن يُمثِّل أنقياءَ القلوب الذين يطلبون الربَّ باجتهادٍ وشوق، مثلما تفعل الفتاة.

في متَّى ٦: ٢٨- ٣٠، قال المسيح:

"ولماذا تهتمُّون باللِّباس؟ تأمَّلوا زنابق الحقل [أو سوسنَ الوادي] كيف تنمو! لا تتعب [تشتغل] ولا تغزل [الصُّوف]؛ ولكن أقول لكم: إنَّه ولا سليمان في كلِّ مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويُطرح غدًا في التنُّور، يُلبِسه **الله** هكذا، أفليس بالحريّ جدًّا يُلبِسكم أنتم، يا قليلي الإيمان؟"

إنَّ زنابق الحقل لا تشتغل. إنَّها مُستريحة، مَكسوَّة بالجمال الملوكيِّ الذي وهبها **الله** إيَّاه. وهي تقف شامخة، غير أنَّها بصورة طبيعيَّة تنحني مُبديةً التواضُع.

وإذ يكتب بولس إلى تيموثاوس في ١تيموثاوس ٣: ١٥، قال لتلميذه الرسوليِّ هذا إنَّ على المرء أن يتعلَّم كيف يجب أن يتصرَّف "في بيت **الله**، الذي هو كنيسة **الله** الحيّ، عمود الحقِّ وقاعدته." ولكنْ إذ يكتب إليه ثانيةً بعد خمس سنين تقريبًا، حين كانت الكنيسة في حالة انحِدار، شبَّه الكنيسة بـِ "بيت كبير" فيه "ليس آنية من ذهب وفضَّة فقط، بل من خشب وخزف أيضًا، وتلك للكرامة وهذه للهوان. فإن طهَّر أحد نفسه من هذه، يكون إناءً للكرامة، مُقدَّسًا، نافعًا للسَّيِّد، مستعدًّا لكلِّ عمل صالح" (٢تيموثاوس ٢: ٢٠ و٢١).

كما كانت الحال في أواخر القرن الأوَّل، فإنَّ الكنيسة اليوم، في معظم أنحاء العالم، هي في حالة انحطاط. وكما في أفسُس (حيث كان تيموثاوس لمَّا تلقَّى رسالة بولس)، فإنَّ الكنيسة اليوم مثل "بيت كبير". وفي بيت كبير، تحتشد الجُموع، تُمثِّلها هذه الآنيةُ العاديَّة من الخشب والخزف، الأكثرُ انتشارًا وعددًا. فاليوم، تحتشد الجموع في مباني الكنائس وتُشكِّل جمهورًا غفيرًا، ولكنَّ مُعظم هؤلاء لا يصيرون أبدًا معروفين حقًّا بعضُهم عند بعض، ولا مُجتذَبين إلى علاقةٍ أعمق بالمسيح.

وعلى نقيض أواني الخشب والخزف، هنالك آنية الذهب والفضَّة. هذه الآنية ثمينة ونادرة وقد اجتازت نار التَّنقية. ففي وسعنا أن نتعلَّم من هذه المفارقة أنَّ لدى **الله** سرًّا: أنَّه يمكن أن يوجد وسط القليلين، لا بين الكثيرين.

وبعدما طلب بولس من تيموثاوس أن يطهِّر نفسه "من هذه" (أواني الخشب والخزف)، حضَّه قائلاً: "أمَّا الشهوات الشبابيَّة فاهرب منها، واتبع البرَّ والإيمان والمحبَّة السلام **مع الذين يدعون الربَّ من قلبٍ نقيّ**" (٢تيموثاوس ٢: ٢٢، التشديد من عندي).

إنَّ الذين يدعون الربَّ من قلب نقيٍّ هم السَّوسن. وبين هؤلاء الذين يُمثِّلهم السَّوسن يرعى ربُّنا ويمكن أن يوجَد!

هذا، ويمكن أن نجد أمثلة أُخرى على هذا المبدإ في سفر الخروج، حيث نقرأ أنَّ **الله** في الأصل قصد للأُمَّة القديمة بكاملها أن تكون مملكة كهنة (خروج ١٩: ٣- ٦). ولكن بعدَ عدم أمانة الشعب بعبادة العِجل الذهبيّ، جُعِل الكهنوت فقط من نصيب سبط لاوي الذي سيُمثِّل من ثَمَّ الأُمَّة كلَّها.

وفي سفر عزرا، نشر الملك كورش مرسومًا مكتوبًا في جميع أنحاء مملكته، يُفيد أنَّ في وسع أيِّ شخص من بين اليهود أجمعين يُريد الرُّجوع من السَّبي في بابل إلى مدينة القدس لبناء هيكل **الله** من جديد أن يرجع ويفعل ذلك. حتَّى إنَّ كورش ضمن أنَّ دعمهم المادِّيَّ سيُوفَّر. ولكنَّ أقليَّةً فقط تجاوبوا.

وفي الرسائل إلى الكنائس السَّبع في سفر الرؤيا، نرى مرَّة أُخرى بعدُ نداء الرُّوح القدس صادرًا إلى جميع شعب **الله**، ولكن ليس الجميع مُتجاوِبين. غير أنَّ الذين يستجيبون تلقَّوا الوعد بأنَّ الربَّ نفسه سيرعاهم وأنَّه ستكون لهم شركة حميمة معه:

- إلى الكنيسة في أفسس: "مَن يغلب فسأُعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس **الله**." (رؤيا ٢: ٧)
- إلى الكنيسة في برغامس: "مَن يغلب فسأُعطيه أن يأكل من المنِّ المُخفى." (رؤيا ٢: ١٧)
- إلى الكنيسة في لاودكيَّة: "هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي." (رؤيا ٣: ٢٠).

ثُمَّ إنَّ هذا القسم من النشيد يُختَم بصَيحة الفتاة: "ارجِع وأشبه، يا حبيبي، الظَّبي أو غُفر الأيائل على الجبال المُشعَّبة."

إنَّ الكلمة المُترجَمة "المُشعَّبة" هي في الأصل بِتِر، ومعناها "فصل". لقد قامت بين الفتاة ومحبوبها جبالُ فصل. فمنع أنَّها علمت أنَّه يرعى بين السَّوسن، ظلَّت تشعر بأنَّها غريبة. ومع أنَّها رأته حُرًّا كالغزال وقادرًا على الوثوب فوق الجبال، ظلَّت مُنكمِشة وانكفأت وراءَ سُور. غير أنَّ الحبَّ- والشُّكرُ لله- لم يستسلم من جهتها. فحتَّى في هذه الحالة، كانت تُجتذَب إلى مرحلة أعمق في معرفتها ومحبَّتها لحبيبها: مرحلة الحُبِّ المُتزايِد.

الباب الثاني: حبٌّ مُتزايِد

"أنا لحبيبي، وحبيبي لي."

نشيد الأنشاد ٦: ٣

اليوم الحادي عشر

أين يُمكِنني أن أجِدَ حبيبي؟

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثاني

"خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغار المفسدة الكروم، لأنّ كرومنا قد أقعلت."

"حبيبي لي، وأنا له؛ الراعي بين السَّوسن. إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظِّلال، ارجع وأشبه، يا حبيبي، الظَّبي أو غفر الأيائل على الجبال المشعَّبة."

نشيد الأنشاد ٢: ١٥- ١٧

"في الليل على فراشي طلبتُ من تحبُّه نفسي؛ طلبتُه فما وجدته. 'إنِّي أقوم وأطوف في المدينة؛ في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبُّه نفسي.' طلبتُه فما وجدته. وجدني الحرس الطائف في المدينة، فقلتُ: 'أرأيتم من تحبُّه نفسي؟' فما جاوزتهم إلاَّ قليلاً حتَّى وجدتُ من تحبُّه نفسي؛ فأمسكته ولم أُرخه، حتَّى أدخلته بيت أُمِّي وحجرة من حبلت بي."

نشيد الأنشاد ٣: ١- ٤

بعد ذلك بساعات، جلستُ وحدي في غرفتي تائقةً توقًا شديدًا ومُفكِّرة. كنت مُتيقِّنة بأنَّ حبيبي قد مضى إلى مكان بعيد ثانيةً. كان قد أتى ودعاني إلى الذَّهاب معه إلى الرِّيف والمرتفعات، ولكنَّني توانيتُ في الذَّهاب. وبقي السُّور حاجزًا فاصلاً بيننا. فمع أنَّه كان مستعدًّا لاصطحابي، لم أكن أنا مستعدَّة لذلك.

فجأةً، سمعتُ قرعًا على الباب. ولمَّا فتحتُه، ناولتني إحدى الخادمات دَرْجًا صغيرًا، وقالت: "إنَّها رسالة لكِ من الملك."

كنتُ مُتردِّدة، بل خائفةَ أيضًا، إذ فضَضتُ الختم. وإذا في الدَّرج بضعةَ أسطر فقط. فقد تضمَّنت الرِّسالة ما يلي:

أمسِكوا لنا الثعالب، الثعالب الصغار المُفسِدة للكروم، فإنَّ كرومنا قد أزهرت.

سليمان.

ناجيتُ نفسي بصوت عالٍ، مُتنفِّسةً الصُّعداء: "حبيبي لي، وأنا له!" فلأسباب لم أستطع فهمها تمامًا، علمتُ أنَّ سليمان ما زال يحبُّني. وتمهَّلتُ هُنَيهةً مفكِّرةً: أعلمُ أنَّ في مملكته أُخرَيات... سوسناتٍ أُخَر يأكل معهنَّ ويستمتع. أعلمُ أنَّ عليه بعض الأحيانِ أن يمضي ليكون معهنَّ، لأنَّه ليس فقط مليكي، بل مليكهُنَّ أيضًا. فهنَّ يحتجن إلى حمايته وعنايته، ولَهُنَّ قلوبٌ جائعة للاستماع إلى أقواله أيضًا. ولكنْ كم أتمنَّى لو يعود إليَّ! فاسمع التماسي، يا سليمان. ارجِع، يا حبيبي. ارجِع إليَّ. كُن مثلَ غزال أو أيِّل فتيٍّ على الجبال المُشعَّبة، الجبال الفاصلة بينَنا!

على مدى أيَّام، فكَّرتُ مليًّا في مضمون الرِّسالة الغامضة. هل كانت أُحجيَّة؟ لقد جعلَتني أسهد ليلة بعد ليلة وأتقلَّب على سريري. ثُمَّ في وقتٍ مُتأخِّر ذات ليلة، عاودتني ذكرى. كانت عن اليوم الذي فيه وجدني الملك في كرمي الخاصِّ المهمَل. وقد كنتُ حينذاك مُلتهية جدًّا بعملي. ولكنَّني أدركتُ أنَّني الآن كنت مُلتهية بجميع أسباب الراحة الجديدة لديَّ! كنتُ مُقيمة تحت سقف الملك نفسه. وكان خدَّامه يُلبُّون احتياجاتي كلِّها. وقد عوملتُ كما لو أنَّني ملِكتُه فعلاً. وذقتُ الكثير من الرفاهية والخير. أمَّا الآن فأدركتُ أنَّني بتُّ مُلتهيةً مرَّةً أُخرى، إنَّما كان التهائي هذه المرَّة بجميع الخيرات التي أسبغها عليَّ!

تناولتُ الرسالة الصغيرة، وقرأت من جديد أوَّل جزءٍ فيها:

أمسِكوا لنا الثعالب، الثعالب الصغار المُفسِدة للكروم.

وإذا بعينَيَّ تنفتحان، كما لو كان بإعلان. فقلت مشدوهةً بصوتٍ عالٍ: "هذه الكروم تُمثِّل قلبي! فما انفكَّت الثعالب تقضم وتلتهم ما كان مقصودًا أن يكون بجُملته للحبيب. وقد كنتُ مُهمِلة جدًّا لكرمي الخاصِّ، مرَّة أخرى، بحيثُ لم أكن راغبة في الذَّهاب معه لرؤية الكروم التي تخصُّنا كِلَينا. وهو ما كان ليأخُذني إلى هناك قسرَ إرادتي. أوه، سليمان! يجب أن أقوم وأبحث عن محبوبي!"

ارتديتُ ثيابي على عجل، وخرجتُ بسُرعة إلى الشوارع، مُفتِّشةً في الساحات والطُّرقات. ورآني الحُرَّاس الطائفون في المدينة، فاقترب إليَّ أحدهم وسأل: "هل تحتاجين إلى مساعدة، أيَّتها العزيزة؟"

فقلتُ: "نعم حقًّا، أحتاج! أرأيتم من تحبُّه نفسي؟"

نظر الحرَّاس بعضُهم إلى بعض بفطنة كما لو كانوا يتشاركون في سرّ. وإذ حدَّقوا إلى شارع ضيِّق مُتفرِّع من الساحة الرئيسيَّة، أشارت أعيُنهم إلى الاتِّجاه الذي ينبغي أن أسير فيه.

اندفعتُ سائرةً في ذلك الشارع. وما إن ابتعدتُ عن الحرس قليلاً، حتَّى وجدتُه. كان جالسًا على سياج من حجر، محدِّقًا إلى القمر والنجوم فوقُ. فأقبلتُ إليه من وراء، ومددتُ يديَّ فأمسكتُه وتشبَّثتُ به، وما كنتُ لأُفلِته.

وإذ طوَّقتُ خصره بكِلتا ذراعيَّ تطويقًا مُحكمًا فيما نحنُ ماشيان معًا رجوعًا إلى المُقام، قلتُ: "إنِّي أُدرك أنَّ قلبي قد ضلَّ عنك، حتَّى بينما كنتُ أتمتَّع بجميع خيرات الإقامة تحت سقفك. أنا على استعداد للتخلِّي عنها كلِّها إذا كان ذاك هو ما تطلبه أنت منِّي. حقًّا، حبيبي، إنَّ ذلك كلّه لا يعني شيئًا إن لم تكُن أنت هناك. فحيثُما تكُن، يكُن بيتي، حتَّى لو عنى ذلك أنَّ عليَّ أن أرجِع بك إلى بيت أمِّي، وإلى الغرفة الصغيرة التي فيها حبلَت بي."

فقال الملك: "لقد تعلَّمتِ درسًا عظيمًا، يا حبيبتي. إنَّ أعظم كنز لنا في الحياة ليس موجودًا في الأشياء،

بل في كِلَينا الواحد بالنِّسبة للآخر."

ابتسمتُ قائلةً: "أودُّ أن أصطحبك إلى هناك يومًا مّا لأسباب أُخرى أيضًا. إنَّ حبَّك لي عجيبٌ جدًّا، وأنت فائقُ الحِكمة والصلاح. فأودُّ أن أعرضك أمام أهل بيتي حتَّى يفرحوا معي!"

كنتُ مُتعَبة، وقد فات الوقت. فاستدعى الملك بناتِ القُدس اللواتي يعتنين بالمُقام، وقال لهُنَّ: "رافِقنَ حبيبتي إلى غرفتها. أستحلِفكنَّ، يا بناتِ أُورشليم، بالظِّباء وبأيائل الحقل، ألاَّ توقِظن ولا تُنبِّهن الحبيبة حتَّى تشاء."[1]

استمتعتُ بنومِ ليلة طويلٍ هنيء دامَ حتَّى الضُّحى. أخيرًا أيقظتُ نفسي ولبستُ ثيابي. وبلَّغتني إحدى خادماتي رسالةً من الملك. لقد أراد أن نتلاقى لوجبة باكرة.

ذهبتُ مع مُرافِقاتي إلى قاعة الطعام. وكان الملك بانتظاري هناك، فحيَّاني بابتسامة تنضح بالشَّوق. "تبدين جميلةً كما في كلِّ حين، يا عزيزتي. أرجو أن تكوني قد استرحتِ جيِّدًا البارحة."

وإذ رحَّب بي بقُبلة قصيرة، قلتُ: "ابتسامتُك مُشرقة بصورة استِثنائيَّة هذا الصباح، سيِّدي الملك. هلاَّ تُخبِرني ماذا يبعث فيك هذه السعادة الغامرة؟"

فأجاب بابتسامة عريضة: "سأُخبرِكِ... على معدة ملأى!"

جلسنا إلى المائدة التي كانت قد أُعِدَّت لنا. وسألَنا الخُدَّام ماذا نريد أن نأكل، ثُمَّ ملأوا صحنَينا بتشكيلة من اللَّحم والخُبز والجوز واللَّوز والفاكهة المُجفَّفة.

وبعدَ بضع لُقَم، حطَّ الملك شوكته وباشر الحديث قائلاً: "لقد آن الأوان كي نستعدَّ ليوم زفافنا، يا حبيبتي."

فوثب قلبي إلى حنجرتي.

وقال الملك، بضحكة خفيفة: "تبدين كما لو أنَّكِ قد أُصبتِ بصدمة، محبوبتي!"

أخيرًا استطعتُ أن أقول: "ما خانتني الكلمات قطُّ هكذا! ما برِحتُ أحلم بسماع هذه الكلمات خارجةً من شفتَيك منذ يومَ تلاقَينا أوَّل مرَّة! لقد عرفتُ من أفعالك ما نويتَه، ولكنَّ سماعي هذه الكلمات أيضًا جعل قلبي يثِب. أنت بالحقِّ رائع... مُحقِّقُ جميع أحلامي! لا يمكن أن أكون أبدًا أسعدَ منِّي الآن! كيف تتصوَّر أن يكون الزِّفاف؟ كيف نبدأ الاستعداد؟"

برقَت عيناه الداكنتان حبًّا؛ ولكنَّني رأيت فيهما شيئًا آخر بَعد، شيئًا جعلني أتوقَّف. وما لبِث أن قال: "أنا أيضًا ما برحتُ أنتظر وأتوق اليومَ الذي فيه سنصبح أخيرًا زوجًا وزوجة. فبالنِّسبة إليَّ، حبيبتي، لا يُعقَل أن يأتي ذلك أسرعَ ممَّا ينبغي. ولكنْ لا بدَّ أوَّلاً من حدوث أمرٍ آخر. فبعد أيَّام قليلة، يجب أن تُغادري هذا المكان وتبتعدي عنه إلى حين."

فإذا بالفرح يفارق وجهي سريعًا.

وسألتُ: "ولكنْ... ماذا تعني؟ يا له من مزيجٍ غريب في الأخبار، حلو ومرٍّ معًا! رجاءً، اشرح لي، فإنِّي متحيِّرة. أيُّ سبب يُوجِب انفصالنا؟"

وإذ لمس استيائي، بادر إلى طمأنتي، فأجاب: "كوني على ثقة بأنَّه ليس من شيء أُريده أكثر من أن أكون معكِ... إلى الأبد! إنَّما لا ينبغي أن تنسَي أنَّك لستِ مُقبِلةً على التزوُّج من مجرَّد رجُل عاديّ. إنَّك ستتزوَّجين من ملك! فإله السَّماء قد ولاَّني على مملكة. وأنتِ قد رأيتِ أجزاءً من هذه المملكة، إلاَّ أنَّ هنالك أجزاءً أُخرى لم تَريها. فأنا أُريد لكِ أن تعرفي كامل مملكتي، والبرِّيَّة جزءٌ من تلك المملكة. ومع أنَّكِ سوف تسيرين في جميع أنحاء هذا البَلَد، يجب ألاَّ تنسَي أبدًا أنَّ جزءًا من مملكتي قاحل وغير

مُثمِر، غير أنَّه ما يزال تحتَد حُكمي. فأريد لك أن تتعلّمي كيف تعيشين وتسيرين وتمكثين هناك أيضًا. ولئن كان توجيهي قاسيًا كما قد يبدو، فسوف تصبحين مُدركةً هذا: أنَّ البرِّيَّة مكان فيه ستتعلَّمين أُمورًا لا يمكن أن تتعلَّميها في أيِّ مكانٍ آخر، أُمورًا ستُعِدُّكِ لحياتنا المُشتركة. وما سوف تكتشفينه هناك لن يؤول إلاَّ إلى جعل حبِّنا أقوى." ثُمَّ تفحَّص وجهي وابتسم إذ أومأتُ برأسي موافِقةً.

فأردف: "مع أنِّي لن أذهب معكِ، فسأبعثُ شخصًا يُرافقكِ: والدتي، الملكة بتشبع. لقد كانت هي الزوجة المحبوبة لدى والدي داود. لطالما أرادت أن تقضي وقتًا معكِ منذ علِمَت أنَّني وقعتُ في حبِّكِ وأردتُ أن تكوني زوجتي. أُريد لكِ أن تتعرَّفي بها. لقد كان أبوها أخيتوفل مُستشارَ الملك داود. إنَّ أُمِّي امرأة حكيمة جدًّا. إنَّها تعرف حقيقة كون المرأة ملكة، وهي تعلم طُرقي. وأنا أتَّكل كثيرًا على نُصحها. فسوف تتعلَّمين منها الكثير."

قلتُ: "أنا واثقة بأنَّ ما تقولُه، يا مليكي، حقٌّ ولازم، ولكنَّه لا يؤتيني إلاَّ راحةً ضئيلة." غير أنَّني، رغم ذلك، أرغمتُ نفسي على أن أكون شُجاعة. كان في وسعي أن أسمع الفهم في صوته، ومع ذلك استصعبتُ أن أُصدِّق كلماته.

وما لبِث أن قال: "صدِّقيني، إنَّني أفهم ما تشعرين به، ولكنَّ ذلك سيكون للأفضل. وبينما أنتِ هناك، سأبعثُ أمهر خيَّاط ليصنع ثوب عُرسكِ، وجماعةً من رجالي المقتدرين ليَحموكِ. لن تَرَي عسكري، ولكنَّهم سيكونون على مقربة منك تمامًا. وعندما تكونين مستعدَّة لمغادرة البرِّيَّة، سيُرافقونكِ في طريق العودة إليَّ على أريكتي الملوكيَّة، حاملين إيَّاكِ على أكتافهم.

"وفي غضون ذلك، لديَّ مكانٌ أُعِدُّه لكِ! فعندما ترَينني ثانيةً، سيكون ذلك في يوم زفافنا. وسأكون مُمتطيًا لمُلاقاتكِ عرشًا رحَّالاً سأصنعُه بيديَّ من خشب لبنان. سنتشارك فيه، حبيبتي. وسيكون ظهره مصنوعًا من الذهب، ومقعده من قُماش أُرجوانيّ، وبطانتُه من نسيج مُطرَّز فاخر، وسيحمله خُدَّامي على دعائم من فضَّة. وفي أعقاب يوم فرحنا، سأُمسك بيدِك، وستعتلين عرشي معي. ثُمَّ نمضي راكِبينِ معًا، زوجًا وزوجة!"

نِقاط للتأمُّل

في نشيد الأنشاد ١: ١٦، تقول الفتاة: "سريرنا أخضر." وفي نشيد الأنشاد ٣: ١ نقرأ قولها: "في اللَّيل على فراشي [سريري] طلبتُ من تحبُّه نفسي." فلنُلاحِظ التغيير في التعبير، دلالةً على الاشتياق والخسارة: ما كان في ما مضى "سريرنا" هو الآن "سريري". لقد باتت الفتاة مستريحةً جدًّا في ظروفها بحيثُ لم تدرك أنَّ عريسها قد رحل! فنحن الآن نراها على سريرها، ليلةً بعد ليلة، ما تزال وراء سُور الانفصال. وإذ باتت ذاهلة من جرَّاء خسارة حضور حبيبها، لم يعُد في وسعها أن تبقى في مكان راحتها بمعزلٍ عن الوجود معه.

إنَّ "الجبال المُشعَّبة" تعني في الأصل حرفيًّا "جبال الانفصال".

ولمَّا صار توقُها إلى تغيير ظروفها أخيرًا أقوى من احتمالها للألم الذي كانت تُعانيه على سرير راحتها، تخلَّت عمَّا هو مألوف واستجابت لدعوة الملك أن "قُومي!" وفي الحال بعد تواصُلها مع الحُرَّاس، وجدَت مَن تحبُّه نفسُها.

صحيحٌ أنَّ رحلتنا نحو النُّضج الروحيِّ شخصيَّة إلى أبعد حدّ، ولكن ليس في وسعنا أن نبلغه مُنفردين. فعلى غِرار الفتاة، نحتاج أحيانًا لأن نلتمس المعونة من أشخاص آخرين في جسد المسيح (الحُرَّاس)،

أولئك الذين ينتظرونه ويُراقبونه أيضًا. إنَّ الربَّ يمكن أن يتكلَم إلينا مباشرةً، ولكنَّه أيضًا يتكلَم إلينا من خلال مؤمنين آخرين. بهذه الطريقة أحيانًا نجده وننضمُّ إلى الرُّفقة في سعينا وراءه.

وقد كان هذا درسًا أساسيًّا احتاج حتَّى الرُّسلُ إلى تعلُّمه. ففي أعقاب القيامة، كانت مريم المجدليَّة هي أوَّل شخص ظهر له الربُّ. وكانتِ امرأة، لا واحدًا من الرُّسل المقتدرين. ولمَّا ركضت راجعةً من القبر إلى المكان الذي كان المؤمنون مجتمعين فيه وأخبرَتهم أنَّ المسيح قد قام وأنَّها قد شاهدته حيًّا، لم يُصدِّقوها. ولا صدَّقوا الخبر من التلميذين اللذَين رأياه في الطريق إلى عِمواس. حتَّى الرُّسلُ تصرَّفوا كمُلحِدين لمَّا تعلَّق الأمر بتصديقهم أنَّ الربَّ يمكن أن يتكلَّم من خلال أيِّ شخصٍ سواهم!

وبعدما قام باكرًا في أوَّل الأُسبوع، ظهر أوَّلاً لمريم المجدليَّة التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين. فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه، وهم ينوحون ويبكون. فلمَّا سمع أُولئك أنَّه حيٌّ وقد نظرته، لم يصدِّقوا. وبعد ذلك ظهر بهيئة أُخرى لاثنين منهم وهما يمشيان مُنطلِقين إلى البرِّيَّة. وذهب هذان وأخبرا الباقين، فلم يصدِّقوا ولا هذَين. (مرقس ١٦: ٩- ١٣)

لقد أعوز الرسل أن يتعلَّموا الدرس بأنَّهم لم يكونوا هم رؤوس الكنيسة. فالمسيح كان هو الرأس، وسيبقى. وفي وسعه أن يتكلَّم بسلطان من خلال أيِّ عضو في جسده يشاء هو أن يستخدمه. فهو ليس مُقيَّدًا بأن يتكلَّم فقط "من فوق إلى تحت" من خلال الذين يُزعَم أنَّهم في مركز القيادة.

إنَّ يسوع المسيح، رأسَ الكنيسة غيرَ المنظور، يريد أن يصير منظورًا لكي يُعبِّر عن نفسه على هذه الأرض. وهو يفعل ذلك من خلال جسده. فما من فرد واحد يقدر أن يُعبِّر عن ملء المسيح، كما أنَّ إصبع الشَّخص الصَّغيرة لا يمكن أن تُصوِّر هيئة جسده الكاملة.

ولمَّا وجدَت الفتاة الحبيب بعد اتِّصالها بالحُرَّاس، تشبَّثَت به وأرادت أن تأتي به إلى "بيت أُمِّي، وحُجرة من حبلت بي،" كما قالت. إنَّ "بيت أُمِّي" هنا يُمثِّل الكنيسة. وإذ كتب بولس إلى كنائس غلاطيَّة، قال للمؤمنين: "وأمَّا أُورشليم العليا التي هي أُمُّنا جميعًا، فهي حرَّة" (غلاطيَّة ٤: ٢٦). فعلى غِرار مريم والسائرَين على الطريق إلى عِمواس، عندما يرى الناس الربَّ، ماذا يُريدون أن يفعلوا؟ إنَّهم يُريدون أن يرجعوا بسُرعة إلى الكنيسة ويُطلِعوا الآخرين على الإعلان الذي تلقَّوه!

أفكار / صلوات

يا ربّ، حين تظهر لي بعدَ طول غياب، أُريد أن أتشبَّث بك ولا أُرخيَك أبدًا. غير أنَّك أنت هو الربّ. أنتَ هو الملك. أنت هو رأس كنيستك. ففي وسعك أن تأتي وتذهب بحرِّيَّة كما تشاء. ولستُ أستطيع أن أُمسِكك وأجعلك تبقى بقبضة يدي أو بمجهوداتي الخاصَّة.

أظهِر ذاتك ليس لي فقط، بل لآخرين في جسدك أيضًا. افتح قلبي لأقبل ما تودُّ أن تقوله من خلال جميع الذين ترسلهم صوبي.

ربِّ، أُريد أن أُظهرك وأدع الآخرين يَرَونك، لأنَّك جميلٌ فوق المقارنة. دعني آخذك إلى بيت أُمِّي. وفِّر لي فُرَصًا لإطلاع آخرين في جسدك على ما عرفتُه عنك.

اغرسني بين السَّوسنات الأُخَر، وأظهِر ذاتك، بحيثُ يمكن أن تُكرَم وتُرى وتُمجَّد.

"فإنَّهم يقولون بين اليهود إنَّه يُبذل الحرص على ألاَّ يُسمَح لأيِّ شخص لم يبلغ النُّضج الكامل بأن يمسك نشيد الأنشاد بيديه مجرَّد إمساك".

“يجب علينا أن نأتي إلى عُرس العريس والعروس هذا المقدَّس بالإدراك اللائق بالحبِّ الداخليِّ... أي أن نأتي لابسين حُلَّة العرس، حتَّى إذا كنَّا غير لابسين حلَّة العُرس لا نُطرد من وليمة العرس إلى الظُّلمة الخارجيَّة، ظُلمةِ الجهل.”

أُوريجنس الاسكندريُّ، القرن الثالث

---

1 The New English Translation (NET Bible) & The NEW LIFE Version.

اليوم الثاني عشر

من عَراء البرِّيَّة إلى عُرس الزّوجيَّة

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثالث

"مَن هذه الطالعة من البرِّيَّة كأعمدة من دخان، مُعطَّرة بالمرِّ واللبان وبكلِّ أذرِّة التاجر؟ هوذا تخت سليمان، حوله ستُّون جبَّارًا من جبابرة إسرائيل. كلُّهم قابضون سيوفًا ومتعلِّمون الحرب؛ كلُّ رجل سيفه على فخذه، من هول الليل. الملك سليمان عمل لنفسه تختًا من خشب لبنان. عمل أعمدته فضَّة، وروافده ذهبًا، ومقعده أرجوانًا، ووسطه مرصوفًا محبَّة من بنات أُورشليم." "اخرجن يا بنات صِهيَون، وانظرن الملك سليمان

بالتاج الذي توَّجتُه به أُمَّهُ في يوم عرسه، وفي يوم فرح قلبه."

نشيد الأنشاد ٣: ٦- ١١

خرج أهل مدينة القدس كلُّهم تقريبًا ليصطفُّوا في الشوارع ويُرحِّبوا بموكب العُرس. وتطلَّع الشباب والشيب لإلقاء نظرة عليَّ والمشاركة في هذه المناسبة البهيجة. ولمَّا اقتربتُ من المدينة، تسنَّى لي أن أسمع الغمغمة المختلطة بين المُتفرِّجين إذ يسأل بعضهم بعضًا: "من هذه الخارجة من البرِّيَّة لتتزوَّج من الملك؟"

وبطُرقٍ مَّا، طرحتُ أنا نفسي السؤال عينه. مَن صرتُ أنا الآن؟ لقد غيَّرني حبُّ سليمان. والبرِّيَّة أيضًا قد بدَّلت نفسي إلى الأبد. فما رأيتُه واختبرتُه هناك سيبقى إلى الأبد مُلاصقًا لقلبي: ألَمي الخفيُّ، وجَعُ

عدم وجودي معه، ثمَّ الإعلان أيضًا، ذلك كلّه كان أعمق من أن يعبِّر عنه الكلام. وتبسَّمتُ. فإنَّ البرِّيَّة لم تكُن مكانًا سارًّا، ولكنَّ وجودي هناك لم يؤدِّ إلاَّ إلى مُضاعفة حِدَّة عطشي لمعرفة المزيد من حُبِّ محبوبي.

راقبتُ بتعجُّب إذ تدافع الناس للوصول إلى أفضل المواقع لمشاهدة هذا الحدث التاريخيِّ. وقد حاول الجنود إبقاء الحشود مُنتظمة ليُتاح للمِحفَّة المُظلَّلة التي كنتُ راكبةً فيها أن تمرَّ. وسمعتُ صرخات الخيبة التي أطلقها الواقفون في الخلْف، بعيدًا عن الشارع، زاعقةً: "لا أستطيع أن أرى! لا أستطيع أن أرى!"

حمل أريكتي ستُّون من جنود الملك الأشدَّاء، مُزيَّنين بسيوفهم الرائعة. ومشى الموسيقيُّون في موكب قدَّامي وورائي، عازفين قياثيرَهم وأبواقهم الكبيرة والصغيرة وصنوجهم ودفوفهم. وتصاعدت أعمدة الدُّخان من المباخر التي يحملها عشراتٌ من حاملي البخور، ذلك الدُّخان الذي أعلن قدومي من بعيد. وعبق الهواء برائحة المُرِّ واللُّبان. وإذ دخلتُ المدينة، حيَّتني جوقاتٌ من بين الواقفين في الشوارع وعلى السطوح، ملوِّحين بأذرعهم عاليًا في الهواء وهاتفين بحبور: "هوذا تخت سليمان الرحَّال!"

حاولتُ أن أتصوَّر الملك سليمان مُغادرًا مُقامَه الملكيَّ وداخلاً الفِناء، حيثُ عرشُه المحمول ينتظره. إنَّه يهمُّ بالصعود إلى مقصورته مرتديًا الحُلَّة الملوكيَّة، مُعطَّرًا بالمُرِّ والأدهان والأذرَّة المُطيَّبة. وسيكون معتمرًا التاج المُزهَّر الذي صنعته أُمُّه له، لا إكليله الذَّهبيَّ الدائريَّ المُعتاد إظهارًا لسُلطته، بل تاجَ فرح صُنِع خصِّيصًا لأجل يوم عُرسِه.

تلاشت الحركة النشيطة في الشوارع أمام عينَي ذهني. لقد كان قلبي في الفِناء، مُمتطيًا عرشًا وآتيًا لمُلاقاتي. وها هي مجموعة من الجنود الأشدَّاء يهمُّون بإمساك العَتَل الفضِّيِّ الطويل الداعم، وببطءٍ وتناغُم يرفعون المِحفَّة إلى أكتافهم. ولدى صدور الأمر من قائدهم، يبدأون الزَّحف بإيقاعٍ بطيء لملاقاة موكب العروس.

لم يكن ذلك مجرَّد تصوُّر، كما أعلم. فالآن الآن، لا بُدَّ أنَّه آتٍ إليَّ.

خفق الفرح داخل صدري، إذ فكَّرتُ بيني وبين نفسي أنَّ إله السماء لا بدَّ أن يكون ناظرًا من فوقُ بسرور ليرى موكبَينا المنفردَين يقتربان أحدُهما من الآخر، على أُهبة الاندماج في موكب واحد، كما سُرَّ كثيرًا لمَّا شقَّ الرجُل والمرأة الأوَّلان طريقهما في جنَّة عدْن توقُّعًا لرؤية أحدهما الآخر أوَّلَ مرَّة. يقينًا أنَّ الله فرح بأن يرى توقنا أن نصير واحدًا، كما سُرَّ بأن يرى الزَّوجين الأوَّلين يُطلِقان عواطفهما المشبوبة ليصيرا جسدًا واحدًا.

تلاقى الموكبان، وتوقَّفا عند دَرَج القصر الملكيِّ. وتسارعت دقَّات قلبي إذ تخطَّيتُ بنظري آلاف العيون الشاخصة إلى المقصورتين اللتين فيهما كُنَّا، الملك سليمان وأنا، محجوبَين عن الأنظار. وما إن بدا عرشُه لناظِريَّ، حتَّى غدا هاجسي الوحيد أن أنظر إليه نظرتي الأولى.

كان هو أوَّل مَن ترجَّل من مقصورته. فاندفع الحشود يُطلِقون هتافات الفرح التي تُصِمُّ الآذان ويُصفِّقون بضراوة. حتَّى إذا همدت الجلبة، ترجَّلتُ من مقصورتي. فانفجر ترحيبٌ حارٌّ عاصفٌ ثانٍ.

تحرَّكت حولي ثنايا ثوب عُرسي الرائع. وقد تناسجَ فيه الذَّهب، وكان مصنوعًا من قُماش مطرَّز فاخر. وكان برفقتي أُمِّي وإخوتي وأقربائي وأصدقائي، مع فتياتٍ أُخر وبنات مدينة القُدس. وقد عبَّر ضحكُهم وهتافات فرحهم عن كلِّ ما شعرتُ به في داخلي وأنا أتقدَّمُ صوب مليكي، مُمتطيةً موجةً عارمة من البهجة.

ولمَّا التقيتُ الملكَ أخيرًا ووقفتُ أمامه، بُهرت أنفاسي. لقد بدا تمامًا كما تصوَّرتُه. فانحنيتُ أمامه احترامًا، مُتمنِّيةً أن أُبلِّغه ولو إشارةً إلى الكرامة التي يستحقُّها هو وحده. ثمَّ رفعتُ نظري فرأيتُ

وجهه. وقد كان متوهِّجًا، إذ غمرَته البهجة القَصوى بمظهري. فتورَّد وجهي حياءً وابتسمتُ وراء نِقابي الشفَّاف. تلاقت أعيُننا لُحَيظةً فقط، وفي الحال تعانقنا مُتشبِّثَين أحدُنا بالآخر بكلِّ قوَّتنا. ثُمَّ دُرنا وصعِدنا الدَّرج مُتشابكَي الذِّراعين لندخل رَدهة القصر وقاعة العرش العظيمة.

داخِلَ القصر، كانت جوقة جليلة من الكهنة اللاويِّين، قِوامُها أربعةُ آلاف مُنشِد وعازف، تنتظرنا حول مُحيط الغرفة الكبيرة. وقد ترأس الاحتفالَ صادوق الشَّيخ، رئيسُ الكهنة الأمين في أثناء مُلكِ داود ثُمَّ مُلكِ سليمان الآن. وهو تولَّى الترحيب بالضيوف أجمعين.

كان صادوق مرتديًا رداءه الكهنوتيَّ الأزرق الغامق، المُطرَّز بخيوط الذَّهب والمُتدلِّي حتَّى رُكبتَيه. وكان الجزء السُّفليُّ من ثوبه ينتهي بحواشٍ مُطرَّزة بأزهار الرُّمَّان الزرقاء والأرجوانيَّة والقرمزيَّة، وبينها أجراسٌ صغيرة من ذهب. وقد غُطِّيَ صدرُه بالصُّدرة التي فيها اثنا عشر حجرًا كريمًا، منقوشًا على كلٍّ منها اسمٌ من أسماء أسباط الأُمَّة الاثني عشر. وكانت على رأسه عِمامة مصنوعة من عصابة كتَّان أبيض طويلة. وعلى الجهة الأماميَّة من العِمامة، على جبين صادوق، صحيفة من ذهب منقوشة عليها الكلمتان "قُدسٌ للربّ." وقد وقفنا، سليمان وأنا، أمامه. فبرقت عيناه إذ نظر إلينا كما ينظر أبٌ ابنًا وابنة محبوبَين.

بعد الملاحظات الافتتاحيَّة التي قدَّمها صادوق، رفع على مهل يده اليُمنى في الهواء وأجال نظره في القاعة مُحدِّقًا إلى جوقة الكهنة، مُتفحِّصًا على ما يبدو كلَّ واحد منهم. وقد كانت جميع العيون شاخصة إليه، بانتظار أمره. ثُمَّ ما إن كوَّر يده قبضةً وحرَّك ذراعه حركةً قويَّة من فوق إلى تحت، حتَّى صدحَت الجوقة بالتَّرنيم.

كان ذلك كالرَّعد. ولم يكن في وسع المرء قطُّ أن يُقدِّر قوَّة تلك الأصوات أو يتوقَّع روعتها. فقد كانت الأدوار التي رنَّموها مملوءةً بسلسلة من أعلى التَّصعيدات وأسماها، تليها تنزُّلاتٌ تبلغ مُستواها الأدنى الرقيق والمُبهج في تآلُفاتٍ عذبة تُهدِّئ النَّفس على نحوٍ لم أختبر له مثيلاً من قبل. وقد بدا كما لو أنَّ جوقة السماء بعينها قد مُنِحت إذنًا إلهيًّا بأن تُغادِر عالَمها السماويَّ إلى حين، وسُمِح لنا نحن البشر بأن نسمع وقع أصوات الملائكة وهُم يُنشِدون كما ينشدون حول عرش **الله**!

ولمَّا فرغَت الجوقة من الإنشاد، جلس الجميع، فيما بقي بنو قورح وحدَهم واقفين، إذ كان سُليمان قد كلَّفهم نظمَ أُنشودة حبٍّ تُشيد بزفافنا. وقد بدت قلوبُهم فيَّاضةً إذ توجَّهوا بأبياتهم إلى الملك، مُترنِّمين عن النِّعمة التي انسكبت على شفتَيه؛ وعن عرشه الذي وُطِّد إلى الأبد؛ وعن مسح **الله** له بزيت الابتهاج أكثر من رُفقائه. وعنِّي أنا أيضًا ترنَّموا: أنَّني كُلِّي مَجدٌ داخلاً خارجًا، واصفين حتَّى ثوبَ عُرسي. إنَّ تلك الكلمات ستبقى حيَّةً في ذاكرتي إلى الأبد باعتبارها مزمورًا مُوحًى به، ترنيمةً للعُصور كلِّها.

وعندما ختموا الإنشاد، قرأت لنا أُمُّ الملك بركةً كانت قد نظمتها لهذه المناسبة الخاصَّة. وقد كانت مؤلَّفةً من قسمين؛ الأوَّل مُخصَّص لسليمان، والثاني لي. فلِسُليمان شرعت تقول: "يا بُنيَّ، لا تُبدِّد حياتك مُطارِدًا نساءً كثيرات، فهذا قد أهلك ملوكًا كثيرين." ثُمَّ التفتت إليَّ وتلَت مناشدة جميلة، مطلعُها: "زوجة فاضلة، مَن يجدها؟ فإنَّ ثمنها يفوق اللآلئ. بها يثق قلب زوجها، فلا يحتاج إلى غنيمة. تصنع له خيرًا، لا شرًّا، كلَّ أيَّام حياتها."

حتَّى إذا فرغَت الملكة بتشبع، فاضت عيناي بدموع الفرح. وألقيت نظرة عابرة على حشد الضيوف في القاعة الكبيرة، أولئك الذين دُعوا إلى هذا الحدث المَهيب، لكن البهيج. وعلى وجه الخصوص، لاحظتُ بنات صِهيَون. فقد كانت وجوهُهنَّ متوهِّجة؛ وكالمرايا، بَدَت عاكسةً للتألُّق الذي شاهدنه على وجه الملك. وخُيِّل إليَّ أنَّ كلَّ واحدة منهنَّ لا بدَّ أن يكون قد خالجها توقٌ شديدٌ من الصميم: أنَّه في يوم قريب ستُلاقي كلٌّ منهنَّ مليكَها الخاصّ.

نِقاط للتأمُّل

في الآية السادسة من الأصحاح الثالث سؤالٌ عن العروس وهي مُقبِلة من البرِّيَّة. وكان سليمان قد أرسل لها مبعوثيه من الرجال الأشدَّاء لأجل حمايتها في طريقها إلى مُلاقاته.

إنَّ الحياة مع مليكنا السماويِّ ليست دائمًا حكاية سعيدة من حكايات الجِنّ. فغالبًا ما نُلاقي صعوباتٍ كبيرةً تتخطَّى كثيرًا أيَّ خُطط أو توقُّعات لدينا بشأن رحلة الحياة. وعلينا جميعًا أن نواجه اختباراتِ البرِّيَّة الخاصَّة بنا.

البرِّيَّة مكانٌ ناشف. إنَّها تمتحن حتَّى جذورَ كِياننا. وهي تُحيل رمادًا دوافع القلب السطحيَّة. وتُطهِّرنا من الحبِّ غير الواقعيّ. وتُنقِّي بالنار زَغَل محبَّة مقصود لها أن تصمد أمام كلِّ شيء. غير أنَّ البرِّيَّة أيضًا هي المكان الذي فيه ينشأ لدينا عطش شديد إلى **الله**: "يا **الله**، إلهي أنت؛ إليك أُبكِّر. عطشت إليك نفسي، يشتاق إليك جسدي، في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء" (المزمور ٦٣: ١).

فالفتاة الآن تُصوِّر لنا شخصًا اجتاز مِحَن المعاناة المُحرِقة ويطلع من البرِّيَّة ناشرًا روائح ذكيَّة جديدة، وقد حوَّلته الاختبارات والدروس الروحيَّة التي تعلَّمها هناك. إنَّ نار المُنقِّي قد أحرقت زغل العروس وأحلَّت محلَّهُ أعمدةً من دخان. فإذا هي الآن، كما كتب بولس: "رائحة المسيح الذكيَّة لله، في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون. لهؤلاء رائحة موت لموت، ولأولئك رائحة حياة لحياة. ومن هو كُفوءٌ لهذه الأمور؟" (٢كورنثوس ٢: ١٥ و١٦).

إنَّ هذه النِّعَم الجديدة لا تأتي بلا ثمن. ففي نشيد الأنشاد ٣: ٦ نقرأ أنَّها كانت "معطَّرة بكلِّ أذرَّة التاجر." والتاجر المذكور في هذه الآية هو الربُّ يسوع. وهي قد دفعت له الثمن بواسطة الآلام التي احتملَتها لتكتسب الروائح الذكيَّة الظاهرة الآن في حياتها من خلال عمل الروح القدس المُنقِّي.

نقرأ في الآية السابعة: "هوذا تختُ سليمان!" أي مَحمِلُ السَّفَر الذي يُقَلُّ سليمان فيه.

لقد وردت الكلمة "تخت" في ترجماتٍ شتَّى هكذا: "سرير" أو "مِحفَّة" أو "مَحمِل". والترجمة الفُضلى هي "مِحفَّة" بمعنى مركبة بلا عجلات، أو وسيلة نقل بواسطة الطاقة البشريَّة. وفي أوائل القرن العشرين، كانت المِحفَّات تُدعم بعمودين طويلين من كِلا الجانبين يستقرَّان على أكتاف رجال، ولكنَّها اختفت كلُّها واستُبدِلت بها عرباتٌ صغيرة مُدَولبة (جِنرِكشات) تُجَرُّ جرًّا، وقد كانت هذه عمليَّة أكثرَ بكثير.

كانت مِحفَّة سليمان الملوكيَّة مصنوعة من خشب وذهب وفضَّة وقُماش أُرجوانيّ. والخشب والذهب يُذكِّران بأثاث خيمة الاجتماع، المصنوع من الخشب المُغشَّى بالذَّهب. فإنَّ **الله** يأتي إلينا في الاتِّحاد الكامل بين اللاهوت (الذهب) والناسوت (الخشب)، وهذا هو جوهر **الله**- الإنسان، عريسِنا الربّ يسوع.

وكانت أعمدةُ مِحفَّة سُليمان، أي عَتَلُ الحَمْل، مصنوعة من فضَّة. وتُمثِّل الفضَّة، في الكتاب المقدَّس، الفداء. فهذا يرمز إلى أنَّ الربَّ يأتي إلينا على متن قوَّة محبَّته المفتدية. كذلك يُمثِّل الأُرجوان المَلكيَّة، والنسيج الأُرجوانيُّ الذي عليه جلس سليمان يُمثِّل مُلوكة المسيح وسُلطانه بصفته ملك الملوك أجمعين.

إنَّ المزمور ٤٥ هو نشيدُ زفاف. وهو يقينًا مزمور مسيحانيٌّ، يتحدَّث عن المسيح وعروسه، أي الكنيسة. أمَّا الملك الذي كُتب المزمور عنه آنذاك فغير مؤكَّد على وجه الدِّقَّة. غير أنَّ مُعظم العلماء يُجمِعون على أنَّه سليمان. (المسألة غير محسومة لأنَّ بعض أوصافه الحربيَّة لا تبدو موافِقة.)

ثُمَّ إنَّ أغلب العلماء ينسبون كتابة أمثال ٣١ إلى بثشبع. فهذا الأصحاح يُستهلُّ، حسب إحدى الترجمات،

بالعِبارة: "كلامُ الملك لموئيل، أقوالَ الوحي التي علّمته أمُّه إيَّاها." وهنا يُشار إلى سُليمان باعتباره لموئيل، أو الشخص "الذي يخصُّ **الله**". فمن الممكن أن تكون أجزاءٌ من هذا الأصحاح قد قُرئت أو كُتِبت للملك وعروسه في يوم زفافهما.

وفي المشهد الأخير من المقطوعة الحاليَّة مُناشدةٌ من قِبَل طرف ثالث غامض (يُمثِّل الروح القدس) لبنات صِهيَون أن "اخرُجنَ... وانظُرن الملك سليمان بالتاج." فالروح القدس يريد لنا أن نرى أيَّة بهجة يجلبها للملكِ كونُه مرتبطًا بعلاقة الحبِّ هذه مع الفتاة. لنتأمَّلْ فرح قلبه، ولنرَ كم هو سعيد حين يجد شخصًا يستجيب لحبِّه ويحبُّه في المقابل!

أفكار / صلوات

أيُّها الربُّ يسوع، إنِّي أشتاق أن أرى وجهك. إنَّني أتوق إلى اليوم الذي فيه سوف أقف أمامك وأتَّحد بك إلى الأبد لأكون مُحِبَّك وصديقك ورفيقك وشريك حياتك مدى الدُّهور. ربِّ، شكرًا لك لأنَّ الضِّيقات الخفيفة الوقتيَّة التي أختبرها في برِّيَّتي تُنتِج لي وزنةَ مجدٍ أبديَّةً تفوق كلَّ مُقارنة. شُكرًا لك، يا مُنقِّيَّ الكريم، على إدخالك إيَّاي الامتحاناتِ الناريَّةَ التي عُيِّنتُ سابقًا لاختبارها في هذه الحياة، حتَّى يُتاحَ لك أن تُحرِق كلَّ زَغَل عندي وتُنتِج فيَّ رائحةً ذكيَّة تسرُّك. شُكرًا لك، يا مُنقِذي الكريم، على إعالتك لي، وعلى حِفظي وحمايتي في كُلِّ خطوة من رحلتي. شكرًا لك، أيُّها الملك المُهَيمن والمقتدر، على خُطَّتك وعلى الاحتفال السخيِّ الذي أعددتَه لي ولجميع المَفديِّين. شكرًا لك، أيُّها المحبوب المُتألِّق، لأنِّي أُفرِح قلبك فعلاً، مع أنَّني ربَّما لا أُدرِك هذا دائمًا أو لا أُصدِّقُه!

اليوم الثالث عشر

اِفتِتان!

نشيد الأنشاد، الأصحاح الرابع

"ها أنتِ جميلة يا حبيبتي، ها أنتِ جميلة! عيناك حمامتان من تحت نِقابكِ. شعركِ كقطيع معزٍ رابضٍ على جبل جلعاد. أسنانك كقطيع الجزائز الصادرة من الغسل، اللواتي كلٌّ واحدة مُتئم، وليس فيهنَّ عقيم. شفتاك كسلكة من القرمز، وفمكِ حلو. خدُّكِ كفلقة رمَّانة تحت نِقابكِ. عنقُك كبرج داود المبنيِّ للأسلحة، ألف مجنٍّ علِّق عليه، كلُّها أتراس الجبابرة. ثدياكِ كخشفتي ظبيةٍ، توأمَين يرعيان بين السَّوسن. إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظِّلال، أذهب إلى جبل المُرِّ وإلى تلِّ اللُّبان. كلُّكِ جميل، يا حبيبتي، ليس فيكِ عيبة."

نشيد الأنشاد ٤: ١-٧

آن أوانُ اتِّحادنا زوجًا وزوجة. فدنا إليَّ سليمان، ومدَّ ذراعيه، وأمسك يديَّ بيديه. ثمَّ تكلَّم من قلبه بكلماتٍ موجَّهة عمدًا إلى أُذنيَّ وحدهما. وهذا هو ما قاله:

"حبيبتي، هذه أسعد لحظة في حياتي. أنتِ جميلة فوق المقارنة. أنت فاتنة، لا بل إنَّ النظر إليك يبهر الأنفاس. ولوصف ما أراه حين أنظر إليك، عليَّ أن أستعير من كلِّ ما أُقدِّره في بلدنا أسمى تقديرٍ بالنسبة إلى الجمال." ثمَّ ابتسم برقَّة وضمَّني بذراعَيه.

"إنَّ جمالكِ ليس مادِّيًّا فحسب. ففيكِ أيضًا جمالٌ غيرُ منظور. وإنسانةُ القلب تلك جميلةٌ تمامًا كالمخلوقة

التي أضمُّها الآن بذراعيَّ.

"عيناكِ الداكنتان المذهلتان تأسرانِني. إنهما أشبه بعينَي حمامة لا يسعُهما أن ترَيا إلاَّ شيئًا واحدًا في الوقت الواحد، وأنا أعلم أنَّهما ترَيانني إيَّاي وحدي. ومع ذلك فهما مستورتان عن العالم وراء حجابكِ. إنَّ نِظرة المحبَّة التي تخصِّينني بها هي شيء لا يستطيع أن يفهمه أحدٌ سوانا نحن الاثنين. فاعلمي أنَّني سأصون ذلك الحبَّ دائمًا كالكنز الثمين.

"شعرُكِ الكثيف المُتموِّج يتهدَّل على كتفَيكِ، وله جمالُ قطيع معزٍ هابط بسُرعة من جبل جلعاد. إنَّه عندي رمزٌ إلى قلبكِ المذعِن. فإنَّكِ من قلبكِ لا تُلبِّين فقط بسُرور كلَّ رغبة لديَّ، بل تخدمين أيضًا هذه المملكة **والملكَ** الأعلى فوق جميع الملوك، ذاك الذي أخدمه أنا أيضًا. وكما أنَّ الاسم **جبل جلعاد** يعني 'جبل الشهادة' فهكذا أصبح قلبكِ المُطيع شهادةً لكلِّ مَن يتعرَّف بكِ.

"صفَّا أسنانكِ البيضاء يُذكِّرانني بقطيع نِعاج مجزوزة حديثًا طلعت توًّا من غسلها، وكلُّ نعجة منها حُبلى بتوأمين. ولكنَّ هذه النِّعاج أيضًا رمزٌ لشيءٍ أعمق أقدِّره فيكِ أيَّ تقدير. فعندما يكون الصِّغار أطفالاً، لا يستطيعون أن يشربوا إلاَّ الحليب. ولكن عندما تطلع أسنانُهم، يصيرون قادرين على مضغ الطعام الجامد وبلعِه. وهكذا حالُكِ أنتِ، حبيبتي. فعلى خِلاف السُّذَّج وغير البالغين، لديكِ القدرةَ الروحيَّة على تمثُّل الحكمة واستيعاب أُمور الله الأكثر عمقًا. لقد وجدتُ فيكِ شخصًا أستطيعُ أن أُشركه في قلبي بعينه.

"شفتاكِ حمراوان حُمرةً عميقة وجميلة، كخيط من القرمز. ولونُهما القِرمزيُّ عندي رمزٌ إلى دماء حِملان الفداء التي يُضحَّى بها في الهيكل. فإنَّكِ عندما تتكلَّمين، تتكلَّمين كلامَ فداء. وكما أحسنَت أُمِّي التعبير جدًّا لمَّا قرأتْ بركتها لكِ، فأنتِ تفتحين فمكِ بالحكمة، ومنهجُ اللُّطف على لسانكِ. إنَّ فمكِ حلو. وابتسامتُكِ ابتسامة ذات سحرٍ مُعدٍ؛ إنَّها ابتسامة فرح!

"خدَّاكِ، حبيبتي، كشطرَي رُمَّانة مشقوقة. فصُفوف الحَبِّ الأحمر الكثيرِ العُصارة في الرُّمَّانة تدلُّ على الحياة الفيَّاضة داخل تلك الثَّمرة. وإذا فُلِقَت، فهي ثمرة الجمال والشَّغف والغنى. فمن بين جميع الفواكه المُقدَّمة، لا بدَّ أن تنتزع دائمًا تنهُّدات السرور والتقدير. وكالرُّمَّانة، أنت مُفعَمة جدًّا بالحياة، يا حبيبتي! غير أنَّ تلك الحياة أيضًا مستترةٌ جزئيًّا وراء حجابكِ، ممَّا يُحدِّثني عن الكرامة التي تملكينها. فأنتِ لستِ واحدةً تزهو بنفسها مُتباهيةً، أو تُقيم معرِضًا لحقيقة هويَّتها.

"عنقكِ قويٌّ كبُرج داود الذي يعلو فوق مدينة القُدس حاميًا لها من العُدوان. إنَّ لكِ، يا حبيبتي، إرادةً قويَّة، ولكنَّها كبرج داود، قويَّةٌ في صَون أمور الله. وحول عُنقكِ القلادةُ التي بعثتُها لكِ مع أُمِّي هديَّةَ زفاف، تُقدِّمها لكِ في هذا اليوم المُميَّز. وهي مُزركشة بصفٍّ على صفٍّ من التُّروس الصغيرة جدًّا والبالغ عددُها ألفًا. فما هذه إلاَّ رموزٌ إلى الحماية التي ستُحيط بكِ في كلِّ يوم من أيَّام حياتكِ. وهكذا ستكون الحال ما دُمتِ حيَّة. ولكنَّها أيضًا رموزٌ إلى الإيمان الذي لكِ بالإله الحيّ، ذاك الذي سيُطفئ أيَّ سهم ملتهب تُرمَين به.

"ثدياكِ ثديا شابَّةٍ غضَّان، كولَدَي غزالٍ توأمين يرعيان بين السَّوسن. فمع أنَّك بريئة، فقد بلغتِ الإدراك. وبصفتكِ مَلِكتي، ستُدعَين إلى نُصح الآخرين وإطعامهم؛ فهكذا قد وهبكِ الله.

"رائحة حضوركِ الشذيَّة هي عندي أكثر من مجرَّد عبير المُرِّ، وأكثرُ من نفحةِ لُبان ذكيَّة. فأنتِ مثل جبل من المُرّ، وتلٍّ من البخور المُسكِر! وأنا سكران بحضورك. إنَّني على استعداد لقضاء عمري ذاهبًا إلى ذلك الجبل وذلك التلِّ لأظفرَ ببهجتي. أنتِ بجُملتكِ جميلةٌ، يا حبيبتي، ولا عيبةَ فيكِ!"

ولمَّا فرغ الملك من هذا الكلام، دُرنا لنواجه صادوق، وجرى تزويجُنا أمام الله والناس.

نِقاط للتأمُّل

ليس للحمام بَصَر مُحيطيّ. فطيور الحمام تستطيع فقط أن تركِّز النَّظر على شيءٍ واحد في الوقت الواحد. وهي أيضًا تتزوَّج مرَّة واحدة، وذلك مدى الحياة. فيا له من وصف جميل جدًّا، مستمدٍّ من الطبيعة، للإخلاص الموحَّد الهدف من قِبَل العروس لمليكها!

أمَّا الشَّعر، في الكتاب المقدَّس، فهو يُمثِّل الخضوعَ للسُّلطة والطاعةَ والتكرُّس. وقد كان النُّذُر هم أُولئك الذين ينذرون أن يمتنعوا عن الخمر والعنب وأيِّ شرابٍ مُسكِر (سِفر العدد ٦: ١- ٢١). وكان محظورًا عليهم أن يقصُّوا شعرهم أو يمسُّوا أيَّ مخلوقٍ ميْت. فكان هذا نذرًا يقطعُه المرء بالانفِراز كليًّا لخدمة الله.

وأمَّا جبل جلعاد، ومعناه "جبل الشهادة"، فموقعه في الأُردنّ، ومنه كان في وسعِ المرء أن يُطِلَّ على أرض الآباء. فإنَّ شَعر العروس، مُشبَّهًا بقطيع مِعزى يهبط من جبل جلعاد، يؤشر إلى أنَّها قد كوَّنت شهادةً ثابتة. وكما كتب بطرس بشأن الزوجات، كان سلوكُها عفيفًا ومحترمًا، ولم تكن زينتُها خارجيَّةً فحسب، بل كانت "إنسانَ القلب الخفيِّ، في العديمة الفساد، زينة الروح الوديع الهادئ، الذي هو قدَّام الله كثير الثمن" (١بطرس ٣: ١- ٤).

ثمَّ إنَّ أسنانها تُشير إلى قدرتها الروحيَّة على تناول الطعام الجامد، وعدم الاكتفاء بشرب الحليب الذي هو للأطفال روحيًّا.

وأنا، أيُّها الإخوة، لم أستطع أن أُكلِّمكم كروحيِّين، بل كجسديِّين، كأطفال في المسيح. سقيتُكم لبنًا، لا طعامًا، لأنَّكم لم تكونوا بعد تستطيعون. (١كورنثوس ٣: ١ و٢)

كذلك تُشير التُّروس إلى إيمانها، كما يمكن أن نرى في مناشدة بولس لمؤمني أفسُس أنِ "البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضدَّ مكايد إبليس،" وذاك يشمل "ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تُطفئوا جميع سهام الشرِّير الملتهبة" (أفسس ٦: ١١، ١٦).

أخيرًا، يقول العريس: "كلُّكِ جميل، يا حبيبتي، ليس فيك عيبة" (نشيد الأنشاد ٤: ٧). وهذا يذكِّرنا بما كتبه بولس إلى مؤمني أفسُس بشأن سرِّ العلاقة بين الزوج والزوجة، وهو صورة للمسيح والكنيسة: "لكي يُحضِرها لنفسه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك؛ بل تكون مُقدَّسة وبلا عيب" (أفسُس ٥: ٢٧).

من قبل تأسيس العالم، اختارنا الله الآب وأعطانا لابنه الحبيب عطيَّةً (يوحنَّا ١٧: ٦؛ أفسس ١: ٣ و٤). ولا أحد يستطيع أن يخطفنا من يد الآب، أو من يد المسيح، لأنَّ المسيح والآب واحد (يوحنَّا ١٠: ٢٧ و٢٨). فنحن مُخلَّصون بالمسيح، ومحفوظون للمسيح (يهوذا ١). وذات يوم سوف نُقدَّم إلى المسيح.

"والقادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد مُخلِّصنا [بيسوع المسيح ربِّنا]، له المجد والعظمة والقدرة والسُّلطان، [قبل الزَّمان] الآن وإلى كلِّ الدُّهور. آمين" (يهوذا ٢٤ و٢٥)

أن نُقدَّم إلى الملك، وأن نقف أمام مجده بلا عيب في فرح عظيم: أيَّ يومٍ رائع سيكون ذلك! وأيَّ يوم سيكون للملك أيضًا، يوم "فرح قلبه" (نشيد الأنشاد ٣: ١١)!

أفكار/ صلوات

ربِّي يسوع، هل قطعتُ شوطًا طويلاً في عمليَّة تحوُّلي بحيثُ يمكن أن ترى فيَّ الصِّفات التي رآها سُلَيمان في العروس؟ أعلَم أنَّني عمل جارٍ إنجازُه، ولكنَّك دائمًا ترى فيَّ أكثر ممَّا أراه أنا في نفسي. أنت تقول في كلمتك إنَّ المرء "كما شعرَ في نفسه [أو فكَّر في قلبه]، هكذا هو" (أمثال ٢٣: ٧). فأعطِني نعمة كي أرى وأقبل تقديرك لي باعتباره كلَّ ما يهمُّ وكلَّ ما هو حقّ. أنا تُحفتُك. أنا رائعتك.

شكرًا لك، ربِّ، لأنَّك أمين. شكرًا لك لأنَّك سوف تكمِّل العمل الذي بدأتَه فيَّ، كما تقول كلمتُك، ولأنَّك ترى النهاية منذ البداية. شكرًا لك لأنَّني ذات يوم سوف أقف في حضرتك المقدَّسة، بلا لوم وفي فرح عظيم.

إنَّني أُسلِّمك نفسي. أنجِز عملك فيَّ كما أنجزته في حياة الشُّولميَّة.

اليوم الرابع عشر

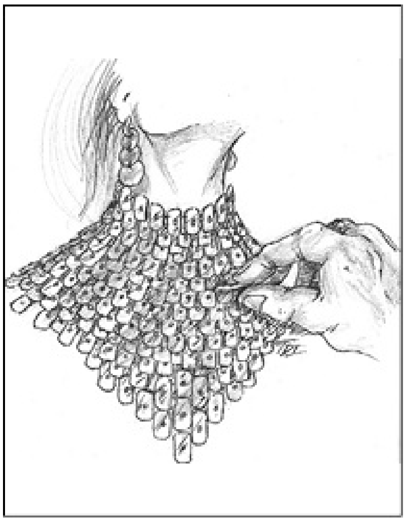

إلى الجبال!

نشيد الأنشاد، الأصحاح الرابع

"هلمِّي معي من لبنان، يا عروس، معي من لبنان! انظري من رأس أمانة، من رأس شنير وحرمون، من خدور الأسود، من جبال النمور. قد سبَيتِ قلبي، يا أختي العروس. قد سبَيتِ قلبي بإحدى عينيكِ، بقلادة واحدة من عُنقكِ. ما أحسن حبَّكِ، يا أُختي العروس! كم محبَّتكِ أطيب من الخمر، وكم رائحة أدهانك أطيب من كلِّ الأطياب! شفتاكِ، يا عروس، تقطران شهدًا. تحت لسانكِ عسل ولبن، ورائحة ثيابكِ كرائحة لبنان."

نشيد الأنشاد ٤: ٨- ١١

انتهت حفلة الزِّفاف، وآن أوانُ رحيلنا. فهمستُ في أُذن عروسي: "هلمِّي، يا حبيبتي! الآنَ وقتُ احتفالنا بزواجنا. سنُغادِر مدينة القدس ونذهب إلى جبال لبنان. ذلك هو المكان المفضَّل عندي في المملكة بكاملها. فالمناظر التي نطلُّ عليها من هناك أخَّاذة وسماويَّة. سترَين من مرتفعات لبنان العالية أشياءَ لن تنسَيها أبدًا. أُريد أن أُريَكِ أقاصيَ مملكتي وميراثي، ما سنتشارك فيه باقيَ أيَّام حياتنا. إنَّ ما هو لي فهو لكِ. وأنا أُريد لكِ أن تَرَي ذلك كلَّه."

فأمسكَت بيدي، ودخلَت معي عبر الستائر إلى مقصورة مَحمِلي المُريحة. وقد كانت من الداخل رائعة، مكانَ خصوصيَّة تامَّة فيه أريكة كبيرة يطيبُ الاستلقاء عليها. وشعرنا بأنَّنا نرتفع برِفق إذ رفع رجالي الأشدَّاء المِحفَّة عاليًا وجعلوها تستقرُّ على أكتافهم.

في الداخل- ونحن الآن زوجٌ وزوجة- التصق أحدُنا بالآخر، وألقَت رأسها على كتفي.

ثُمَّ تراجعَت ونظرت مباشرةً إلى عينيَّ، وقد بدا التأثُّر الشديد في عينَيها، قائلةً: "خبِّرني بعد عن هذا المكان الذي تصطحبني إليه: جبال لبنان!"

قلتُ: "هو مكان لا يستطيع الكلام أن يصفه وصفًا وافيًا. يجب أن تَرَيه بعينيكِ. فمن تلك المرتفعات الشاهقة وحدَها سيُتاح لكِ أن تَرَي كامل أراضي مملكتنا: الأنهار والأودية والغابات والسهول والمدن والقرى، كلَّ ما هو لنا. ولكنَّ ذهابنا إلى هناك ورجوعنا يُعرِّضاننا للخطر والمغامرة. فسيكون هناك طُرق غرَّارة وحيوانات برِّيَّة. وسنتخطَّى أجباب الأُسود والنُّمور. ففي نطاق هذه المملكة بقيَت بعض الحيوانات غير المُروَّضة بعد. ولكنْ لا تخافي. لن تكونَ لحظةٌ واحدة تفتقرين فيها إلى الحماية!"

فقالت بوجهٍ مُشرق: "منذ اليوم الذي فيه مضيتَ بي خلسةً في عربتك أوَّلاً واصطحبتَني إلى القصر، ما برِحَت الحياة مُغامرةً كُبرى فحسب." ثمَّ التصقَت بي أكثر، وألقت ذقنها على ذراعي، رافِعةً نظرها إلى داخل عينيَّ. "أينما ذهبنا، فلن أخاف، ما دُمتَ أنت هناك فحسب."

أخيرًا، بتنا وحدنا زوجًا وزوجة. وسرعان ما ستأتي اللحظة التي فيها لا يعود الشَّغف الذي كبحتُه طوال أشهُر بحاجةٍ إلى كبح.

تحوَّلت عيناي عن عينيها نزولاً إلى عُنقها، ثمَّ إلى صدرها. هناك، متدليَّةً على ثديَيها كانت هديَّةُ الزِّفاف التي أمرتُ بأن تُصنَع لها، القِلادةُ المكوَّنة من ألف تُرس. فأمسكتُ واحدًا من التُّروس الصغيرة جدًّا بين إصبعَيَّ، قائلاً لها: "هل تتذكَّرين التُّروس التي رأيتِها مُعلَّقة في قاعة ولائمي؟ لقد أعطيتُكِ هذه القلادة لتذكيركِ بأنَّه سيكون في مجرى اتِّحادنا ألفُ مرَّة فيها يُطلب منكِ أن تثقي بي. فإن خالجكِ الخوف مرَّة، فأمسكي واحدًا من هذه التروس الصغيرة، ولتكُن لكِ ثقةٌ بي. لن أكون البتَّة بعيدًا عندِ، وسأحميكِ دائمًا."

لم نبتعد كثيرًا خارج مدينة القدس في ذلك اليوم. وكان يُرافقنا حشدٌ من الخُدَّام والطبَّاخين والجنود، وعدد كبير من الآخرين. فلمَّا وصلنا إلى نهر الأُردنِّ، انعطفنا نحو الشمال ومضَينا في طريقنا إلى الرِّيف الجبليّ. وما لبِثنا أن وجدنا بُقعة جميلة مُظلَّلة، نصبنا فيها خيامنا لنبيتَ ليلاً.

أنزل الجنود المِحفَّة على الأرض في رقعة مُعشِبة لا تبعد عن ضفَّة النَّهر إلاَّ مسافةً قصيرة. وسرعان ما أُشعِلت نيران، وعُزفت موسيقى، وأعدَّت أيدي أمهر الطُّهاة سُفرةً سخيَّة جيء بها إلى داخل مقصورتنا الخاصَّة. وتيسَّر لنا أن نُطِلَّ من نافذة، مُواجِهة لمياه الأردن الجارية برقَّة، على منظر جميل. فتناولْنا الطَّعام على مهلنا، وارتشفنا النبيذ، وتجاذبنا أطراف الحديث. وقد انتشر الجنود في نصف دائرة، مُشكِّلين طوقًا من بُعد لمبيتنا الخصوصيّ. فما كُنَّا لنخرج من عُزلتنا ذلك المساء، بل نوينا أن نقضيَ الليل كلَّه غائصَين في حُبِّ أحدِنا للآخر.

وإذ هبط الليل، ألقَينا نظرة أخيرة خارجًا إلى السماء المُرصَّعة بالنجوم وأشعَّة القمر الفضِّيَّة المُترامية عبر النَّهر.

قلتُ لها: "ما أحسنَ حبَّكِ، يا أُختي العروس! كم حبُّكِ أطيب من الخمر، وكم رائحةُ أدهانك أطيبُ من أفخر أطياب الأرض! شفتاك تقطران شهدًا. تحت لسانك عسل ولبن. رائحة ثيابك كالسَّماء بعينها، كرائحة لبنان الذكيَّة!"

وما إن فرغتُ من هذا الغَزَل، حتَّى تلاقت شِفاهنا.

دسَستُ برفق يُسرايَ تحت رأسها، ويُمنايَ حول خصرها. وسرعان ما غرقنا في معانقة بعضنا بعضًا وتقبيل أحدِنا الآخر. لقد جاءت أخيرًا اللحظة التي طالما انتظرناها كلانا. فأتمَمنا اتِّحادنا في تلك الليلة السعيدة، ثمَّ انجرفنا بسلام لننام وذراعا كُلٍّ منَّا حول الآخر.

نِقاط للتأمُّل

هذه أوَّل مرَّة في نشيد الأنشاد فيها يدعو الملك الفتاة بكلمة "العروس". فقد باتا الآن متَّحدَين زوجًا وزوجة.

لمَّا أُقيم يسوع المسيح من بين الأموات، أجلسه **الله** عن يمينه في الأماكن السماويَّة "فوق كلِّ رياسة وسلطان وقوَّة وسيادة، وكلِّ اسمٍ يُسمَّى ليس في هذا الدَّهر فقط، بل في المستقبل أيضًا" (أفسُس ١: ٢٠ و٢١). ولكنَّ الكلمة المقدَّسة تُعلِّمنا أنَّنا نحن أيضًا أُحيينا وأُجلسنا في الأماكن السماويَّة معه.

"ونحن أموات بالخطايا أحيانا [**الله**] مع المسيح (بالنِّعمة أنتم مُخلَّصون!) وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات في المسيح يسوع." (أفسُس ٢: ٥ و٦)

"مبارك **الله**، أبو ربِّنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكلِّ بركة روحيَّة في السماويَّات، في المسيح." (أفسُس ١: ٣)

إنَّ أوَّل أمر أراد الملك سليمان أن يفعله حالما تزوَّج بعروسه كان أن يأخذها إلى جبال لبنان ويؤتيها منظرًا سماويًّا لمملكته وكلِّ ما تشاركا فيه. وبالطريقة نفسها، اصطحبنا الربُّ يسوع المسيح عند قيامته إلى الأماكن السماويَّة، حيث أُجلِسنا معه. وهو الآن يريد أن يُرِيَنا كلَّ ما هو لنا "فيه".

ومع أنَّ الكتاب المقدَّس يُعلِّم بوضوح أنَّنا مُجلَسون مع المسيح في الأماكن السماويَّة، فنحنُ بعدُ في حاجة إلى أمرٍ مَّا. ما هو هذا الأمر؟ إنَّنا في حاجة لأنْ نرى ذلك!

أمَّا السِرُّ فهو أنَّ هذا الميراث الذي نتمتَّع به- وهو ميراثٌ قِوامُه المسيح نفسه- لا يمكن أن يُصبح أمرًا واقعًا بالنسبة إلينا إلاَّ بالإعلان الإلهيّ.

ولا بدَّ من **الله** لإعلان **الله**. فما لم يُعلِن **الله** ذاته لنا- وإن كنَّا أغنياء على نحوٍ خياليّ- فإنَّنا سنسلك كما لو كُنَّا فُقراء جدًّا! وعند النزول من الجبال، اجتازت عروس الملك وسط أجباب الأسود وتلال النمور، الأمرُ الذي يُمثِّل قوَّات الشرِّ الأثيمة التي تجول مُزمجِرةً جائرةً. فأن نكون واحدًا مع المسيح في كلِّ شيء يعني أنَّه ستكون أوقاتُ حرب روحيَّة. ففي السماويَّات العُليا- "فوق كلِّ رياسة وسلطان وقوَّة وسيادة وكلِّ اسم يُسمَّى"- أُجلِسنا مع المسيح. ولكنَّ في الأماكن السماويَّة أنحاءً غير منظورة ما زالت قوَّات الشرِّ الروحيَّة تسود فيها وتُحارِب شعب **الله**. فقد كتب بولس:

"البسوا سلاح **الله** الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضدَّ مكايد إبليس. فإنَّ مصارعتنا [معركتنا، جهادنا، محاربتنا] ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدَّهر، مع أجناد الشرِّ الروحيَّة في السماويَّات. (أفسُس ٦: ١١ و١٢)

لأنَّنا، وإن كنَّا نسلك في الجسد، لسنا حسب الجسد نحارب: إذ أسلحة محاربتنا ليست جسديَّة، بل قادرة **بالله** على هدم حصون، هادمين ظنونًا وكلَّ علو يرتفع ضدَّ معرفة **الله**، ومستأسرين كلَّ فكر إلى طاعة المسيح. (٢كورنثوس ١٠: ٣- ٥)

فمع أنَّ المسيح قد غلب وانتصر، ومع أنَّه يسود بصفته ملك الملوك وربَّ الأرباب، ومع أنَّ جميع الأعداء تحت قدميه، فإنَّه مع ذلك قد دعانا لنكون مشاركين في هذه الحرب الروحيَّة. وعلينا أن نصمد في مواجهة هؤلاء الأعداء ونُصارعهم حتَّى نصرعهم أرضًا ونُثبِّتهم بواسطة القوَّة التي تمدُّنا بها قدرتُه الشديدة الجبَّارة العاملة في داخلنا.

وليس جميع أعدائنا خارجيِّين. فإنَّ بعضهم داخليُّون- أفكار وظنون ومفاهيم زائفة- أيُّ شيء يحول دون معرفتنا للمسيح معرفةً صحيحة. أضف إلى هذا ذلك العدوَّ الغادر: الكبرياء.

لقد اختُطِف بولس إلى السماء الثالثة، حيث "سمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها" (٢كورنثوس ١٢: ٤). ولكنَّه يقول لنا إنَّه بسبب عظمة الإعلانات الفائقة أُعطِيَ شوكة، مرسَلاً شيطانيًّا، لمنعه من تمجيد نفسه. فمع الإعلان العظيم، تأتي تجربة الاستسلام للكبرياء، المتأهِّبةِ دائمًا للوثوب من الداخل وسلبِ الله مجدَه.

في نشيد الأنشاد، تأثَّر سليمان جدًّا بإلقاء نظرة مُفردة على إحدى عينَي حبيبته وبطوقٍ واحد من قلادتها التي كانت هديَّته لها. ثُمَّ إنَّ التُّروس الألف البالغة الصغر تُمثِّل الإيمان الذي أُعطيناه للصمود في مواجهة أعدائنا. فإنَّ مجرَّد تُرس واحد- مجرَّد إيمان صغير- مشفوعًا بنظرة إلى عينَي الملك، هو كلُّ ما يلزم كي يُنقِذنا من الخطر.

أفكار/ صلوات

ربِّ، خُذني إلى الجبال. لقد طلبتُ منك أن تُقبِّلني وتُبديَ لي مشاعر محبَّتك. طلبتُ منك أن تجذبني لكي أجريَ وراءك.

والآن أطلب منك، أيُّها الآب، أن تفتح عينيَّ ليتسنَّى لي أن أرى من على قمَّة الجبل الكامل غنى ميراثي في المسيح.

ربِّي يسوع، أرِني أنِّي مُجلَس معك وفيك. دعني أرَك باعتبارك المُدافع عنِّي، مَن يصارع ويحارب من أجلي جميع أعدائي. أنت وحدك تستطيع أن تعلن لي ذاتك. فأطلب منك أن تفعل ذلك، لأنِّي أعلم أنَّه يُبهِج قلبك جدًّا.

هذه صلاتي إليك، أيُّها الآب، باسم يسوع. آمين.

اليوم الخامس عشر

البُستانيُّ الرُّومنسيُّ

نشيد الأنشاد، الأصحاح الرابع

"أُختي العروس جنَّة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم. أغراسكِ فردوس رمَّان مع أثمار نفيسه، فاغية وناردين. ناردين وكركم، قصب الذَّريرة وقرفة، مع كلِّ عود اللُّبان. مرٌّ وعود مع كلِّ أنفس الأطياب. ينبوع جنَّات، بئر ماء حيَّة، وسيول من لبنان."

"استيقظي يا ريح الشَّمال، وتعالي يا ريح الجنوب! هبِّي على جنَّتي، فتقطر أطيابها. ليأتِ حبيبي إلى جنَّته، ويأكل ثمره النفيس!"

"قد دخلتُ جنَّتي، يا أُختي العروس. قطفتُ مرِّي مع طيبي. أكلتُ شهدي مع عسلي. شربتُ خمري مع لبني."

"كلوا أيُّها الأصحاب. اشربوا واسكروا أيُّها الأحبَّاء!"

نشيد الأنشاد ٤: ١٢- ١٦؛ ٥: ١

بعد شهر تقريبًا من رجوعنا إلى مدينة القدس من لبنان، خطَّطتُ أن نقوم بنزهة خاصَّة أنا وعروسي الجديدة.

وسألتُها ذات صباح: "هل تذكرين أوَّل مرَّة فيها مضيتُ بكِ في عربتي لزيارة القصر الملكيِّ؟"

فأجابت: "كيف يمكن أن أنسى، يا مليكي، لقد كان ذلك يومًا غيَّر حياتي إلى الأبد!"

“حتّى الآن، بتِّ تعلمين محبَّتي لخليقة **الله**: الأنواع العجيبة من العشب والنبات والزَّهر والشجر، المُتوافرة هنا لنستمتع بها. وقد كان البُستان أحد الأشياء التي رأيتِها في جولتكِ الوجيزة على مقرِّ إقامتي. فهو مكان أختلي فيه كثيرًا لأنعم بالسكينة والعُزلة. وهناك بتُّ أفهم جزئيًّا حكمة **الله** في تكليف الزَّوجين الأوَّلين تعهُّد جنَّة عدْن، لأنَّ هذه المهمَّة لا توفِّر كثيرًا من المتعة فحسْب، بل أيضًا اكتشافاتٍ جديدة كثيرة. فاليوم، حبيبتي، أودُّ اصطحابكِ إلى بُستاني الخاصّ.”

قالت: “رائع! فلنذهبْ معًا، سأطلب من الخَدَم تجهيز سلَّة ببعض ما يؤكل، وقربة ماء، لنأخذهما معنا.”

وفي غضون ساعة، غادرنا القصر وتمشَّينا على ممرٍّ حتى وصلنا إلى حائط حجريٍّ عالٍ. واقتربنا من البوَّابة الحديديَّة المؤمَّنة بقفل كبير. فسحبتُ مفتاحًا من جيبي، وفتحت البوَّابة. ثُمَّ أمسكتُ بيدها ودخلنا البُستان.

كان ذلك نهار صيف مشمسًا جميلاً. وكانت السماء زرقاء صافية، والحرارة غير مرتفعة كثيرًا. فتمشَّينا وسط ممرٍّ مرتَّب مرصوف بالحصى وله حافتان من حجر. وكان إلى كِلا جانبي الممرِّ فردوسُ زهور. ومن التُّربة القاتمة الخصبة طلعت أنواعٌ شتَّى من النبات والشُّجيرات والأشجار، وكلُّها مُعتنًى بها بإتقان. وكان بينها مساحات مُخصَّصة للأعشاب والأطياب، وتعريشاتٌ مُتفرِّقة عليها أعنابٌ وأزهار مُعترِشة.

وإذ مررنا بشجرة رمَّان، قطفتُ واحدة من ثمارها المتينة المَرِنة الحمراء الكبيرة. وبعد بضع خطوات، بدأت أقطف أزهارًا بيضاء من شُجَيرة حِنَّاء، جامعًا إيَّاها حتَّى شكَّلت باقة جميلة. ثمَّ التفتُّ، وكما قد يُعطي صبيٌّ صغير بنتًا صغيرة هديَّة ظريفة، قدَّمتُ الباقة لعروسي. فقبلَتها بضحكة رقيقة. وما لبثنا أن وصلنا إلى سرير عُشب إلى جانب شجرة قِرفة. هناك فرشتُ بساطًا من جلد الحملان الناعم، وقعدنا.

وبينما مليكتي الجديدة تتمتَّع برائحة باقة الحِنَّاء المُبهِجة، أمسكتُ الرُّمَّانة بين يديَّ وفلقتُها، ثُمَّ ناولتُها شطرًا.

وإذ أخذَت قطعة الثمرة وأخذت تقضم برقَّة وحذر حبَّاتها القاطرة، قالت: “هذا مكان جميل جدًّا، لم يسبق لي قطُّ أن ذهبتُ إلى مكان يُضاهيه جمالاً.”

فأجبت: “مهما كان جميلاً، فهو لا يُقارَن ببُستان آخر استأمنني **الله** على الاعتناء به. وذلك البستان، حبيبتي، هو أنتِ. فإنَّكِ لست مثل حديقة عامَّة بِلا سياج، مفتوحة أمام أيِّ عابر سبيل ليستمتع بها أو يُفسِدها. فعلى غِرار هذا المكان، أنتِ بُستاني الحصريُّ والخاصّ.”

وإذ رفعت نظرها إليَّ مبتسمةً، قمتُ ومشيتُ إلى تلمٍ من الأطياب. ثمَّ ركعتُ، وانتقيتُ تشكيلة من الناردين والكُركم وقصب الذَّريرة والبلسم. وجمعتُ شيئًا من دموع الصَّمغ الجافَّة من أشجار لُبان ومرٍّ قريبة، مع بعض اللِّحاء المقشور من شجرة القرفة. ثمَّ رجعتُ بكنوزي هذه ووضعتها أمام مليكتي.

وقلتُ شارحًا: “هذه كلُّها، حبيبتي، جيِّدةٌ للشِّفاء أو صَون الحياة أو إثارة حاسَّة الذَّوق. إنَّ عبير كلٍّ منها مُحتشِم نوعًا ما، لا يكاد يُلاحظ إلاَّ متى سُحِقت أو قُطعت أو رُضَّت. مثلاً هذه الزَّهرةَ الأرجوانيَّة الرقيقة.”

ثمَّ مددتُ يدي بالزَّهرة أمامها، وقد سرَّني أن أُلاحِظ اهتمامها اليَقِظ. وأردفتُ: “هذه هي زهرة الكركم أو الزَّعفران. هل تَرَين سِمات هذه المِدقَّات الثلاث الصغيرة الفاقعة الاحمرار، الطالعة من قلب الزهرة؟ إنَّ هذه الأسلاك الخيطيَّة الدقيقة تُفصل عن الزهرة ثمَّ تُجفَّف. وهي تُشكِّل المقوِّم الوحيد لتابل الزَّعفران. فإذا جعلتُ كفَّيَّ بشكل كوب، يعوزنا نحو خمسة وسبعين ألفًا من هذه الزُّهور لإنتاج زعفرانٍ يكفي لمَلئهما. ومهما بدت هذه الزهور جميلة، فلا بدَّ أن تُفسَد ليُستخرج منها ما هو غالٍ جدًّا. فمن حيثُ الوزن، هذا أغلى تابل في العالم.”

جمعتُ الأطياب معًا في يديَّ وسحقتُها بين كفّيَّ. وقرَّبتُ الأجزاء المسحوقة الدقيقة إلى أنفها. فتنشّقت نشقة عميقة من عبيرها المُبهِج.

وجاوبَت: "سارٌّ جدًّا! ولكنَّ ما تقولُه مُحزِن."

فسألتُ: "أهو كذلك؟ ما برِحتُ ألاحظكِ وأتعلَّم منكِ، يا حبيبتي. لقد رأيتكِ في ظروف عسيرة. رأيتكِ مُرَضَّضة. رأيتكِ موجعة. رأيتُكِ تُساء معاملتكِ. رأيتُ مظالم تعترض سبيلكِ في الحياة. ولكنِّي أيضًا رأيتُ صبركِ وعزمكِ على صَون براءتكِ اللطيفة. رأيتُ طولَ أناتكِ واحتمالكِ وطُرقكِ الغافرة وحنانكِ. ولاحظتُ التعزية والتشجيع اللذين تبذليهما للآخرين. وقد أعجبتُ بهذه الفضائل المُسِرَّة، وكلُّ واحدة منها مُتجلِّية في حياتك نتيجةً للمِحَن التي قاسَيتِها. فعلى غِرار الرائحة الذكيَّة المُنبعِثة من هذه الأطياب المجروحة، هذه الفضائل فائقةُ الثَّمن في نظري، وهي تُرافقكِ أينما ذهبتِ."

ثمَّ نظرتُ إلى الرُّمَّانة مرَّةً أُخرى بعد. "مثلَ هذه الرُّمَّانة، ولو كنتِ لا تعلمين، فيكِ جزءٌ مستور مُفعم بالحياة بحيث لا تكفِّين أبدًا عن إمدادي بالعزاء المستديم."

ووقفتُ من جديد، ومددتُ لها يدي قائلاً: "هنالك شيء واحد بعد لا بدَّ أن أُريَكِ إيَّاه."

وإذ تركتُ البساط وطعامَنا، رافقتُها إلى قلب البستان تمامًا. هنالك دنوتُ من حجر مدوَّر كبير سُوِّي بإتقان ليستقرَّ فوق بضعة حجارة أُخرى. وما إن أزحتُ الحجر، حتَّى تدفَّق في أربعة اتِّجاهات نبعُ ماءٍ حيٍّ جارٍ. وقد طاف مجراه في أنحاء البستان كلِّه، مُنصبًّا في قنوات وسواقٍ لريِّ كلِّ حيّ.

قلتُ: " هذه عَدْني! فكما في الفردوس الذي طاف آدم وحوَّاء في أنحائه، حيث نبعَ نهرٌ تفرَّعت منه أربعة أنهار غزيرة جدًّا، هذه نُسختي المُجدَّدة عن ذلك المكان المبارك. إنَّ المياه الأساسيَّة التي يطلع هذا النبع منها تأتي من لبنان الذي يُمثِّل السماء بعينها. فهذا النبع المختوم، مصدر الحياة لكلِّ ما هو حيٌّ هنا، هو ما أنتِ، يا حبيبتي، بالنِّسبة إليَّ!"

نِقاط للتأمُّل

الينبوع هو مصدر الماء الحيِّ الجاري. وقد كانت عروس سليمان ينبوعًا، لكنْ ينبوعًا مختومًا. ومعنى هذا أنَّه وإن كانت تملك داخل نفسها ماءً حيًّا، والقدرةَ على إرواء عطش الآخرين، فذلك الماء كان محصورًا ولم يفِض إلى الخارج لأيِّ شخص في أيِّ زمان ومكان. فعندما يرفع حارسُ البستان الختم، عندئذٍ فقط تجري عيون الماء في داخلها بحرِّيَّة تامَّة.

وللعثور على مدلول هذا، يعوزنا فقط أن ننظر إلى الربِّ يسوع، لأنَّه هو كان ينبوعًا مختومًا.

فمع أنَّ المسيح هو مصدر الماء الحيّ، فليس الماء مُتوافرًا إلاَّ للذين يرفع الآب السماويُّ الختمَ لأجلهم. مثلاً ذلك الرجُل الذي شفاه المسيح عند بِركة بيت حِسدا في يوحنَّا ٥. كان قد ظلَّ مريضًا طيلة ثمانٍ وثلاثين سنة. ومعنى **بيت حسدا** هو "بيت الرَّحمة أو النعمة" حيثُ "الماء الجاري". فيومَ ذهب المسيح إلى هناك، كان مُنطرِحًا حَشدٌ كبير من مرضى وعميان وعُرج ويابسي الأطراف، يتوقَّعون كلُّهم تحريك الماء في البرِكة. لقد أمِلوا أنَّه إذا بدأ الماء يتدفَّق يُتاح لهم أن ينزلوا فيُشفَوا.

وإذ اجتاز المسيح أحد الأروقة المحيطة بالبركة، فلا بدَّ أنَّه توقَّف هُنيهةً وأجال نظره على الجموع الذين كانوا كلُّهم بحاجةٍ إلى شفاء من نوعٍ مَّا. ثُمَّ تقدَّم نحو البركة، مُتخطِّيًا ومتجنِّبًا جسدًا مُثيرًا للشفقة بعد آخر، حتَّى وصل إلى هذا الرجل وسأله: "هل تُريد أن تصحَّ؟"

لا شكَّ أنَّ الرجل أراد أن يصحَّ! ولكنْ لماذا طرح المسيح هذا السؤال على إنسان أحد وحيد فقط؟

بصفته **الطبيب العظيم**، كان قادرًا على شفاء جميع الذين عند البركة في ذلك اليوم. كان في وسعه أن يُحدِث مشهدًا رائعًا ويدفع شعبيَّته وشُهرته إلى مرتبة النُّجوميَّة في لحظة واحدة. فلا شكَّ أنَّه كان يستطيع أن يشفيَ كلَّ مريض هناك. ولكنَّه لم يفعل ذلك. فلماذا؟

الجوابُ هو أنَّ المسيح كان ينبوعًا مختومًا. إنَّه هو "بيت حسدا" **الحقيقيُّ**. وهو الماء الجاري والحيُّ الحقيقيُّ، لكنَّه لم يُحدِّد هو إلى أين يجري ذلك الماء. بل إنَّ أباه هو من فعل لك.

غالبًا ما تكلَّم المسيح عن قيامه فقط بالأعمال التي رأى أباه يعملها، أو عن تكلُّمه فقط بالأقوال التي سمع أباه يقولها.

"فأجاب يسوع وقال لهم: "الحقَّ الحقَّ أقول لكم: لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئًا إلاَّ ما ينظر الآب يعمل؛ لأنْ مهما عمل ذاك، فهذا يعمله الابن كذلك" (يوحنَّا ٥: ١٩).

"لأنِّي لم أتكلَّم من نفسي، لكنَّ الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصيَّة: ماذا أقول وبماذا أتكلَّم. وأنا أعلم أنَّ وصيَّته هي حياة أبديَّة. فما أتكلَّم به، فكما قال لي الآب هكذا أتكلَّم" (يوحنَّا ١٢: ٤٩ و٥٠).

"ألستَ تؤمن أنِّي أنا في الآب والآبَ فيَّ؟ الكلام الذي أُكلِّمكم به لستُ أتكلَّم به من نفسي، لكنَّ الآبَ الحالَّ فيَّ هو يعمل الأعمال" (يوحنَّا ١٤: ١٠).

فلماذا شفى يسوع فقط ذلك الإنسان الواحد ذلك اليوم؟ كان ذلك لأنَّ الآب الحالَّ في المسيح، بصفته **روحًا**، **في** روح المسيح، كان مُبيِّنًا لابنه وقائلاً له: "يا ابني، هذا هو الإنسان الذي أُريد منك أن تشفيَه."

لقد شفى المسيح ذلك الرجُل ليس لأنَّه كان محتاجًا إلى الشفاء أكثر من الآخرين، ولا لأنَّ الرجل كان لديه إيمان أكثر من الآخرين، ولا لأنَّه كان يملك إمكانيَّة كامنة لأجل الملكوت أكثر من الآخرين. إنَّ الربَّ يسوع شفى ذلك الرجُل، لأنَّه كان عائشًا في طاعة كاملة لأبيه. لقد رفع الآبُ الختم ذلك اليوم، فجرى الماء الحيُّ، وشفيَ الرجُل.

في نشيد الأنشاد، كانت الأنهار التي تغذِّي ينبوع البستان، الذي شبَّه سليمان عروسَه به، نابعةً من لبنان. وفي سفر الرؤيا، نرى "نهرًا صافيًا من ماء حياة، لامعًا كبلُّور، خارجًا من عرش **الله** والخروف" يُروي المدينة السماويَّة، أورشليم الجديدة، عروسَ المسيح، بماءٍ حيّ (رؤيا ٢٢: ١).

والعروس في النشيد هي ينبوعُ سليمان المختومُ وبستانُه المغلَق في آنٍ معًا. وفي أوَّل الأصحاح الخامس نراه داخلاً بُستانه، وقائلاً: "قطفتُ **مرِّي** مع **طيبي**، أكلتُ **شهدي** مع **عسلي**، شربت **خمري** مع **لبني**." فقد وافى الملك بُستانَه، عروسَه، وباستمتاع غير مكبوت أشبع وأبهج ذاتَه بجميع ثمارها السارَّة جدًّا! لقد بلغ الحبُّ ذروته. إذ إنَّ اثنَيهما صارا واحِدًا على الصعيد الطبيعيِّ مرَّةً أُخرى.

إنَّ العسل واللبن المذكورَين في الآية الأُولى من الأصحاح الخامس يُذكِّراننا بأرض الآباء التي أعطاها الربُّ لشعبه القديم ميراثًا لهم. ومن جُملة الأسماء العديدة التي دُعيَت بها "الأرض البهيَّة" و"الأرض الجيِّدة"، إلاَّ أنَّها دُعيَت أيضًا "**بَعولة**" ومعناها "مُتزوِّجة" (إشعياء ٦٢: ٤). فقد كان لشعب **الله** القديم أن يصيروا واحدًا مع الأرض. وكان لهم أن يتمتَّعوا بكُلِّ غناها النفيس. وكما وصف سِفر التثنية تلك الأرض، فإنَّها كانت عبارةً عن:

"أرضِ أنهار من عيون، وغمارٍ تنبع في البقاع والجبال؛ أرضِ حنطة شعير وكرم وتين ورمَّان؛ أرضِ زيتون وزيت وعسل. أرضٍ ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزًا، ولا يعوزك فيها شيء. أرض حجارتها حديد، ومن جبالها تحفر نحاسًا. فمتى أكلتَ وشبعت، تبارك الربُّ إلهك لأجل الأرض الجيِّدة التي أعطاك" (تثنية ٨: ٧- ١٠).

غير أنَّ أرض الآباء كانت بالنِّسبة إلى الشعب القديم، وبالنِّسبة إلينا أيضًا، صورة للمسيح الذي هو

ميراثنا. فهو "أرضُنا الجيِّدة". وهو ميراثنا، والله يُريد لنا أن نملكه كلّه ونتمتّع به تمامًا.

وفي الصُّورةِ التي يُقدِّمها لنا الله عن سليمانٍ وعروسه، لا نرى فقط أنَّ المسيح هو ميراثُنا (بكُلِّ ما هو في ذاته وكُلِّ ما يخصُّه)، بل أنَّنا نحنُ ميراثُه أيضًا. لقد قال سليمان لعروسه: "أكلتُ شهدي مع عسلي؛ شربتُ خمري مع لبني." فهي كانت، بالنِّسبة إليه، أرضه الفائضة لبنًا وعسلاً. إنَّها كانت؛ بالنسبة إليه، أرضَه الموعودة المبارَكة.

وإذ يغوص الاثنان في نشوة اتِّحاد النَّفس والجسد، يبرز فجأةً في النشيد مرَّة أُخرى استِحسانٌ بهيج من طرَف ثالث كلِّيِّ القُدرة- يمثِّل الله الآب- يُصدِّق على سعادتهما الزوجيَّة:

"كلوا أيُّها الأصحاب، اشربوا واسكروا أيُّها الأحباب!"

أفكار / صلوات

أنت تعلم من هو الملك في هذه القصَّة: سليمان. وتعلم أنَّ بستان سليمان الخاصَّ وينبوعه المختوم هما عروسُه. وتعلم أيضًا أنَّ سليمان رمزٌ أو صورة للربِّ يسوع. فمعنى هذا أنَّ بستان المسيح الخاصَّ وينبوعه المختوم هما أنت! إنَّه هو ميراثُك، وأنت ميراثه. أنتَ أرضُ المسيح الموعودة المبارَكة.

فالآنَ وقتٌ مؤاتٍ لأنْ تدعوَه إلى بستانه وتسمح له بأن يتمتَّع بكلِّ ثماره.

ربِّي يسوع، أنا بستانك. إنَّ قلبي، وكلَّ ما عندي، وكلَّ ما أنا في ذاتي، مِلكٌ لك. تعال إلى بستانك. أروِني بلمسة جديدة من روحك القدُّوس. تمتَّع بما هو لك. لِتَطِب نفسُك بالثمر الذي تراه ناميًا في حياتي! ازرع بذورًا جديدة ستحمل بَعدُ مزيدًا من الثَّمر الذي تتمتَّع به. اجعلني ينبوعك المختوم. علِّمني أن أستجيب لصوتك وإرشادك وأوامرك، حتَّى يُطلَق الماء الحيُّ فيَّ ويجري إلى داخل حياة الآخرين. ربِّ، أنت صالحٌ جدًّا. شكرًا لك لكوني ميراثك، أرضك الموعودة المبارَكة. شكرًا لك على العمل الذي أنت قائم به في حياتي.

“ما هو مكتوب هنا يجعل المرء يفكِّر في الزواج، ولكنَّ المقصود هو اتِّحاد النفس البشريَّة بالله.”

القدِّيس غريغوريوس النِّيصيُّ، القرن الرابع

اليوم السادس عشر

الاستِرسالُ في حبِّ المَلِك

نشيد الأنشاد، الأصحاح الرابع

"استيقظي، يا ريح الشَّمال، وتعالي، يا ريح الجنوب! هبِّي على جنَّتي، فتقطر أطيابها. ليأتِ حبيبي إلى جنَّته، ويأكل ثمره النفيس!"

نشيد الأنشاد ٤: ١٦

"قد دخلتُ جنَّتي، يا أُختي العروس. قطفتُ مُرِّي مع طيبي. أكلتُ شهدي مع عسلي. شربتُ خمري مع لبني."

نشيد الأنشاد ٥: ١

أطبقتُ الختم الحجريَّ، ورجعنا إلى بساطنا المُظلَّل.

وقعدنا. فأمسكت مَلِكتي يدي، ونظرت داخل عينيَّ، وقالت: "مَلِكي وزوجي، إذا كان حبِّي لك يجعلك حقًّا مُفعمًا بالحيويَّة كما تقول، فهو غير مُتعمَّد من قِبَلي. فكلُّ ما أُعطيك إيَّاه يأتي بصورة طبيعيَّة تمامًا. إنَّه ردُّ فعلٍ خالصٌ حيال الحبِّ الذي أعطيتَني. فأنا أستجيب لك كما تستجيب هذه الأشجار والنباتات لمياه النَّبع، وحُبِّي لك- على غِرارها- إنَّما يزداد نموًّا فحسب.

"إنَّك تُربكني من جديد بالكلمات التي تتدفَّق كهذه الساقية الحيَّة من شفتَي مليكي. فيبدو لي فوق المنطق والمقارنة أنَّه يمكن أن أكون الحياة بعينها في نظرك، لأنَّني كنتُ غير مُتنبِّهة تمامًا لجميع ما تراه فيَّ من فضائل وجمال.

"ولكنَّ ثمَّة مزيدًا يجب أن أقوله، يا مليكي.

"في ما بدا كأنَّه وقت قصير جدًّا قضيناه معًا، اكتشفتُ مختلف فصول الحُبّ: الربيع الذي فيه كلُّ شيء مزهِرٌ وحيّ، كما هو هنا معك اليوم، ولكنْ أيضًا الشتاء البارد في فترات غيابك. ففي تلك الأوقات، شعرتُ بأنّني أُشبِه شجرة تساقط ورقُها، حين باتت جميع أشكالها وأغصانها الملتوية مكشوفة. وفي تلك الأوقات، وددتُ لو أُخفي ما كان تحت السَّطح في حياتي. فقد شعرتُ كما لو لم يكُن لي أيُّ جمال خارجيٍّ على الإطلاق، ولكنْ كما جاء حضورك وذهب هكذا جاء جمالي وذهب أيضًا."

فقلتُ مُقاطِعًا: "أنا أعلم عمَّا تتكلَّمين. ولكنْ مع أنَّ وجودي معكِ وإبداءاتي للمحبَّة جذبَتكِ أوَّلاً إليَّ وأيقظت الحبَّ في قلبكِ، أعوزني أن أعلم هل ما تزالين تحبِّينني في غياب تلك الأُمور. أأجِد قلبًا يحبُّني حقًّا بالمقابل، ليس فقط بسبب العطايا والخيرات التي تلقَّاها: قلبًا يظلُّ يحبُّ حتَّى في غيابها؟"

وبدا أنَّ كلماتي هدَّأتْها ودفعتها إلى التفكير. فقلتُ برِقَّة: "لقد اخترتكِ لأنَّني وثقتُ بأنَّ في وسعكِ أن ترَي ما لا يُرى، وبأنَّكِ لن تُدلِّلي فتُفسَدي من جرَّاء رفاهية كلِّ ما يحيط بكِ، ولا حتَّى من جرَّاء أمانة حضوري. وقد علمتُ أنَّني أحيانًا كثيرة سأضطرُّ إلى الغياب عنك، وعلمتُ أنَّ أسباب الرَّاحة في القصر وفي العالم لا يمكن أن تُريح أحدًا مدَّةً طويلة. فأحيانًا، سيكون الأمر الوحيد الذي يتوافر لديكِ لإبقائكِ على قيد الحياة هو الإيمان بأنَّني في مكانٍ مَّا خارجًا سوف أرجع إليكِ."

أجابت: "ذلك امتحان أرجو أن أكون قد نجحتُ فيه. ففي مرحلة عدم النُّضج في الحبّ، بتُّ مدمنةً المشاعر الرائعة التي كان يثيرها وجودُك المُسكِر. لكنَّني لا أُحبُّك فقط بسبب تلك اللحظات. وأرجو أن تعلم ذلك الآن."

ثمَّ توقَّفَت هُنيهةً، وعبثت في رقَّة بتُرس واحد من القِلادة التي سبق أن أهديتُها إليها. وبعدئذٍ قالت: "إنَّ حبِّي لك سوف يبقى ثابتًا بصرف النظر عمَّا سيحدث، حتَّى في الأوقات التي فيها سيتطلَّب الأمر إيمانًا خالصًا فحسب."

إذ ذاك بدأت تهبُّ على البستان نسمةٌ رقيقة منعشة، محرِّكةً الأغصان بانسجام. فطوَّقَت مليكتي عُنقي بذراعها، ونظرت محدِّقةً إلى داخل عينيَّ. وقالت: "لستُ أعلم ما ينتظرني وراء منعطف الحياة التالي، ولكنَّني أعلم هذا: أنَّك قد أسرتَني بحبِّك. إذًا، استيقظي يا ريح الشَّمال الباردة، وتعالَي يا ريح الجنوب المنعشة! هلمِّي أيَّتها الأوقات الرديئة؛ هلمِّي أيَّتها الأوقات الطيِّبة. لا يهمُّني. فالأمرُ لا يتعلَّق بي، وبما أُريده. ليتني أكفُّ تمامًا عن جعل عواطفي يتقاذفُها بحرُ الظروف. إنَّني أُريد أن يزدهر حبِّي لك في ظلِّ أيَّة حال."

ثمَّ خفضَت صوتها وهمسَت في أُذني: "أيَّتها الريح، دعي بستاني ينفث عِطره الشذيَّ. دعي رائحة أطيابه تفُح في كلِّ اتِّجاه. تعال، يا حبيبي، إلى داخل بستانك. إنَّه لك كلُّه. كُل من ثماره النفيسة."

تجاوبتُ بسرعة مع دعوتها إلى الحبّ. فبدأنا كِلانا نتجرَّد من ثيابنا، وتهالكنا أرضًا على بساط جلد الحملان الناعم، وأقمنا وصال الحبِّ بشغف مشترك. وقد بذلَت نفسها لي باستسلام تامّ.

وفي شَفَق نشوتنا، إذ كنتُ ما أزال مُتسارِع الأنفاس في هبَّات ونفثات قصيرة، قلتُ لمحبوبتي: "قد دخلتُ جنَّتي، يا أُختي العروس. قطفتُ مرِّي مع طيبي. أكلتُ شهدي مع عسلي. شربتُ خمري مع لبني."

وإذ استلقَينا معًا في الهواء الطَّلق، مُشبعَين كِلانا تمامًا، تنبَّهنا فجأةً إلى نَغَم رقيق آتٍ من لامكان، مُمتطيًا نسمة الهواء. فبدا كأنَّ جوقةً سماويَّة كانت تترنَّم فوقنا بابتهاج غامر، مصدِّقةً على سعادة زواجنا: "كلوا أيُّها الأصحاب، اشربوا واسكروا أيُّها الأحباب!"

نِقاط للتأمُّل

"اشكروا في كلِّ شيء، لأنَّ هذه هي مشيئة **الله** في المسيح يسوع من جهتكم" (١تسالونيكي ٥: ١٨).

في هذا الوقت من علاقة العروسين، كانت العروس قد اجتازت أوقاتًا طيِّبة وأُخرى سيِّئة. إذ كان ربيعٌ وكان شتاء، أوقات اختبار لقُرب عريسها وأوقات اختبار للانفصال. لقد كانت على المرتفعات معه، واقتيدَت نزولاً عبر تلك الأماكن التي فيها تزأر الأُسود وتجوس النمور. أمَّا الآن، في هذه المرحلة من نموِّها في الحبّ، فإنَّ فصول حياتها وظروفها العديدة قوبِلَت بهذه الاستجابة الوحيدة: "استيقظي يا ريح الشمال، وتعالَي يا ريح الجنوب!"

روحيًّا، كانت العروس تدعو الروح القدس وتُنادي الرِّيح- ريح الشمال الباردة اللاسعة وريح الجنوب الدافئة المُنعشة على السواء- إلى إثارة عبير مُبهج فيها يكون بهجةً لمن باتت تحبُّه. لقد وصلت إلى نقطة عندها أدركت أنَّ الظروف الخارجيَّة لا تهمُّ. وقد نمَت بحيث تخطَّت إبداء الحبِّ له في الأوقات الهنيئة والانكفاءَ أو الاستياء في الأوقات الرديئة. وقد باتت واثقةً في حبِّها ثقةً كافية يسَّرت لها أن تقول: "أيًّا كانت الظروف التي قد تُقبِل عليَّ، فسأستقبلها بذراعين مفتوحتين، ولن يتغيَّر حبِّي لك. لم يعُد الأمر مُتعلِّقًا بي، ولا بما أُريد. فأنا أعلم أنَّك تحبُّني أيًّا كان فصلُ الزَّمان. وبفضل ريح روحك القدُّوس الساكن فيَّ، يمكنني أن أزدهر في ظلِّ أيِّ ظرف من الظروف."

هذا هو الموقف الذي نراه لدى الرسول بولس.

"فإنِّي قد تعلَّمت أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه. أعرف أن أتَّضع، وأعرف أيضًا أن أستفضل. في كلِّ شيء وفي جميع الأشياء، قد تدرَّبت أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كلَّ شيء في المسيح الذي يقوِّيني" (فيلبِّي ٤: ١١- ١٣).

"مَن سيفصلنا عن محبَّة المسيح؟ أشدَّة، أم ضيق، أم اضطهاد، أم جوع، أم عري، أم خطر، أم سيف؟ ولكنَّنا في هذه جميعها يعظُم انتصارنا بالذي أحبَّنا. فإنِّي متيقِّن أنَّه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء، ولا قوَّات، ولا أُمور حاضرة ولا مستقبلة، لا علو ولا عمق، ولا خليقة أُخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبَّة **الله** التي في المسيح يسوع ربِّنا" (رومية ٨: ٣٥، ٣٧- ٣٩).

هل بتنا ندرك أنَّ **كلَّ شيء** يحدث في حياتنا يمرُّ أوَّلاً عبر يدَي إله مُهَيمن مُحِبّ- بمشيئته وبسماحٍ منه- وأنَّه تمامًا ما نحتاج إليه؟

ثُمَّ... هل تعلَّمنا أن نرفع التشكُّرات؟

ليس أمرًا يأتينا بصورة طبيعيَّة أن نرى الألم والمُعاناة والخسارة والعُسر صادرةً من عند إله يُفترَض أن يكون واقعًا في حبِّنا بجنون. وبَعد، هو أمرٌ مُجهِدٌ أكثرَ أن نرفع التشكُّرات. ولكن ما هي خِياراتنا؟ أنُلقي اللوم على إبليس (الذي يُنسَب إليه فوق ما ينبغي) أم على رسوله (رئيس العمل غير الشكور؛ الصديق الأنانيّ؛ شريك الحياة المُخيِّب للآمال) من أجل الأمور السيِّئة التي تحلُّ بنا؟ أم نقول: "مهلاً قليلاً! حتَّى إبليس هو تحت سلطان **الله**، وكما في حالة أيُّوب لا يمكن أن يُسبِّب لي أيَّ أذى ما لم يؤذَن له بذلك أوَّلاً. ولذلك، فمهما كان حادثًا في حياتي الآن، الآن (إلاَّ إذا اشتمل الأمر على خطيَّة جليَّة من جانبي) فلا بدَّ أن يكون التعبير الكامل عن مشيئة **الله**، ولا شكَّ أنَّه لخيري الأقصى"؟

إنَّ ما نحسب أحيانًا أنَّه جاءنا مباشرةً من يد العدوِّ ربَّما يكون قد جاءنا من قِبَل ربِّ الحياة بنفسه لكي يستأسر بمحبَّةٍ جزءًا ما من أجزاء حياتنا لم يُخضَع بعدُ لسيطرته.

حتَّى يوسف- عندما ذكَّر إخوته بغدرهم به لمَّا طرحوه في بئر ثُمَّ باعوه لتُجَّار إسماعيليِّين بعشرين شاقلاً من الفضَّة (في فعل خيانة أدَّى إلى سجنه في مصر ومعاناته كلَّ صنف من العذاب)- كان في

وسعه أن يقول: "أنتم قصدتم لي شرًّا؛ أمَّا **الله** فقصد به خيرًا، لكي يفعل كما اليوم: ليُحيي شعبًا كثيرًا" (تكوين ٥٠: ٢٠).

فهذا مَعلَم على طريق النُّموِّ المسيحيِّ يمكننا جميعًا أن نصبوَ إليه: أن نُقدِّم لله قلبًا شكورًا **في كلِّ شيء**.

ولكنَّ هناك المزيد. وهذا يغوص إلى عمقٍ أعمق.

حتَّى الآن، ما برحنا ننظر بعين الاعتبار إلى الظروف الخارجيَّة فحسب. ولكنْ ما حال حياتنا الداخليَّة الخاصَّة مع الربِّ؟ إنّ المبدأ عينه يصحّ.

أنستطيع أن نقول الكلمات التالية مع بولس؟

"تعلَّمتُ أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه [روحيًّا]. أعرف أن أتَّضع [في أوقات الجفاف الروحيّ، الأوقات التي فيها لا "أشعر" بأنَّ الربَّ قريب]، وأعرف أيضًا أنْ أستفضل [في أوقات البركة والتمتُّع الروحيَّين، الأوقات التي فيها أُحسُّ حضوره بوضوح]. في كلِّ شيء [كلِّ ظرف روحيّ] وفي جميع الأشياء [مُختلف فصول حياتي]، قد تدرَّبتُ أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كلَّ شيء في المسيح الذي يُقوِّيني" (فيلبِّي ٤: ١١- ١٣).

وبإنزال هذا إلى مُستوًى عمليٍّ جدًّا، كيف ينطبق هذا على أوقات الصلاة لدينا؟ إذا شاء **الله** أن يُباركنا بحضوره المحسوس، أو يتكلَّم إلينا، أم يلمسنا بطريقة مَّا، أفلا نخرج من ذلك الاختبار رافعين التشكرَّات؟ ولكنْ ماذا يكون إذا شاء أن يحجب حضوره، أو ألاَّ يتكلَّم إلينا ولا يؤتينا أيَّ إحساس بأنَّ الوقت الذي كرَّسناه له ذو قيمةٍ مَّا أو قد أحدث أيَّ فرق؟ أفي وسعنا أن نقبل ذلك أيضًا باعتباره آتيًا من عنده... **ونرفعَ التشكُّرات؟**

وهل نظلُّ نعود إلى حضرته؟

أحيانًا، يختبئ **الله** لكي يوقظنا من كسلنا الروحيّ. وأحيانًا أُخرى، يختبئ ليرى هل نبقى أُمَناء في الإتيان إلى حضرته حتى لو لم يبدُ أنَّ هنالك أيَّة بركة أو منفعة روحيَّة على الإطلاق.

إنَّ الإتيان إلى **الله** بقلب لا يطلب منه شيئًا ما عدا أن **يسرَّه فقط** لَهُو علامةُ الأمانة.

فالمكوث في حضرة ربِّنا، حتَّى بعد فراغنا من قول كلِّ ما نبتغي قوله؛ والانتظار أمامه بصمت مُفعم بالاحترام والتعبُّد؛ ونسيان الماضي وتسليم المستقبل في يدَيه؛ والعيش معه في نطاق الحاضر: هذه كلُّها أطياب مُبهِجة **لحبيبنا** حقًّا يقينًا.

"استيقظي، يا ريح الشَّمال؛ وتعالي يا ريح الجنوب!"

أفكار / صلوات

ليكُن هذا موقفنا ودُعاءنا: "استيقظي، يا ريح الشَّمال؛ وتعالي، يا ريح الجنوب. هبِّي على جنَّتي، فتقطر أطيابَها!"

إنَّ الروح القدس وحده يستطيع أن يُكمِّل في حياتنا هذا النوع من الثبات والأمانة، ويُنتِج في قلوبنا محبَّةً لإلهنا تزدهر في ظلِّ أيِّ ظرف من الظروف. هذا هو رجاؤنا.

"والرجاء لا يُخزي، لأنَّ محبَّة **الله** قد انسكبت في قلوبنا بالرُّوح القدس المُعطى لنا" (رومية ٥: ٥).

اليوم السابع عشر

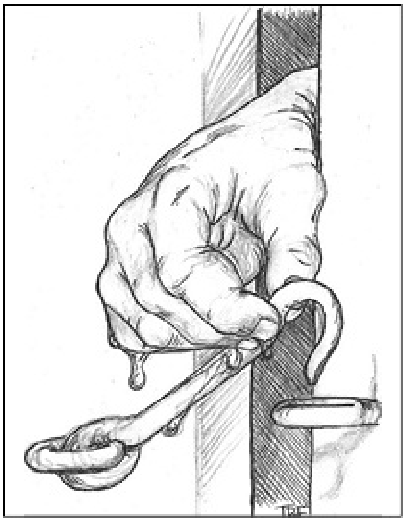

مُعاناة اللَّيل

نشيد الأنشاد، الأصحاح الخامس

"أنا نائمة، وقلبي مستيقظ. صوتُ حبيبي قارعًا: 'افتحي لي يا أُختي، يا حبيبتي، يا حمامتي، يا كاملتي! لأنَّ رأسي امتلأ من الطَلِّ، وقُصصي من ندى الليل!'." 'قد خلعتُ ثوبي، فكيف ألبسه؟ قد غسلتُ رجليَّ، فكيف أُوسِّخهما؟' حبيبي مدَّ يده من الكوَّة، فأنَّت عليه أحشائي. قمتُ لأفتح لحبيبي، ويداي تقطران مرًّا، وأصابعي مرٌّ قاطر على مقبض القفل. فتحتُ لحبيبي، لكنَّ حبيبي تحوَّل وعبر! نفسي خرجت عندما أدبر. طلبتُه، فما وجدتُه؛ دعوتُه، فما أجابني."

نشيد الأنشاد ٥: ٢- ٦

كان في الملك جانبٌ بَعد لم أرَه من قبل. فقد جاءني عصرًا ذاتَ يوم، قائلاً لي إنَّه مُضطرب وقد نوى أن يُغادر القصر بمُفرده تلك الليلة، ويذهب إلى بستان زيتون منعزل عبرَ وادي قِدرون لكي يُصلِّي. بدا ذلك غريبًا، ولكنَّني لم أستفسِره بعد.

وعند هبوط الليل، ارتدى عباءةً ذات غِطاء للرأس حتَّى لا يُعرَف، وغادر القصر سرًّا ومضى إلى البستان. كانت شؤون كثيرة مُتعلِّقة بالمملكة تُثقِل فِكره تلك الليلة، ليس أقلَّها أنا (كما تبيَّن لي في ما بعد).

كان حبِّي قد آتاه رضًى عميقًا، ولكن بقي لديه همٌّ واحد بعد. أكنت مُبديةً ثقة مفرطة بأنَّ حُبِّي له لا يمكن أن يهتزَّ أبدًا؟ أكان هنالك مبدأٌ كامن في صُلب الطبيعة، ومكتوبٌ في نسيج الكون بذاته، أنَّه مثل تلك البذور في بستانه ينبغي لحبِّي أن يجتاز بسلامةٍ امتحانَ الموت قبل أن يستطيع حقًّا إثباتَ كونه

ثابِتًا؟ أينبغي لحبِّي الشخصيِّ أن يُمتحَن أكثر قبل أنِ أغدوَ مُدرِكةَ أنَّ حبًّا نقيًّا نظيرَ هذا لا يمكن أن يأتي إلاَّ من عند الله وأنَّه ليس في مُتناولي بصفتي إنسانةً فانيةً فحسب؟

لعلَّ رجُلاً آخر ما كانت تُداخِله أصلاً أفكار كهذه، ولا كان ليطلب حبًّا نقيًّا كهذا. غير أنَّ مليكي لم يكُن مثل باقي الرِّجال!

لمَّا وصل إلى البُستان، جثا على ركبتَيه بجانب صخرة كبيرة، بقُرب معصرة زيت قديمة، وأخذ يصلِّي. وقد كانت تلك ليلةً طويلة موحشة. فبحزن وكرْب، تصارع مع ذاك الذي يسود على مملكة أعظم بكثير من مملكة أُمَّتنا، مع الربِّ الإله القدير.

لم يأبهِ الملك لمرور الوقت. ووقتَما خرج من البستان أخيرًا، كان الفجر يوشك أن يبزغ. ولدى رجوعه إلى القصر، توجَّه نحو غُرفتي. وكانت خُصَلُ شعره الحالكِ كالغُراب الأسود وثيابُه مبلَّلةً بنَدى اللَّيل.

كنتُ قد أويتُ إلى سريري باكرًا، ولكنَّني استيقظتُ لمَّا سمعتُ قرعه العالي على بابي وهو يقول: "افتحي لي يا أُختي، يا حبيبتي، يا حمامتي، يا كاملتي! لأنَّ رأسي قد امتلأ من الطلِّ، وقُصصي من ندى الليل."

وكان في وسعي أن أُحِسَّ توقه العارم لأنْ يكون معي.

غير أنِّي ما كنت قد توقَّعت نداءه في هذه الساعة المتأخِّرة، فتردَّدت. لم أُرد حقًّا أن أفتح له. وومضَت في خاطري ذكرى عهدي له في البستان بأن أُحبَّه في ظلِّ أيِّ ظرف من الظروف، ولكنَّني طردتُ الفكرة بسُرعة. إنَّ هذا لم يكن امتحانًا للحبِّ، بل كان مسألة لياقة ومُلاءمة! وفكَّرتُ: ما عسى أن أقول له؟ فنظَّفتُ حنجرتي بالتَّنحنُح، مُتسائلةً مع ذلك أفي وسعه أن يرى الحقيقة من خلال عذري الواهي، وأجبتُ: "قد خلعتُ ثوبي، فكيف ألبسه؟ قد غسلتُ رجليَّ، فكيف أُوسِّخهما؟"

لم أستطِع أن أُخفيَ كلِّيًّا الانزعاج الذي نمَّ عنه صوتي. لقد جاء حبيبي إليَّ مرَّةً جديدة، ولكنْ هذه المرَّة لم يكن قدومه بصفة الملك الآسِر، ولا كشجرة التفَّاح بين شجر الوعر. ولا جاء كالغزال الأنيق، أو العريس المسرور، أو مُتسلِّق الجبال الشجاع، ولا حتَّى كالبُستانيِّ اللطيف. فهذه المرَّة جاء إليَّ في ساعةٍ وبهيئةٍ لم تروقاني.

ثمَّ قرع ثانيةً، طالبًا الدُّخول، ولكنَّني لم أُبدِ له أيَّ تجاوب. أخيرًا، أدخل يده من الكوَّة بقرب الباب ليمسك مقبض القُفل ويفتحه بنفسه. وإذ لاحت لي يدُه في الظلام، أيقظتُ نفسي ونهضت على مهل ومشيت إلى الباب لأجِد المقبض يقطر مرًّا سائلاً. ولمَّا فتحتُ الباب، كان حبيبي قد مضى.

فاضطرب ضميري، وتذكَّرتُ في لحظة واحدة كلمات الحبِّ الفتيِّ التي سبق أن كرَّت من بين شفتيَّ: "اجذبني وراءك، فنجريَ جميعًا!" أكنتُ ساذجةً جدًّا؟ هل تصوَّرتُ أنَّ أشواقي ستُلبَّى فقط باصطحاب الملك لي إلى قِمَم الجبال؟ هل أردتُه فقط لأوقات شمِّ الزُّهور في الرِّيف أو في بستانه؟ كيف لم أُدرِك أنَّ هروبنا معًا لم يعنِ فقط سماع صوت اليمام أو رؤية الكروم مُزهِرةً، بل عنى أيضًا مُشاركته في أوقات الضيق والمعاناة؟

أسرعتُ أعبر الرِّواق مفتِّشةً عنه، ولكنِّي لم أجِده. فناديتُه، ولكنْ لم يكُن جواب.

فرجعتُ بسُرعة إلى مهجعي. وفي تعجُّلي لألحق به، تلفَّفتُ برِداء وتناولت نِقابًا أُلقيه على رأسي. وفكَّرتُ بيني وبين نفسي: لعلَّه رجع إلى بستان الزيتون ذاك عبرَ الوادي. سأذهب إلى هناك لأبحث عنه.

نِقاط للتأمُّل

"لأعرفه، وقوَّة قيامته، وشركة آلامه، مُتشبِّهًا بموته، لعلِّي أبلغ إلى قيامة الأموات" (فيلبِّي ٣: ١٠ و ١١).

في مراحل الحبِّ الأبكر، كان توق الفتاة الشَّديد أن يُلبِّي الملك طلبَها أنِ "اجذبني وراءك، فنجريَ جميعًا!" (نشيد الأنشاد ١: ٤). وهذا أيضًا شوقُنا: أن يجتذبنا الربُّ وراءه. ولكن كأشخاص حديثي الإيمان بالمسيح، ألدَينا حقًّا أيَّة فكرة عمَّا نحن طالِبوه؟ وهل نظنُّ، في سذاجتنا، أنَّه سيستجيب تلك الصلوات باصطحابه إيَّانا فقط إلى قِمَم الجبال والمرتفعات، بإعطائنا فصول ربيع فحسْب؟ في أوقات التكريس تلك، عندما نُسلِّم نفوسنا للربّ، يجب أن ندرك أنَّنا ملتزمون أن نتبعه إلى أيِّ مكان، ولو إلى الصليب ومكان الآلام.

إنَّ صورة سليمان هذه تُذكِّرنا بساعات الظُّلمة التي قضاها المسيح في جثسيماني، حين دُعيَ تلاميذه- كعروس النشيد- إلى الانضمام إليه كي يسهروا ويصلُّوا، ولكنَّهم في نُعاسهم الشديد لم يستجيبوا.

في أعقاب العشاء الأخير وترنيم تسبيحة ختاميَّة مع التلاميذ، بدأت ليلة كرْب ربِّنا يسوع في الساعة الثامنة مساءً على وجه التقريب. فقد غادر العلِّيَّة مع تلاميذه واقتادهم في أزِقَّة مدينة القدس، عبر الجسر ذي الصَفَّين فوق وادي قِدرون، إلى جبل الزيتون وإلى بستان جثسيماني. وإذ ترك تلاميذه الأحد عشر، تقدَّمهم وسط غيضة من الشجر إلى بقعة تهالك فيها على الأرض وأخذ يصرخ إلى أبيه بصُراخ شديد. هنالك، تصارع مع الآب- إذ جرت المُنازلة بين إرادته وإرادة الآب- وكان الصِّراع على كأس.

كانت تلك الكأس مرتبطة بإرادة الآب. وهناك، في جثسيماني (ومعناها "معصرة زيت") سكب المسيح نفسَه، كزيتونة تُسحق في معصرة الزَّيت، وصارع الكرْب حتَّى استسلمَت إرادتُه وتشبَّث بإرادة الآب.

وبعد رجوعه إلى التلاميذ ثالث مرَّة لإيقاظهم- مُبلَّلَ الشَّعر بالعرَق وجبينُه وخدَّاه مُخطَّطةٌ بالعرق والدم الذي سال من الشرايين المنفجرة في وجهه- كان قد تقبَّل بسرور أخيرًا الكأس التي طلب الآب منه أن يشربها. كانت تلك كأس الإذلال والألم والهَجْر والغضب والموت، وهو قد شربها بنُبل. فإنَّه كان مِثالاً لا يُضاهى يُرينا كيف نقبل ونتقبَّل بطيبة خاطر الصِّلبان التي يعطينا **الله** إيَّاها لنحملها!

أخيرًا، جاء الجنود بمصابيحهم ومشاعلهم، يصحبهم الخائن، ونحو منتصف اللَّيل قيَّدوا يسوع كمجرم ومضَوا به سريعًا إلى قصر رئيس الكهنة المُجاوِر للهيكل. وإذ كان الإرهاق قد حلَّ بالمسيح، احتمل هُناك، في قاعة القضاء، مُحاكمة زائفة قِوامُها الهزء والسُخرية وسلسلة أكاذيب ظالمة وتُهَم باطلة وحِقد مسعور وتعبيرات ساخرة من قِبَل عصابة من رجال الدِّين المهووسين.

لقد بُصِق عليه. واحتمل جَلدًا وحشيًّا. وتلقَّى اللطم على الوجه والضرب بالقصب، وجُعِل أُضحوكةً، ثُمَّ سيقَ أخيرًا إلى بيلاطس. ومن هناك، أُخِذ إلى موعده مع المسامير التي بها سيُعلَّق على خشبة.

هذه هي صورة ذاك الذي نراه قارعًا باب الملكة، مَن تبلَّل رأسه بالطَّلِّ وخُصَل شعره بندى اللَّيل.

أكانت للآب القدرةُ على إبعاد هذه المحنة المروِّعة عن المسيح؟ طبعًا، كانت له. ولكن بسبب ميثاق أزليّ مُتَّفق عليه بينهما قبل بدء الزَّمان، كان موت المسيح حتميًّا (عبرانيِّين ١٣: ٢٠). فهذا كلُّه كان جزءًا من بطاقة ثمن الفداء. وقد كان ذلك فعل الطاعة الأسمى، حتَّى يُتاح للخُطاة أن يُفدَوا ويحيَوا، بواسطة موت الإنسان الكامل، حَمَل **الله** الذي لا عيبَ فيه.

لن نُدعى كلُّنا إلى احتمال الآلام البدنيَّة من أيدي الآخرين كما احتملها ربُّنا يسوع، ولا كما احتمل شُهَداء لا يُحصَون، ولا كما عانت أعدادٌ لا تُعدُّ من العائشين في بلدان معادية... ولكنَّ بعضًا سيُدعَون

إلى ذلك.

إنَّ معاناة الألم هي جزء من نصيبنا نحن المؤمنين بالمسيح. فلولاها، كيف يمكن أن نشعر فعلاً بعطف حقيقيٍّ على الآخرين؟ كيف يمكننا يومًا أن نُعزِّي الذين يجتازون الألم والمِحَن، إلاَّ إذا كنَّا قد نلنا تعزيةً في أوقاتٍ كهذه؟

"مُبارك **الله** أبو ربِّنا يسوع المسيح أبو الرَّأفة وإله كلِّ تعزية، الذي يُعزِّينا في كلِّ ضيقتنا حتى نستطيع أن نُعزِّي الذين هم في كلِّ ضيقة بالتعزية التي نتعزَّى نحن بها من **الله**. لأنَّه كما تكثُر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثُر تعزيتُنا أيضًا. فإنْ كنَّا نتضايَقُ فلأجل تعزيتكم وخلاصكم العامل في احتمال نفس الآلام التي نتألَّم بها نحن أيضًا؛ أو نتعزَّى فلأجل تعزيتكم وخلاصكم" (٢كورنثوس ١: ٣- ٦).

"مُكتئبين في كلِّ شيء لكن غير مُتضايقين. مُتحيِّرين لكن غير يائسين. مُضطهدين لكن غير متروكين. مطروحين لكن غيرَ هالكين. حاملين في الجسد كلَّ حين إماتة الربِّ يسوع لكي تُظهَر حياة يسوع أيضًا في جسدنا. لأنَّنا نحن الأحياء نُسلَّم دائمًا للموت من أجل يسوع لكي تظهَر حياة يسوع أيضًا في جسدنا المائت. إذًا الموت يعمل فينا ولكن الحياة فيكم" (٢كورنثوس ٤: ٨- ١٢).

أفكار / صلوات

إذا أردتَ يومًا أن تكون لك خدمةُ حياةٍ للآخرين، فهنالك طريقٌ واحد فقط للوصول إلى هناك: استقبِل ذاك الذي يقرع باب قلبك، مَن رأسُه مُبلَّل بالنَّدى وأصابعه قاطرة مُرًّا من جرَّاء مُعاناة اللَّيل.

إنَّه سيأتي قارعًا، لا بقصدِ أن يُفنيَك، بل أن يُغنيَك بعد.

والحاجات الماسَّة جدًّا لدى عالَم خَرِب تنتظر مُعزِّيًا يأتي إليها.

وقد يكون المعزِّي هو أنت، إذ تُعزِّي الآخرين بالتعزية التي تلقَّيتها من الله في أوقات مِحنتك ومُعاناتك.

إنَّ القصيدة المَلحميَّة التي نظمها واتشمان ني تحت العنوان "لنتأمَّلْ كرمةَ العِنَب" تضع أمامنا الأفكار التالية لنُفكِّر فيها مليًّا:

ليس بالرِّبح حياتُنا تُقاس،

بل بما خسرناه يكونُ لها القياس.

وليس الأمر كم من الخمر شُرِب،

بل كم منها قد سُكِب.

فإنَّ قوَّة الحبِّ تقوم أصلا

في التضحية التي نبذلها فعلا.

ومَن كانت له المُعاناة العُظمى،

يحوزُ للمُشاركة النصيبَ الأوفى!

اليوم الثامن عشر

ضربٌ وجروح

نشيد الأنشاد، الأصحاح الخامس

"فتحتُ لحبيبي، لكنَّ حبيبي تحوَّل وعبر! نفسي خرجَت عندما أدبر. طلبتُه، فما وجدتُه. دعوتُه، فما أجابني. وجدني الحرس الطائف في المدينة، ضربوني، جرحوني؛ حَفَظة الأسوار رفعوا إزاري عنِّي."

نشيد الأنشاد ٥: ٦ و٧

غادرتُ القصر بمُفردي، وخرجتُ إلى شوارع المدينة المظلمة. ففاجأني أنَّ أُناسًا كانوا ما يزالون يتسكَّعون في تلك الساعة الباكرة من الفجر. وقد سمعتُ ضحك سكارى خشِنًا. ورأيتُ شحَّاذين ومشرَّدين مُنطرحين في المداخل. فحرَّك الخوف قدميَّ بسُرعة وأسدلتُ شالي إلى أقرب ما يمكن من عينيَّ.

وما إن انعطفتُ حول زاوية، حتَّى التقيتُ توًّا مجموعة من الحُرَّاس الذين كانوا يقومون بجولاتهم في المدينة. وإذ اصطدمتُ بواحد منهم، فقدتُ توازُني وسقطتُ أرضًا. فحاولتُ النهوض باضطراب.

قال أحد الحرَّاس ساخرًا: "ماذا تفعل هذه السيِّدة الشابَّة الجميلة وحدها في هذه الساعة المتأخِّرة من اللَّيل؟ واحِدة من بنات الهوى في المدينة راجعة من لقاء غراميّ؟" ثُمَّ أحاطوا بي وأوقعوني في شَرَك بلِزقِ جدار.

فاستولى عليَّ الذُّعر الشديد.

وقبل أن أتمكّن من التكلّم، رفع واحدٌ منهم ذراعه وسدَّد ضربة قويَّة إلى خدِّي بقفا يده. وإذ اعتراني الدُّوار، ترنَّحتُ ووقعتُ بين ذراعيَ واحد آخر من المستهزئين بي. فبرمَني، ولطمني هو أيضًا على وجهي، مُخرِجًا الدم هذه المرَّة من زاوية فمي. وإذ تشجَّعوا، استمرُّوا في الاستهزاء بي وإهانتي. لقد كانوا أفظاظًا وقُساة... بلا سبب. وتداولتني أيديهم واحدًا فواحدًا، وكلٌّ منهم سدَّد إليَّ ضربته.

دار ذهني مُدوِّمًا بارتعاب. ماذا يمكن أن يفعلوه بي؟ أيتحرَّشون بي؟ أم يغتصبونني؟ أم يقتلونني أيضًا؟ لقد كنتُ بجُملتي تحت رحمتهم وغير قادرة على الدفاع عن نفسي.

وإذ تلقَّيتُ ضربةً أُخرى على رأسي، همستُ: "رحمتَكَ يا **الله**!" وهوَيتُ على الأرض.

لقد انتهَوا أخيرًا. وقد تركوني كُتلةً مُنكمشة، وذراعاي ترتجفان، مغطيَّةً رأسي لأحميَ نفسي من الضَّرب بَعد. وملأ هدير ضحكهم أُذنيَّ إذ مشَوا مُبتعِدين في ظلام الليل.

وعلى بُعد خطوات قليلة عن الحرَّاس، كان بضعة خُفَراء ممَّن يحرسون أسوار المدينة عائدين إلى بيوتهم من نوبتهم الليليَّة. وقد أبطأُوا ليُشاهدوا السُّخرية والضرب. وإذِ افترض أحدُهم أنَّني بنتُ هوى، أمسك شالي ونزعه عن رأسي فيما هو عابر. ثمَّ التفت إلى الوراء، وصاح بسخرية وازدراء: "ليكُن هذا درسًا لكِ! ما من امرأة محترمة تجوبُ الشارع وحدَها ليلاً، خصوصًا برِداء كهذا، إلاَّ إذا كانت تحاول الإتيان بسعرٍ غالٍ وبيعَ جسدها لأجل الرِّبح. انصرفي الآن! ارجِعي إلى بيتكِ أو أيِّ مكان تُقيمين فيه. ليرَ الناسُ وجهك النازف دمًا، فيصيرَ خِزيكِ علنيًّا ولا يبقى مستورًا بَعد."

ولمَّا كنت مجروحة ومُرضَّضة، لم أستطع إرغام نفسي على النهوض، بل كان في وسعي فقط أن أبقى مُنطرحة هناك على الأرض مدَّةً لا أعلم طولها. ولم يمرَّ أيُّ شخص آخر. وإذ كانت أُذني ملتصقة بالرَّصيف، كان الصوت الوحيد الذي استطعتُ سماعه هو خبْط قلبي داخل صدري مذعورًا ومسعورًا.

فكَّرتُ: تُرى، ماذا جرى؟ كيف أمكن أن يُساء فهمي كلِّيًّا هكذا؟ أما عرفني هؤلاء الرجال وعلموا أنَّني مُتزوِّجة من الملك؟ لو أنَّهم كانوا يعرفون مَن التي أساؤوا معاملتها هكذا، لَعرفوا أنَّهم سيُعاقَبون بالإعدام على أفعالٍ كهذه! كيف أمكن أن يأتي هذا الضَّرب والجَرح والهزء والسخرية تمامًا من أيدي الذين كان واجبًا أن يكونوا حُماتي؟

أخيرًا، وقفتُ على قدميَّ مُترنِّحةً، مُجفِلةً من الألم. ومسحتُ الدم عن فمي، فيما رأسي ينبض، وجسمي كلُّه مُوجَع.

وإذ مشَيتُ مُتعثِّرةً، حاولتُ أن استأنف التفتيش عن محبوبي، ولكنِّي سرعان ما أدركتُ أنَّني كنتُ محتاجة إلى مساعدة. فما إن استعدتُ إحساسي بمكان وجودي، حتَّى تطلَّعتُ حواليَّ. وإذا في الجانب المُقابِل من الشارع بيتٌ يُقيم فيه عدد من بنات مدينة القدس. ففكَّرتُ بيني وبين نفسي: لعلَّهنَّ يستطعن أن يساعدنني!

نِقاط للتأمُّل

إنَّ الحُرَّاس في هذا القسم من النشيد يُمثِّلون القادة الروحيِّين داخل جسد المسيح.

وقصدُ **الله** هو إقامة أُولئك الذين يُخوِّلهم سُلطته الروحيَّة ليكونوا أنوارًا ومُرشِدين وحُماةً لشعبه. ولكنْ في طُرق **الله** العجيبة، تُسنَد هذه السُّلطة إلى نوعَين من الأشخاص، لكُلٍّ منهما نَسَبُه الخاصّ، وكلاهُما مسحهما **الله**، لكنْ بأسلوبَي استخدام مختلفَين لتلك السُّلطة.

هذان النوعان نراهما في رجُلَين من الكتاب المقدَّس. أحدُهما كان بنياميِنيًّا، والآخر تحدَّر من سبط

يهوذا. أحدُهما بدأ بداية حسنة، وأظهر واعديَّة عظيمة، ولكنَّه في نهاية المطاف يُذكر فقط كملك مجنون. أمَّا الآخر، رغم إخفاقه أحيانًا، فيُذكر بصفته رجُلاً حسب قلب **الله** وأعظم ملوك أُمَّته. ومن صُلبه وُلد المسيح بعد أجيال. أحدُهما سدَّد رمية رُمح غير مرَّة، أمَّا الآخر فلم يُبادِله بالمِثل. أحدهما صار حسودًا ورأى في منافِسِه خطرًا على سُلطته. أمَّا الآخر فلم يطالب بمملكته قطّ، بل اعتبرها هِبة. أحدهما كان الملك شاول، أمَّا الآخر فالملك داود.

فالحُرَّاس في هذا الجزء من النشيد يمثِّلون أُولئك القادة الذين يرجع نسبُهم إلى الملك شاول.

إنَّ **الله**، في محبَّته، قد يضعك داخل "مملكة" شخص لا يُميِّز مَن أنت حقًّا. وشخص كهذا قد يغدو حتَّى مولعًا بتسديد الرِّماح إليك، أو بمطاردتك كلاجئ كي يُدمِّرك، وإن تكُن قد ساعدتَه في قهر أعدائه وتوطيد مُلكه وإمتاعه بعزفك العذب.

ومع أنَّ الأمر قد يبدو قاسيًا، فهذا كان إعدادَ داود للعرش. وقد كانت فترةُ تدريبه فترةَ ألَم وأسى وفقدانٍ للسُّمعة، على يد شخصٍ سبق أن مسحه **الله** وهو الآن رئيس المملكة!

في البداية، كان حكم شاول حسنًا. وفي ما بعد، ألفى نفسه في مواجهة مُنافِس. لم يكن المنافس أكثر من مجرَّد فتًى صغير، ولكنْ كان لدى شاول ضعفٌ مَّا. فلم يكن قادرًا على أن يتقبَّل فكرة قيام رجُل صالح، ملك مستقبليّ، يخلفه. وقد تأكَّلت الغيرة شاول.

في تلك الأيَّام السوداء، لمَّا اضطُرَّ داود إلى الهرب من شاول، حوَّر الأخيرُ الحقيقة بشأن عدوِّه المُتصوَّر. كما فعل كلَّ ما في وسعه لتأليب الجميع على داود. ومرَّغ اسم داود في التُّراب، حتَّى صار كلمة مُتداوَلة بالسُّوء. حتَّى إنَّ نساء المملكة اللواتي أردن تخويف أولادهنَّ الصغار بِتنَ يقُلن: "أحسِن التصرُّف، وإلاَّ كانت نهايتك مثل نهاية داود!"

إنَّ الاضطهاد يؤلم- بل قد يكون مُدمِّرًا أيضًا- أيًّا كان مصدره. ولكنَّ كرْب الاضطهاد الحقيقيَّ يحصل حين تُنزِله يدُ قائد، قائدٍ مسيحيّ، شخصٍ يُفترَض أن يكون ممثِّلاً لله وأنت قد خدمتَه بمحبَّة.

لم تُجرَح عروس سليمان فقط، بل نزع الخُفَراءُ شالها أيضًا. لقد حاولوا أن يفضحوها أمام الآخرين. فإذ اعتقدوا أنَّها لا بدَّ أن تكون مُذنبة بخطيَّة شائنة مَّا، افترَوا عليها وأذاعوا إخفاقها المفترض، جاعلين منه خبرًا شائعًا.

وقد رثى داود هذه المعاملة نفسها بشأن الاضطهاد الذي عاناه من أيدي خصومه: "لأنَّ الذي ضربتَه أنت هم طردوه، وبوجع الذين جرحتَهم يتحدَّثون" (المزمور ٦٩: ٢٦).

وإذ غادرت الملكة الحُرَّاس والخُفَراء، وسترت الرُّضوض الطريَّة والجروح البالغة التي أصابوها بها، التمسَت العون من بنات مدينة القدس.

أفكار / صلوات

لو كنتَ أنت الملكة في هذه القصَّة، فماذا يكون أعظم أمرٍ في فكرك تقوله لبنات القُدس أُولئك؟ أكان من شأنك أن تسرد عليهنَّ قصَّة الضَّرب العديم الرَّحمة ذاك الذي تلقَّيتَه توًّا؟

ماذا يكون لو أقام **الله** في حياتك صاحب سُلطة مثل شاول، حاول أن يُدمِّرك ويفتك بك ويصيبك بألم لا داعيَ له؟ وماذا يكون لو أنَّ هذا حلَّ بك في خضمِّ افتقارك الفتَّاك لحضور المسيح وتوقك المخلص للعثور عليه مجدَّدًا؟ عن أيِّ شيءٍ تشعر بأنَّك مضطر إلى التكلُّم؟

أكنتَ ترفع علَم الألم فوق رأسك؟ أكنتَ تغضب جدًّا من جرَّاء سوء المعاملة التي عانيتها بحيثَ ترغب في الردِّ بالمثل؟ أكنت تحاول أن تستدرَّ عطف الآخرين وتُلاحق مُهاجميك، رادًّا الرُّمحَ بالرُّمح، مبرِّرًا تصرُّفك، مُفسِّرًا كيف أُسيءَ إليك؟ كان من شأن هذا أن يكون منطقيًّا تمامًا... لو كان لك أنت أيضًا قلبُ شاول!

لا شيءَ يمكن أن يُعِدَّ المؤمن بالمسيح لنوع المُعاناة الذي يمثِّله ما اختبرته عروس النشيد. فقد جاء بجُملته دون توقُّع. وكان غير مبرَّر وقاسيًا وموجِعًا. ولكن هذا هو نوع الامتحان الذي سوف يسمح **الله** لخدَّامه بأن يجتازوه ليتبيَّن أإلى سُلالة الملك شاول ينتمون أم إلى سُلالة الملك داود. وسيُحدِّد الامتحان إن كنت أنت ستصير ملكًا صغيرًا أو مجرَّد مجنون آخر.

ربَّما كنتَ، هذه اللحظة، في موقع التعرُّض للجَرح أو الاعتداء. وإن كان لا، فربَّما كان هذا أمرًا اختبرتَه في الماضي، أو ما زال ينتظرك في المستقبل. ومهما كانت حالتك، فلا تُفاجأ إذا رأيتَ هذا النوع من التصرُّف: إذا بدا أنَّ شخصًا مُسمى قائدًا مسيحيًّا قد جُنَّ جنونه وراح يطارد بلا رحمة أخًا مؤمنًا أو أُختًا مؤمنة في محاولة منه لتدميرهما. لعلَّ **الله** مُهيِّئ بالفعل شخصًا آخر من سُلالة الملك داود لمهمَّة ملوكيَّة! فصلِّ لأجلهما كِلَيهما، إنَّما خصوصًا لأجل الذي يتفادى من الرِّماح. ولعلَّك أُعطيتَ دورًا تؤدِّيه في رؤية شخص آخر حسب قلب **الله** يُقام لكي يقود شعب **الله** في طُرق الراعي العظيم. وإذا كان ذلك الشخص هو ًأنت؟ فتشجَّع! اعتبِر ذلك شرفًا. فإنَّ **الله** يُجري مقاصده في حياتك، تمامًا كما فعل ذلك في حياة ابنه الوحيد الحبيب.

اليوم التاسع عشر

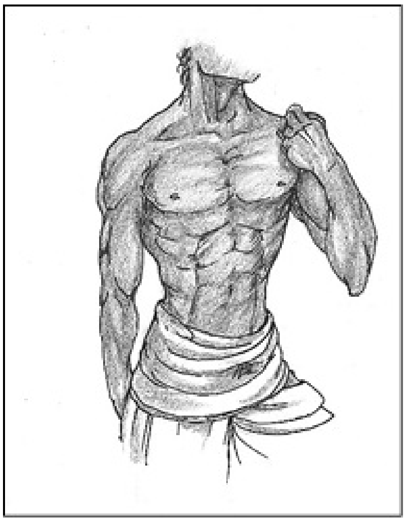

وَصفُ الحبيب

نشيد الأنشاد، الأصحاح الخامس

"أُحلِّفكنَّ، يا بنات أُورشليم، إن وجدتنَّ حبيبي، أن تُخبِرنه بأنِّي مريضة حبًّا."

"ما حبيبُك من حبيب، أيَّتها الجميلة بين النِّساء؟ "ما حبيبُك من حبيب، حتَّى تُحلِّفينا هكذا؟"

"حبيبي أبيض وأحمر؛ مُعلم بين ربوة. رأسه ذهبٌ إبريز، قُصصه مُسترسلة حالكة كالغراب. عيناه كالحمام على مجاري المياه، مغسولتان باللَّبن، جالستان في وقبَيهما. خدَّاه كخميلة الطِّيب، وأتلام رياحين ذكيَّة. شفتاه سوسن تقطران مرًّا مائعًا. يداه حلقتان من ذهب، مرصَّعتان بالزبَرجد. بطنه عاج أبيض مُغلَّف بالياقوت الأزرق. ساقاه عمودا رخام، مؤسَّستان على قاعدتَين من إبريز. طلعتُه كلبنان، فتًى كالأرز. حلقه حلاوة، وكلُّه مشتهيات. هذا حبيبي، وهذا خليلي، يا بنات أورشليم!"

نشيد الأنشاد ٥: ٨- ١٦

مُلقيةً نظرة مُفعمة بالخوف من فوق كتفي على شارع المدينة المُظلِم، قرعتُ بابهنَّ قرعًا عاليًا. ثمَّ تراجعتُ بضع خطوات في قلب الظِّلال لأستر الرُّضوض وتشعيث الشَّعر التي تلقَّيتُها من أيدي الحُرَّاس. وبدا لي أنَّ دهرًا مرَّ قبلما فُتِح الباب ليُظهِر ستَّ عذارى محتشِدات بثياب نومهنَّ في المدخل. وإذ حدَّقن في قلب الظلام استغرقن لحظةً قبل أن يعرفنَني أخيرًا. فسألن: "ماذا أتى بكِ إلى هنا في هذه الساعة المُتأخِّرة، يا أجملَ النِّساء؟" وقد نمَّت أصواتُهنَّ إلى أيِّ مدًى بعيد أربكَتهنَّ زيارتي غير

المتوقَّعة في تلك الساعة من اللّيل.

في تلك اللحظة، اتَّخذتُ قرارًا. فقد عقدتُ عزمي على ألاَّ أُفشي لهُنَّ خبر الحادثة مع الحرَّاس والخُفَراء، ونويتُ ألاَّ أُخبرهنَّ بمواجهتي المُروِّعة جدًّا. لم أُرِد أن أستدِرّ عطفهنَّ، ولا أن أُثيرَ غضبهنَّ... ولا أن أُفسِد بأيَّة حال سُمعةَ أولئك الذين كانوا يخدمون الملك خدمة ولاء. فشددتُ الحجاب أكثرَ على وجهي قبل أن أدخل إلى المكان المُضاء. إنَّما رجوتُ ألاَّ يُدرِكن المِحنة الجهنَّميَّة التي اجتزتُها قبل قليل.

وأجبتُ: "لقد مضى محبوبي. وخرجتُ لأُفتِّش عنه، إلاَّ أنَّني لم أتمكَّن من العثور عليه. رجاءً، تعالَين معي وساعِدنني. وإذا وجدتُنَّه، فهلاَّ تقُلن له إنَّني أُحبُّه حقًّا!"

فأجبنَ: "إنَّكِ ترتجفين وأنت تتكلَّمين. أيُّ حبٍّ عميقٍ يدفعُكِ إلى البحث عن حبيبكِ في ساعةٍ كهذه؟ لا بدَّ أنَّه رائع حقًّا! سنُساعدُكِ في البحث عنه، ولكنْ أوَّلاً صِفيه لنا حتَّى نعرف أيُّ حبيبٍ حبيبُكِ."

فتفكَّرتُ بصوتٍ عالٍ: "تُرى، كيف أصِفه؟"

وفتحتُ فمي، إلاَّ أنَّني لم أتكلَّم عن ذاك الذي جاء إليَّ، قبل ذلك ببضع ساعات، وخُصَل شعره تقطر بندى اللَّيل؛ بل تكلَّمتُ بالأحرى عن ذاك الذي عرفتُه دائمًا وأحببتُه. وما إن شرعتُ في التكلُّم عنه، حتَّى بدا أنَّ روحي بدأت تنهض من هوَّة اليأس. لقد بدأ الشِّفاء يفيض؛ وبدأت ينابيعُ الحياة تتفجَّر في داخلي من جديد.

"حبيبي باهر وأشقر، بارزٌ بين عشرة آلاف. رأسُه ذهب، ذهبٌ خالص. خُصَل شعرِه كعناقيد البَلَح، هي سوداء كالغُراب،" هكذا بدأتُ كلامي.

فسألَت إحدى البنات: "أتعنين أنَّه أشقر كالملك داود؟"

أجبتُ: "نعم، كأعظم ملوك أُمَّتنا، الملك داود: عازف القيثارة، قاتِل العملاق، الشاعر المرنِّم، الملك الراعي."

فابتسمن وأومأن برؤوسهنَّ مُوافِقات، وتابعتُ الوصف.

"ستعرِفنه أيضًا من عينيه الداكنتين الوادعتَين. إنَّهما كأعيُن الحمام على مجاري المياه، مغسولتان بالحليب. للتَّحديق إلى خدَّيه خصائصُ الشِّفاء الآتية من مسكبة بلسم، وشفتاه كقِرمز السَّوسن الغامق."

وهمست إحدى العذارى: "وسيمٌ جدًّا! تابعي، أيّتها الأُخت العزيزة."

"في أصابعه خواتم من ذهب مُرصَّعة بالزبَرجد. رأسه ويداه السَّخيَّتان المِعطاءتان ورجلاه كلُّها كالذهب، مُمثِّلاً طبيعة الله بذاتها. فبالنِّسبة إليَّ، حبيبي بِلا عيب في جميع طُرقه، في جميع أفكاره، في أيِّ شيءٍ يلمسه، وأينما نوى أن يذهب."

وإذ وافت صورتُه ذهني أوضحَ فأوضح، صرتُ مُفعمةً أكثرَ بعدُ بالبهجة والحيويَّة، وشعَّت أعينُهنَّ بفرحي.

"في صُلب كيانه، له قوَّة وجلال ملوكيٌّ داخليَّان. بطنُه كالعاج- مادَّةِ عرشه الذي يجلس عليه بعينها- مُرصَّعًا بالياقوت الأزرق الزَّاهي، بلون السماوات. وعلى خلاف القنانيِّ والحناجير المرمريَّة البالغة الصِّغَر، تلك التي نضع فيها كنوز عطورنا وأدهاننا الثمينة، ساقاه كعمودَي رخام مؤسَّسين على قاعِدتَي ذهب نقيّ. إنَّه طويل القامة وقويُّ المنظر كأرز لبنان. وحين يتكلَّم، فإنَّ كلماته تُشبِه أعذب موسيقى نُظِمت على الإطلاق. إنَّ في كلماته لُطفًا وحلاوة فائقَين. فلها القُدرة على تسكين أعمق مشاعر القلب المضطربة."

وإذ فرغتُ ابتسمتُ، مع أنَّه كان في الابتسامةِ ألم. لقد ضاعفَت كلماتي ذاتُها توقي إلى العثور عليه... ولكنَّها أيضًا أتت بالسلام. فرفعتُ ذقني، خاتمةً وصفي بهذه العبارة الصريحة:

"إنَّه كلَّه مرغوبٌ ومُشتهى. هذا هو حبيبي، وهذا هو خِلِّي!"

نِقاط للتأمُّل

كانت كلمات العروس الأُولى لبنات مدينة القُدس عن محبوبها، لا عن الضَّرب الرهيب الذي كانت قد تعرَّضت له توًّا. فقد أرادت منهنَّ أن يُساعِدنها في العثور عليه والتيقُّن بأن يعلم أنَّها تذوبُ حُبًّا له.

تقول العروس إنَّ حبيبها "أحمر"، أو "أشقر". وليس في الكتاب المقدَّس كلِّه إلاَّ شخصٌ واحد آخر يوصف بهذه الكلمة، ألا وهو الملك داود. حتَّى إنَّ هذه الكلمة قد تتضمَّن تشبيهًا خفيًّا بآدم، ومعنى اسمِه "إنسان أحمر". فقبل السقوط، صُنِع آدم على صورة **الله** بصفته النَّموذج الأوَّليَّ للجنس البشريِّ بكامله.

وكان [داود] أشقر مع حلاوة العينين، وحسن المنظر. فقال الربُّ [لصموئيل]: "قُم امسحه، لأنَّ هذا هو"(١صموئيل ١٦: ١٢).

لمَّا بدأ عقل شاول يضطرب وتضاعف عداؤه لداود، لم يهاجم داود شاول، مع أنَّ شاول كان مُصمِّمًا على قتل داود. ولمَّا سنحت لداود فرصةُ قتل مُطارِده في مغارة عين جدي، رفض داود، مع أنَّ رجاله ناشدوه أن يفعل ذلك.

"فقال رجال داود له: "هوذا اليوم الذي قال لك عنه الربُّ:'هأنذا أدفع عدوَّك ليدك، فتفعل به ما يحسن في عينيك!'." فقام داود وقطع طرف جُبَّة شاول سرًّا. وكان بعد ذلك أنَّ قلب داود ضربَه على قطعه طرف جبَّة شاول. فقال لرجاله: "حاشا لي من قِبَل الربِّ أن أعمل هذا الأمر بسيِّدي، بمسيح الربّ، فأمدَّ يدي إليه، لأنَّه مسيح الربِّ هو" (١صموئيل ٢٤: ٤- ٦).

لقد فهم داود أنَّ المُلك أمرٌ يخصُّ **الله**. فلِلَّه أن يُقيم أو يخلع الملوك. وقد رفض داود أن يحمل تلك المسؤوليَّة على عاتقه. لقد علم أنَّه إذا كانت مشيئة **الله** أن يتولَّى هو حُكم المملكة، فإنَّ **الله** عندئذٍ سيُنصِفه ويُثبِّته ملكًا.

في إطراء الملكة لزوجها البَطَل، الملك سليمان، شبَّهته أوَّلاً بالملك العظيم، الملك داود. وبمدحها لسليمان، بدل مهاجمةِ الحرَّاس، نجحت في "الامتحان الشاوُليّ". لقد أثبتت أنَّها من أتباع الرَّجُل الذي من سبط يهوذا، واحتلَّت مركزها في سُلالة الأشخاص الملوكيِّين الذين قلوبُهم على طِراز قلب داود، وعلى طراز قلب الذي دعاه داود "ربِّي" (المزمور ١١٠: ١).

"طوباكم إذا أبغضكم الناس، وإذا أفرزوكم وعيَّروكم، وأخرجوا اسمكم كشرِّير، من أجل ابن الإنسان" (لوقا ٦: ٢٢).

"لذلك أُسرُّ بالضَّعفات والشتائم والضَّرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح: لأنِّي حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قويّ" (٢كورنثوس ١٢: ١٠).

"غير مُجازين عن شرٍّ بشرٍّ، أو عن شتيمة بشتيمة، بل بالعكس مُباركين، عالمين أنَّكم لهذا دعيتُم، لكي ترِثوا بَركة" (١بطرس ٣: ٩).

في هذه المرحلة من القصَّة، تُبيِّن زوجة سليمان أنَّها جديرة بأن تُدعى ملِكة:

- • كان في وسعها أن تُعلِن، بالإيمان (حتَّى في خضمِّ اختبارِ فيه بدا أنَّ الربَّ قد تركها)، أنَّه باهِر

الجمال والأوسم بين عشرة آلاف.

- • لئن بدا أنَّها فقدت حبيبها، فهي لم تفقد جمالها. فإنَّ بنات المدينة ما زلن يعرفنها بصفتها أجمل النساء، حتَّى حين رأينَها في حالة تفتيش متلهِّف عنه.
- • ما إن باشرت التكلُّم عن محبوبها، حتَّى بدا كأنْ ليس في وسعها أن تتوقَّف، وقد رُدَّ إليها الرَّجاء.
- • وصفُها له لم يكُن موجَّهًا إليه، بل إلى بنات المدينة. وهذه كانت كلمة شهادتها (رؤيا ١٢: ١١). فإنَّ تكلُّمها بالحقِّ عنه أعطاها قوَّة، ويبدو أنَّه قد جعله حقيقيًّا في نظرها من جديد.
- • في أواخر وصفها له، كان في وسعها أن تقول إنَّه بجُملته مُشتهًى وكلُّه حلو.
- • ختمَت بقولها: "هذا حبيبي، وهذا خليلي."

أفكار / صلوات

إنَّ الاضطهاد يجعل بعض الناس مُرِّي النَّفس. ولكنَّه بالنسبة إلى غيرهم، السبيلُ إلى المُلوكة. فإذا شاء الربُّ أن يجلب اضطهادًا على حياتك- حتَّى من أيدي الذين يسمُّون أنفسهم مؤمنين بالمسيح- فهل تكون قادرًا على احتمال جروحهم، وأخذ غضبك ومشاعر الانتقام لديك إلى الصليب، والخروج من هذا الامتحان في عِداد الصفوف الملوكيَّة المشابِهة لداود والشولميَّة اللذَين ظلاَّ قادرَين على حبِّ الربِّ ودعوته صديقًا لهما؟

ربِّي يسوع، أرجو منك أن تحفظ قلبي وشفتيَّ من الردِّ على الشتيمة بشتيمة ومن مهاجمة الذين يُهاجمونني. أُريد أن أقتدي بقدوتك لمَّا وقفت أمام أُولئك القادة الدينيِّين في تلك المحاكمة الخسيسة صباحَ اليوم الذي صُلبتَ فيه، حيث كذبوا وشهدوا عليك بالزُّور، بل ضربوك أيضًا. فأنت لم تتشكَّ، ولا تذمَّرت أو هدَّدت؛ بل قبلتَ الصليب الذي أعطاك إيَّاه الآب، وقد فعلت ذلك بنُبل. خذ شاوُلاً الذي فيَّ إلى الصليب، وأعطِني نعمة حتَّى أُبارك أعدائي، بل أُصلِّي لأجلهم أيضًا.

اليوم العشرون

اختِبار حُبِّه الذي لا يفتُر

نشيد الأنشاد، الأصحاح السادس

"أين ذهب حبيبكِ، أيَّتها الجميلة بين النساء؟ أين توجَّه حبيبك، فنطلبَه معكِ؟"

"حبيبي نزل إلى جنَّته، إلى خمائل الطِّيب، ليرعى في الجنَّات، ويجمع السَّوسن. أنا لحبيبي، وحبيبي لي، الراعي بين السَّوسن."

"أنتِ جميلة، يا حبيبتي، كتِرصة؛ حسنة كأُورشليم؛ مُرهِبة كجيش بألوِية. حوِّلي عنِّي عينيكِ، فإنَّهما قد غلبتاني. شعرُكِ كقطيع المعز الرابض في جلعاد. أسنانُكِ كقطيع نعاج صادرة من الغسل، اللواتي كلُّ واحدة مُتئم، وليس فيها عقيم. كفلقة رُمَّانة خدُّكِ تحت نقابكِ."

نشيد الأنشاد ٦: ١- ٧

سألَت الصَّبايا: "أين ذهب حبيبُكِ، كما تعتقدين، يا أجملَ النِّساء؟ أين توجَّه حبيبكِ، حتَّى نفتِّشَ عنه معكِ؟"

بينما كنتُ أتكلَّم عنه، انجلى ذهني مرَّةً أُخرى بَعد. وفجأةً، أدركتُ أنَّ حبيبي ربَّما لم يرجع إلى بُستان الزيتون عبرَ الوادي رغمَ كلِّ شيء. فأين يتوقَّع منِّي أن أذهب، إذا علم أنَّني أبحثُ عنه؟ على الأرجح، ليس إلى مكانٍ من الأمكنة غير المألوفة، بل إلى مكان معروفٍ عندي جيِّدًا. إلى بُستانه! فبالفِطرة علمتُ أنَّني سأجدُه هناك.

وما إن هبط عليَّ الإلهام، حتَّى هتفتُ: "لقد نزل حبيبي إلى بُستانه، إلى مساكب البلسَم! لا بدَّ أنَّه ذهب

إلى هناك ليستقبل ضياء الصباح الباكر ويرعى ويجني السَّوسن!"

وفي الحال تنبَّهتُ إلى أنَّ ذلك مكان محظورٌ على العذارى دخولُه، لأنَّه بستان الملك الخصوصيُّ، مكانٌ نتشارك فيه نحن الاثنَين فقط. فودَّعتهنَّ على عجل، ودُرتُ مُتوجِّهةً بسُرعة إلى مهجعي.

عادت إليَّ رباطة جأشي في طريق عودتي إلى القصر. كان الفجر على وشك البزوغ، وبدا إقبال النُّور مُبدِّدًا لمخاطِر الشارع. حتَّى إذا وصلتُ إلى هناك، كانت ثقةٌ جديدة قد بدأت تنبعث في داخلي. ومع أنَّ حبِّي للملك كان قد ترنَّح لمَّا جاء إلى غُرفتي على غير توقُّع، فقد تشبَّثتُ برجاءِ أنَّ حبَّه لي لن يفتُر. لقد علمتُ بطريقةٍ ما، في قرارة نفسي، أنَّه إذا كان قد وعد مرَّة بأنِّي بُستانه وينبوعُه المختوم فلا بدَّ أن يبقى الأمر على حاله.

كنتُ مُرهَقة. وقد احتجتُ بشدَّة إلى شيءٍ من الرَّاحة قبل استئنافي البحثَ عن الملك. وإذ بتُّ واثقةً بحبِّه من جديد، علمتُ أنَّه لن يضِنَّ عليَّ بوقتٍ أقضيه في الاستعداد لمُلاقاته.

رجعتُ إلى مهجعي؛ وبعد نومةٍ وجيزة، استيقظت. كانت الشمس ترسل أشعَّتها البهيَّة إلى داخل غرفتي. فنهضتُ، واستحمَمت، ولبست ثيابي. وجلستُ إلى طاولتي، وتناولتُ مرآة. كانت الرُّضوض التي تلقَّيتها ليلاً ما تزال موجودة. فوضعت على أصابعي بعض الذَّرور الأحمر من عُلَيبة، وهممتُ بفَركهِ على خدَّيَّ لِسَتر الرُّضوض. إلاَّ أنَّني ما لبثتُ أن توقَّفت. وهمستُ لنفسي: "لا! لستُ أجرؤ على سَترها. لا بدَّ أن يراني كما أنا."

فقمتُ وتوجَّهتُ إلى البستان. ولمَّا وصلت، وجدت القُفل مُدلًّى على البوَّابة، والبوَّابة نفسها مفتوحة. فدلفتُ إلى الداخل، ورأيتُ سليمان بعيدًا بعض الشيء، يُشذِّب صفًّا من شجَيرات الزِّينة. فتقدَّمتُ نحوه بحذر. وإذِ اقتربتُ منه، تنبَّه إلى حضوري والتفت ليراني.

توقَّعتُ أن يزجرني على تصرُّفي الفظِّ واللامُبالي البارحة. لعلَّه ينوي أن يؤدِّبني، أو يوبِّخني على الأقلّ. أو ربَّما أسمع تحليلاً لإخفاقاتي. ولكنْ ما كان الأمر ليكون كذلك، بل بالأحرى سمعتُ أجمل الكلمات خارجةً من شفتَي الملك... كلماتٍ أذهلتني إذهالاً كلِّيًّا. فقد كانت كلمات قالها لي ألف مرَّة من قَبل، كلماتٍ بتُّ أُعِزُّها كثيرًا، وقد أتت بدموع الفرح إلى عينيَّ.

فقد قال مُبتسمًا: "أنتِ جميلةٌ، حبيبتي. أنتِ جميلة كتِرصة، مدينة المباهج الكنعانيَّة القديمة. أنتِ حُلوة كمدينة القُدس عينها، فرحةِ الأرض كلِّها! أنتِ مُرهِبة كجيشٍ رافع أعلامَه في الهواء، إعلانًا للنَّصر."

وإذ حدَّقتُ إليه، تسنَّى لي أن أرى دموعه تفيض داخل عينيه. وقد بدا مغمورًا بالمودَّة. وما لبث أن قال بشفتَين مُرتعشتَين: "حوِّلي عنِّي عينيكِ. إنَّ جمالك أبهَرُ من أن أحتمله. ليس في وسعي استيعابُه!"

وتوقَّف هُنيهةً، ثُمَّ تابَع، مُكرِّرًا الكلمات التي تصف شعري وأسناني وخدَّيَّ، تلك التي سبق أن قالها يومَ عُرسِنا. وقد كان التكرار جميلاً كالكلمات ذاتها. لم يتغيَّر أيُّ شيء! إنَّ حبَّه لي ما زال قويًّا وثابتًا كما كان يومذاك. لقد كان حبًّا أعمى عن جميع عيوبي وضعفاتي وأخطائي، بل رُبَّما عن جميع خطاياي في نهاية المطاف.

فذاب قلبي مرَّةً جديدة، في خضوع كامل لحبٍّ فاق حبِّي كثيرًا جدًّا، حُبٍّ لا سُلطةَ لي عليه للخير أو للسُّوء. وبدا كما لو أنَّني قد بدأتُ ألمس وأرى حُبًّا عميق اللُّجَج جدًّا بحيثُ لا يمكن أن تُسبَر ولا أن تُدرَك.

تلك اللحظةَ اقتنعتُ دون أدنى شكٍّ بأنَّ رباط حُبِّنا متين وأمين. فإنَّ رباطنا مؤسَّسٌ على حُبِّه الذي لا يفتُر لي، لا على هشاشة حُبِّي له وعلى تقلُّبه.

نِقاط للتأمُّل

أحيانًا، يُرينا الربُّ أمرًا ثُمَّ يأخذنا في ما بعد لرؤية ذلك الأمر عينه من جديد، إنَّما من منظورٍ مُختلف. فأحيانًا، يعوزنا أن نتعلَّم من جديد درسًا قديمًا. وأحيانًا- خصوصًا بعد أن نكون قد أخطأنا أو نشعر كما لو أنَّنا خُنَّا الربّ- لا بدَّ أن يُرجِعنا ليُرِيَنا مُجدَّدًا أنَّه ما يزال يحبُّنا؛ وأنَّه ما يزال يرانا بصفتنا حمامتَه، حبيبته، كاملته، وأنَّ حبَّه ثابت ولا يفتر أبدًا.

في هذه الآيات، يُعيد سليمان على عروسه أُمورًا قالها لها يومَ عُرسِهما: أنَّ شعرها كقطيع مِعزى، وأسنانَها كقطيع نعاج، وخدَّاها كفِلقة رُمَّان. وفي كلِّ موضع من نشيد الأنشاد تكرارٌ مستمرٌّ لأمور قيلت قبلاً، إمَّا على لسان العروس وإمَّا على لسان الملك.

- "أقودك وأدخل بك بيت أُمِّي" (نش ٨: ٢)، تكرارٌ لرغبة الشولميَّة الشديدة في ٣: ٤.
- "شماله تحت رأسي، ويمينه تُعانقني" (نش ٨: ٣)، تكرارٌ لشوق آخر من أشواقها في ٢: ٦.
- يُشبِّه الملك عينيها بعينَي الحمام (نش ١: ١٥ وأيضًا ٤: ١)، وثدييها "بخشفتَي ظبية" (نش ٤: ٥ وأيضًا ٧: ٣).
- "أُحلِّفكنَّ، يا بنات أُورشليم، ألا تيقِّظن ولا تنبِّهن الحبيب حتَّى يشاء [الحبيبةَ حتَّى تشاء]" (نش ٨: ٤)، تكرارٌ لِما قاله الملك في ٢: ٧ و٣: ٥. 2
- "مَن هذه الطالعة من البرِّيَّة مستندةً على حبيبها" (نش ٨: ٥)، تكرارٌ لِما قيل في ٣: ٦.

وفي كلِّ موضع من النشيد، ما يزال الملك يقول لعروسه دائمًا كم هي جميلة وحُلوة.

فأن يُرجِعك **الله** ويُريَك شيئًا سبق أن رأيته أمرٌ جيِّد حقًّا. مثلاً أوَّل مرَّة فيها صرتَ عالِمًا بحبِّه. فالأرجح أنَّ ذلك حصل يوم نلتَ الخلاص، عندما بكَّتك الروح القدس على خطيَّتك فتُبتَ وقبلت عطيَّة خلاص **الله** المجَّانيَّة، ورأيتَ أوَّل مرَّة أنَّه "هكذا أحبَّ **الله** العالم حتَّى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلُّ مَن يؤمن به [وقد كان ذلك أنت] بل تكون له الحياة الأبديَّة" (يوحنَّا ٣: ١٦).

ثُمَّ في وقت لاحق من حياتك، ربَّما تلقَّيتَ استنارةً جديدة من نوع ما. فمنذ اختبارك الأوَّليِّ لمحبَّة الربِّ، وبعد السَّير معه مُدَّةً من الزمن، بدأتَ تُلاحظ رجوع الخطيَّة المُزعج. ورغم كونك قد خلصتَ منذ مدَّة، تنبَّهتَ إلى أنَّ الميل إلى الخطيَّة وإمكانيَّةَ الوقوع فيها ما زالا موجودَين لديك. فبين حينٍ وآخر، "تفتَّقَت" خطيَّةٌ ما فجأةً. ولحظتئذٍ أدركتَ بأكثرِ وضوح ليس فقط أنَّ **الله** أحبَّك وغفر لك، بل أنَّه أحبَّك **رغم خطاياك** أيضًا. فإنَّ دم المسيح لم يستر خطايا الماضي فقط، بل ستر أيضًا خطايا الحاضر، وسوف يستر خطايا المستقبل. ونتيجةً لاختبارك هذا، اكتسبتَ تقديرًا أعمق لتلك المحبَّة.

"لأنَّه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا، قدُّوس بلا شرٍّ ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات؛ الذي ليس له اضطرار كلَّ يوم، مثل رؤساء الكهنة، أن يقدِّم ذبائح أوَّلاً عن خطايا نفسه ثمَّ عن **خطايا** الشَّعب، لأنَّه فعل هذا **مرَّةً واحدة**، إذ قدَّم نفسه" (عبرانيِّين ٧: ٢٦ و٢٧، والتشديد من عندي).

إنَّ ربَّنا يسوع قدَّم نفسه مرَّةً واحدة- مرَّةً وإلى الأبد- حتَّى لا يعود أبدًا مرَّة أُخرى إلى ذلك الصليب المَهول كي يحمل أيَّة خطايا مستقبليَّة عن الجنس البشريّ. لقد تمَّ الفداء. فخطاياك دُفِع ثمنُها فعلاً: خطايا الماضي، وخطايا الحاضر، وخطايا المستقبل أيضًا. وقد كان ذلك كلُّه عطيَّة مجَّانيَّة.

هل كان **الله** يعلم أنَّك بعدما قبلتَه مُخلِّصًا ستُخطئ أحيانًا أيضًا؟ طبعًا! فهل غيَّر ذلك محبَّته لك؟ كلاَّ. فأن يحبَّك على الرُّغم من خطاياك أمرٌ رُبَّما كان له وقعُ المفاجأة عليك، ولكنَّه يقينًا ليس بمفاجأة له. وبمزيد من الإعلان الإلهيّ، عدتَ مرَّة جديدة تُقدِّر محبَّته، إنَّما الآن على مستوى أعمق.

ثُمَّ ذاتَ يوم، اكتشفتُ اكتشافًا جديدًا. لقد اكتشفتَ، كما اكتشف بولس، أنَّه ليس فقط يمكنك أن تُخطئ، بل أنَّ الخطيَّة ساكنة فيك أيضًا. فلولا نعمة **الله**، لكُنتَ معملَ خطيَّة كاملاً!

"لأنِّي لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أُريده، بل ما أُبغضه فإيَّاه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أُريده، فإنِّي أُصادق الناموس أنَّه حسن. فالآن لستُ بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطيَّة الساكنة فيَّ. فإنِّي أعلم أنَّه ليس ساكنٌ فيَّ، أي في جسدي، شيءٌ صالح... إذًا أجِد الناموس لي، حينما أُريد أن أفعل الحُسنى، أنَّ الشرَّ حاضر عندي" (رومية ٧: ١٥- ١٨، ٢١).

على الرُّغم من ذلك، **ما يزال الله يحبُّك!** ونحو ذلك الوقت، على غِرار بولس، تلقَّيتَ حتَّى مزيدًا من النُّور والإعلان:

"إذًا، لا شيء من الدينونة على الذين هم في المسيح يسوع... لأنَّ ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطيَّة والموت" (رومية ٨: ١ و٢).

فالآن بتَّ تعلم أنَّ **الله** ليس فقط يحبُّك، بل يحبُّك رغمَ **خطاياك** ورغم **خطيَّتك** (طبيعة الخطيَّة ذاتها الساكنة فيك).

"فإذ ذاك، كان يجب أن يتألَّم مرارًا كثيرة منذ تأسيس العالم؛ ولكنَّه الآن قد أُظهر مرَّة، عند انقضاء الدُّهور، ليُبطل الخطيَّة بذبيحة نفسه" (عبرانيِّين ٩: ٢٦، والتشديد من عندي).

ثُمَّ تستمرُّ الرسالة غيرَ مصدَّقةٍ أكثر مع كلِّ بَصيصٍ فَهم جديد. فإنَّ **الله** لم ينزع الخطيَّة فقط، بل وضعك أيضًا "في المسيح"؛ وفي المسيح لا دينونةَ أبدًا. ولإدراكِ هذه المحبَّة تمامًا، لا بدَّ من دهور الأبديَّة كلِّها.

"بسبب هذا أحني ركبتيَّ لدى أبي ربِّنا يسوع المسيح، الذي منه تُسمَّى كلُّ عشيرةٍ في السماوات وعلى الأرض، لكي يُعطيكم بحسب غِنى مجده أن تتأيَّدوا بالقوَّة بروحه في الإنسان الباطن. ليحُلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم. وأنتم مُتأصِّلون ومُتأسِّسون في المحبَّة حتى تستطيعوا أن تُدركوا مع جميع القدِّيسين ما هو العَرض والطُّول والعُمق والعُلو. وتعرِفوا محبّة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلِئوا إلى كلِّ ملءِ **الله**" (أفسُس ٣: ١٤- ١٩).

وكما تعلَّم سمعان بطرس من الربِّ يسوع، فإنَّ تابع المسيح لا يمكن أن يشبَّ عن الحاجة لأنْ يُذكَّر، من حين إلى آخر، ببعضٍ من الحقائق الأساسيَّة. فقد كتب بطرس: "لذلك لا أُهمل أن أُذكِّركم دائمًا بهذه الأمور، وإن كنتم عالمين ومثبَّتين في الحقِّ الحاضر. ولكنِّي أحسِبه حقًّا، ما دمتُ في هذا المسكن [الأرضيِّ]، أن أُنهِضكم بالتَّذكِرة" (٢بطرس ١: ١٢ و١٣).

هذا هو الدَّرس الرائع الذي يمكن أن نجنيَه من هذا المقطع في نشيد الأنشاد: كما أنَّ حبَّ سليمان لعروسه لم يتغيَّر، فإنَّ محبَّة ربِّنا لنا لن تتغيَّر البتَّة.

يا له من ربّ! يا له من ملك! يا له من إله!

ويا له من محبّ!

أفكار/ صلوات

ربِّ، أشكرك على محبَّتك. أشكرك على كونها عميقة جدًّا بحيثُ إنَّ إدراكها سيستغرق الأبديَّة. شُكرًا لك على صبرك. شكرًا لك على جميع الفُرَص التي تُعطيني إيَّاها لكي أتعلَّم منك. استمرَّ في إظهار

حبِّك لي أكثر فأكثر حتّى أقتنع بأنَّه لن يتغيَّر أبدًا. إرجِع بي كلّما شئتَ لتذكيري كم تحبُّني. إنَّني أطلب هذا، لأنَّني أحيانًا أنسى.

---

2 The New English Translation (NET Bible) & The NEW LIFE Version.

خُلاصة القِسم الثاني

الحبُّ المُتزايد

نشيد الأنشاد، الأصحاح السادس

"أين ذهب حبيُبكِ، أيَّتها الجميلة بين النِّساء؟ أين توجَّه حبيبُكِ، فنطلبَه معك؟"

"حبيبي نزل إلى جنَّته، إلى خمائل الطِّيب، ليرعى في الجنَّات، ويجمع السَّوسن. أنا لحبيبي، وحبيبي لي، الراعي بين السَّوسن."

نشيد الأنشاد ٦: ١ـ ٣

إنَّ حبَّ الفتاة الأوَّليَّ للملك سليمان وحبَّ المؤمن الأوَّليَّ للمسيح يمكن أن يُلخَّصا بنشيد الأنشاد ٢: ١٦ "حبيبي لي، وأنا له." في تلك المرحلة، كانت الفتاة ناميةً في معرفتها للملك، ولكنْ حسب كلماتها بالتحديد كان التشديد ما يزال على نفسها. فقد رأت أُمورًا كثيرة عنه، ولكنَّ تلك الإعلانات لم تكن قد صارت بعدُ جزءًا مستمرًّا من حياتها.

وباعتبارنا مؤمنين بالمسيح، فإنَّ قبول المسيح ودخوله حياتنا ليسا إلاَّ بداية علاقةٍ مُتَرعرِعة فيها دائمًا اكتشافات وإعلانات جديدة تُبيِّن مَن هو. فكُلَّما زادت معرفتنا له نموًّا، نصير عمليًّا أكثرَ فأكثر شُرَكاءَ معه في الطبيعة الإلهيَّة، حتَّى تُكرِّر حياتُه فينا. وقد عبَّر الرسول بولس عن هذا في رسالته إلى الكنائس الناشئة في غلاطيَّة، إذ كتب: "يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضًا إلى أن **يتصوَّر** المسيح فيكم" (غلاطيَّة ٤: ١٩، والتشديد من عندي).

أمَّا المرحلة الثانية في علاقة الفتاة فكانت مرحلة الحبِّ المُتزايد. فبواسطة اختباراتها الكثيرة مع الملك،

تقدَّمت إلى فهم عمليَّة التحوُّل التي كانت حاصلة في حياتها. وتلخيصًا لذلك، فهي دخلت مرحلة فيها كانت تتعلَّم اكتساب قُدرة متزايدة على الخضوع.

هذا الأمر يُبيِّنه تعبير الملك الصريح عن تقديرِه لجمال شعرها وعُنقها، اعترافًا بخضوعها لسُلطته وإخضاع إرادتها لإرادته. كذلك نرى لديها إدراكَ كونِها بُستانَه الخُصوصيَّ أيضًا. وأكثرَ فأكثر، يبدأ التَّشديد يتحوَّل عن عِلمها بما يعنيه هو لها إلى ما تعنيه هي له.

وإذا انتقلنا إلى قُربِ أكثر نحو نهاية هذه المرحلة الثانية، نرى بَعدُ خضوع إرادتها لإرادتِه بشكلٍ أعمق. ففي ٥: ٢ تقول: "أنا نائمة، وقلبي مستيقظ. صوت حبيبي قارعًا: 'افتحي لي، يا أُختي، يا حبيبتي، يا كاملتي!'."

في هذا الحين، رغم كون إنسانها الظاهر نائمًا، كان إنسانها الباطن مُستيقظًا. فبالنِّسبة إلى المؤمن بالمسيح، يُمثِّل هذا حسَّاسيَّة أعمق لنشاط الروح القدس في داخله. هذه الفكرة جسَّدها الرسول بولس إذ شهِد أن "مع المسيح صُلبت؛ فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ" (غلاطيَّة ٢: ٢٠).

وفي أثناء هذه المرحلة، دخلَت أيضًا في شركة مع ذاك الذي قاسى معصرة زيت جثسيماني. فمع أنَّها سبق أن اختبرَته في الأعالي، كانت الآن في بداية اختباره في الأعماق. وكانت شهادتُها صائرةً ما تاق إليه الرسول بولس توقًا شديدًا لمَّا كتب إلى مؤمني فيلبِّي عن اشتياقه الذي عبَّر عنه قائلاً: "لأعرفه، وقوَّة قيامته وشركة آلامه، مُتشبِّهًا بموته؛ لعلِّي أبلغ إلى قيامة الأموات" (فيلبِّي ٣: ١٠ و١١). فهنا عبَّر بولس عن توقه إلى التقدُّم في معرفة المسيح، واختبار قوَّة قيامته، والمُشاركة في آلامه من أجل البرّ، واتِّباعه حتَّى إلى الموت، لكي يبلغ إلى القيامة من بين الأموات.

يا له من تقدُّم أحرزَته! يا له من ارتِقاء في نموِّها الروحيّ!

تبرز العروس من هذه المرحلة في تذلُّل وخضوع. فعلى غِرار يعقوب الذي تصارع مع **الله** وصار أميرًا، قد صارت هي أميرة حقيقيَّة.

ومن خلال تكدُّس اختباراتها كلِّها، باتت الآن ترى مليكَها ليس فقط بصفته حبيبَها، بل أيضًا بصفته صديقها الودود. ففي وسعها أن تقول بثقة وقلبٍ فرحان: "أنا لحبيبي، وحبيبي لي!"

الباب الثالث: حبٌّ ناضج

"أنا لحبيبي، وإليَّ اشتياقُه."

نشيد الأنشاد ٧: ١٠

اليوم الحادي والعشرون

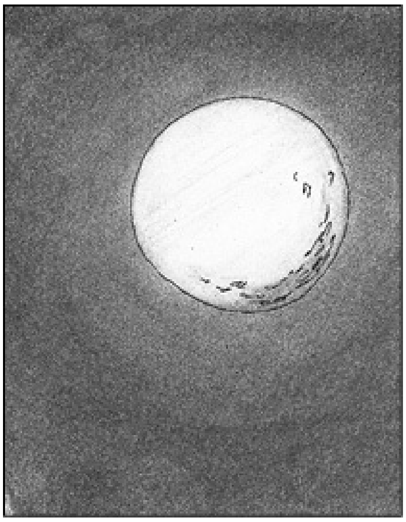

إطلاقُ اسمِه عليَّ

نشيد الأنشاد، الأصحاح السادس

"هُنَّ ستُّون ملكة وثمانون سرِّيَّة، وعذارى بلا عدد. واحدةٌ هي حمامتي، كاملتي. الوحيدة لأُمِّها هي. عَقِيلَةُ وَالِدَتِهَا هِيَ. رأتها البنات، فطوَّبنها؛ الملكات والسراريُّ، فمدحنها: 'مَن هي المشرفة مثل الصباح، جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مُرهِبة كجيش بألوِية'؟"

"نزلتُ إلى جنَّة الجوز، لأنظر إلى خُضَر الوادي، ولأنظر: هل أقعل الكرم؟ هل نوَّر الرُّمَّان؟ فلم أشعر إلاَّ وقد جعلتني نفسي بين مركبات قومٍ شريف."

"ارجِعي، ارجعي، يا شولمِّيث، ارجعي، ارجعي، فننظر إليك!" "ماذا ترَون في شولمِّيث، مثل رقص صفَّين؟"

نشيد الأنشاد ٦: ٨- ١٣

إذ مرَّت الأيَّام، تراجعتُ إلى قلب إيقاعات الحياة مع زوجي، مُتمتِّعةً بحبِّه. وقد انشغل الملك سرًّا بترتيب احتفالٍ رسميٍّ يُقام في القصر الملكيّ. ونجح في إخفاء الأمر عنِّي، إلاَّ أنَّه أخيرًا قرَّر أن يُطلِعني على خُطَّته.

قال ذات صباح- بفرحةِ مَن لم يعُد في وسعه أن يحفظ سرًّا- "أُريد أن أُقيم حفلة على شرفكِ في القصر الملكيّ. سيكون حدثًا مُترَفًا للنِّساء فقط."

أوَّلَ الأمر، شعرتُ بالإحراج وحاولتُ ثنيَه بحجَّة أنَّ ذلك غير ضروريّ، ولكنْ دون جدوى. فلم يكُن

ممكنًا أن يُقهَر حبورُه. ووافقتُ على مضض، فجاريتُه في رغباته. وبطبيعة الحال، ما لبثتُ أن غدوتُ مُتحمِّسةً لذلك أنا أيضًا.

تبيَّن أنَّ نساءً من جميع أنحاء المملكة قد دُعينَ إلى الحضور. إذ تضمَّنت لائحة الضَّيفات ستِّينَ ملكة وثمانين سرِّيَّة وعذارى بلا عدد. وكان في الحفلة كثيرٌ جدًّا من الطعام والشَّراب واللَّهو والمرح.

بينما النِّساء يطُفن في الأرجاء مُتكلِّماتٍ وآكلات، إذ قاطعَت موسيقى العازفين الرقيقةَ نفخاتُ أبواق تُعلِن قدوم الملك. وشخصَت جميع العيون إلى الشرفة المُطلَّة على القاعة. أخيرًا ظهرنا، الملك وأنا. وقفتُ إلى جانبه تمامًا وذراعي مَثنيَّةٌ على ذراعه. وقد كنت مُتوتِّرة. غير أنَّ قلبي، في الوقت نفسه، اختلجَ بالفخر لوقوفي هناك معه. وتألَّق وجهُه ثقةً إذ تلقَّى التصفيق الحادَّ بسُرور.

وما إن همد التَّصفيق، حتَّى خاطب سليمان الحشد. "دونَ سائر النِّساء في مملكتي، هذه حمامتي، كاملتي. ليس من واحدة مثلها على الأرض. ما كان مثلها قطُّ ولن يكون أبدًا. إنَّها فريدة. هي ابنةُ أُمِّها الوحيدةُ، طاهرة وبريئة، كصباح اليوم الذي وُلِدَت فيه. إنَّها شولميَّتي!"

راقبتُ فيما النِّساء في أنحاء القاعة شهقنَ فاغِرات الأفواه. وكان في وسعي أن أسمع ثرثرتهُنَّ. "لقد أعطاها أيضًا اسمًا جديدًا: شولميَّتَه، صيغة التأنيث لاسمه، سليمان! حقًّا إنَّ الاثنين صارا واحدًا! أيمكن أن تكون أيَّة امرأة مُبارَكةً أكثر منها؟"

رفع الملك يديه لإسكات التهامُس بين النِّساء. "أعلَم أنَّ لدى جميعكنَّ أسئلة عن محبوبتي هذه. مَن هي؟ من أينَ هي؟ كيف تلاقَينا؟ حبيبتي، هلاَّ تقولين كلمةً صغيرة لهؤلاء السيِّدات، رجاءً! أرى أن تُباشِري بإخبارهنَّ كيف تلاقَينا."

كان في وسعي أن أُحِسَّ توتُّر أعصابي، وقد جفَّ حلقي هُنيهةً. فلم يكُن قد سبق لي أن تكلَّمتُ علنًا، خصوصًا إلى حشد كبير كهذا، وكانت عيون كثيرة جدًّا شاخصةً إليَّ! وأجَلتُ نظري في أنحاء القاعة على جُمهور الوجوه المترقِّبة. غير أنَّه هو كان هناك أيضًا، إلى جانبي تمامًا.

أخيرًا، وافتني الشجاعة لأفتح فمي. فقلتُ بابتسامةٍ حييَّة: "ما أنا إلاَّ أميرة فلاَّحة. أنا من قرية صغيرة لا تبعد كثيرًا عن مدينة القدس. ذاتَ صباح جميل، نزلتُ إلى بُستان الجوز، وإلى الهواء الطَّلق في الوادي لأرى نَبْتَ الربيع الجديد. أردتُ أن أرى هل أزهرت الكروم، ونوَّر شجر الرُّمَّان. ثُمَّ، قبل أن أُدرِك الأمر، وجدتُ نفسي في العَرَبة الملكيَّة مع حبيبي، وهو مضى بي مُسرعًا!"

كان ما قلتُه وجيزًا، ولكن لا بدَّ أنَّه كان كافيًا. إذِ استرسلَت النِّساء في ضِحكةٍ عفْويَّة! فبتلك الحكاية القصيرة، بدا أنَّي كسَبتُ قلوبهنَّ.

وشاركهنَّ الملك في الضَّحك. ثمَّ مال نحوي وهمس في أُذني: "لا تتأخَّري!" وببريقٍ شعَّ في عينيه، ابتسم لي ابتسامةً سريعة وانسلَّ مُبتعِدًا، مُطلِقًا إيَّاي إلى الحشد.

نزلتُ على الدَّرج اللَّولبيِّ العريض إلى أرضيَّة القصر. فاحتشدَت النِّساء حواليَّ مُتدافِعاتٍ وراغبات في مُلاقاتي. وجُلتُ في أرجاء الغُرفة الكبيرة على مهل، مُحيِّية بأدب ومُحدِّثةً أكبرَ عدد تيسَّر لي من السيِّدات.

تحدَّثت الملكات والسراريُّ فيما بينهنَّ، وليس عندهنَّ لي سوى المديح. فهتفَت واحدة: "مَن هذه الطالعة مثل الصَّباح؟ إنَّ جمالها لا يزيد إلاَّ إشراقًا كلَّما نظرنا إليها!" وقاطعَت أُخرى: "هي جميلة كالبدر إذ تنعمُ في النور المستمدِّ من شمسها، الملك!" وأردفت أُخرى: "هي طاهرة كالشمس، مُرهِبة كجيش يرفع الأعلام!"

وإذ مضى المساء ببُطء، وأنا عالمة أنَّ الملك كان ينتظرني، بدأتُ أمشي نحو الباب لأخرُج منصرفة. ورأت العذارى أنَّني كنت أهمُّ بمغادرة الحفلة، فنادَينَ: "ارجعي، ارجعي يا شولمِّيث! ارجعي، ارجعي،

كي نُحدِّقَ إليكِ!"

فالتفتُّ إليهنَّ، مُتجاهِلةً توسُّلاتهِنَّ، ولوَّحت بيدي مودِّعةً. ثُمَّ غادرتُ القصر، ورجعتُ مُسرِعةً إلى مُقام الملك.

نِقاط للتأمُّل

هذه أوَّل مرَّة فيها تُدعى الفتاة التي جُعِلت مَلِكة "شولمِّيث" (أو "الشولمِّيَّة"). فهنا نرى الاعتراف الرسميَّ بوحدتها مع الملك.

من شأن مُعظم المؤمنين بالمسيح أن يعترفوا عن طِيب نفس بأنَّه ليس على هذه الأرض أيُّ شعور يمكن أن يُضاهيَ البهجة القصوى في التعبُّد للربِّ والوجود في حضرته. ولكنْ هل يوجد بعدُ اختبارٌ أسمى يمكن بلوغُه مع الكائن الإلهيِّ المجيد؟

تصوَّر أنَّك حامِلٌ في كفِّ كِلتا يدَيك قطعةً من الطِّين. أيُمكِن أن يُقال إنَّ كتلة الطِّين في اليد اليُسرى هي "في حضرة" قطعة الطِّين في اليد اليُمنى؟ نعم! والآن، تصوَّر تقريب يديك إحداهما إلى الأخرى. أفما تزال كُتلتا الطِّين إحداهما في حضرة الأخرى؟ لا شكَّ في ذلك. والآن، تصوَّر تقريب يديك إلى مسافة تقلُّ عن إنش واحد بينهما. إنَّ الكُتلتين ما تزالان إحداهما في حضرة الأخرى؛ إنَّهما أقربُ ممَّا كانتا من قبلُ على الإطلاق. فهل من طريقة أخرى بها يمكن أن تصيرا أقربَ بعدُ إحداهما من الأخرى؟

نعم! يمكن أن تصير الاثنتان واحدة.

ففي هذه الآيات من النشيد، نرى الملكة مدعوَّةً باسم سليمان. وهذا يبيِّن بدء اتِّخاذها خُلق سليمان وطبيعته. فالإثنان يصيران واحدًا.

وفي أوائل الأصحاح السادس، وصف الملك زوجته بأنَّها "حسنة كأُورشليم". فمن شأن هذا أن يوحي بأنَّها بدأت تكتسب الخصائص السماويَّة التي يتَّصف بها مسكنُها الأبديّ، "أُورشليم الجديدة" (رؤيا ٢١: ١ و٢).

وقد ألمع أيضًا إلى أنَّها "مرهبة كجيش بألوية". والألوية ترمز إلى الانتصار. فعندما يهزم جيشٌ عدوَّه، ترفع الأعلام إشادةً بالنَّصر. وروحيًّا، تمَّ انتصار العروس على أعدائها الروحيِّين في الأماكن السماويَّة، إذ غلبَتهم باتِّحادها مع الملك.

كذلك شُبِّه جمالُها بالبدر، أي بالقمر المُمتلئ، لا بالهلال في أوَّل الشَّهر أو نِصفه، وذُكِر أنَّها "طاهرة كالشمس". إنَّ الشَّمس هي مصدر كلِّ نورٍ وحياة. والقمر لا يملك إلاَّ نورًا مستمَدًّا منعكِسًا. فبِلُغةٍ روحيَّة، الشمس المشار إليها هنا ليستِ الكُرة الناريَّة المعلَّقة في الفضاء، بل هي بالأحرى الشمس داخل كلِّ مؤمن: شمسُ البرّ، الربُّ يسوع المسيح. فالشُّولمِّيَّة تعكس مِلأه.

إنَّ الكُتلة المتوهِّجة التي تُنير عالمنا لا تؤدِّي إلاَّ دور صورة عن "الشَّمس" الحقيقيّ، أي المسيح، لأنَّه سيأتي اليوم الذي فيه لن تعود الحاجة تدعو إليها. إذ ذاك ستكون قد أدَّت غرضَها. ففي أُورشليم الجديدة، كما يقول لنا رؤيا ٢١: ٢٣، لن تكونَ حاجةٌ "إلى الشمس ولا إلى القمر ليُضيئا فيها، لأنَّ مجد **الله** قد أنارها، والخروف سراجُها."

وعندما يتحوَّل المؤمنون نحو الداخل كي يواجهوا شمس البرّ، يعكسون نوره.

وبلُغة العهد الجديد، فإنَّ المَلِكة تُمثِّل أُولئك الذين إذ ينظرون "مجد الربِّ بوجه مكشوف، كما في مرآة"

يتغيَّرون "إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الربِّ الرُّوح" (٢كورنثوس ٣: ١٨).

فعند هذا المَفصِل، تُصوِّر الشولميَّة للمؤمن مَن تعلَّم أن يثبت في المسيح ويسلك في الرُّوح.

وهُنا مزيدٌ ممَّا تجدر ملاحظته: فتقريبًا، جميع أوصاف حبِّ الملك لشولميَّته تُركِّز على مَن هي، لا على ما عمِلَت. إنَّها أوصاف تُشدِّد على هويَّتها، لا على أعمالها. فمع أنَّ الأعمال مهمَّة، فهي ليست إلاَّ الثمرة الطبيعيَّة للمرأة التي صارت الشولميَّة إيَّاها.

ونرى أيضًا المحبَّة نفسها منطلقة من الآب للابن. فحتَّى قبلَ مُباشرة المسيح خدمتَه الأرضيَّة، لمَّا طلع من نهر الأُردنِّ بعدما تعمَّد على يد يوحنَّا المعمدان، أعلن الآب من السماء: "أنت ابني الحبيب، بك سُررتُ" (لوقا ٣: ٢٢). ولا تورِد الكلمة المقدَّسة أيَّ ذكر لأيَّة معجزات سابقة، أو تعاليم عميقة، أو أعمال رحمة وشفاء، أو أفعال إحسان لطيفة، حصلَت من قِبَل المسيح؛ مع أنَّ في وسعنا أن نفترض أنَّ سلوكه في صباه وشبابه كان كاملاً: إذ إنَّه كان- طوال حياته- حَمَل الله الذي لا عيبَ فيه. فمهما كان، بقيَ الوحي صامتًا عن أيِّ أعمال مهمَّة ربَّما كان المسيح قد قام بها. ومع ذلك، فقد كان مسرَّة الآب، لا على أساسِ معيارِ أعمال، بل بفضل هويَّته. وهكذا كانت حال الشولميَّة.

الشولميُّون هم أُولئك الذين تعلَّموا أن يعيشوا بالحياة الإلهيَّة داخِلَهم.

الشولميُّون هم أُولئك الذين من شأن سفر الرؤيا أن يُصنِّفهم بأنَّهم **غالبون**.

الشولميُّون هم ما ينبغي أن يكونَه "المؤمنون الأسوياء" أجمعون.

"مَن يغلب فسأجعله عمودًا في هيكل إلهي، ولا يعود يخرج إلى خارج، وأكتب عليه اسم إلهي، واسم مدينة إلهي، أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي، واسمي الجديد" (رؤيا ٣: ١٢).

أفكار / صلوات

شكرًا لك، يا ربّ، لأنَّني مدعوٌّ باسمك! فأنا شولميَّتُك. لستُ أطلب أن تجعلني زوجتك، لأنَّك قد فعلتَ ذلك حقًّا. فأنا متزوِّجٌ منك بالرُّوح. وروحانا روحٌ واحد. إنَّما أطلب منك فقط أن تفتح عينيَّ إذ أُوجِّه قلبي إليك، وتدَعني أنظر مجدك. اطبعْ صورتك على نفسي. أشرِق عليَّ، أنا تابِعَك، مرآتك، فأسيرَ في نور روحك، وينعكِسَ مجدُك فيَّ.

اليوم الثاني والعشرون

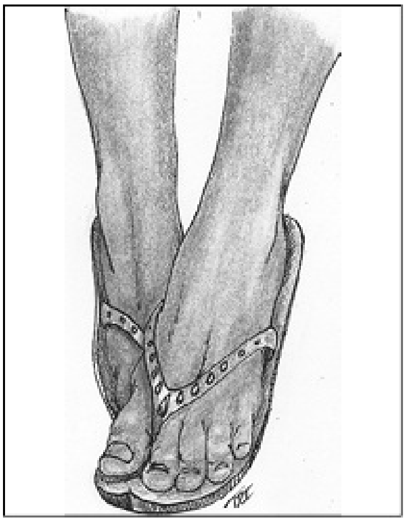

الرَّقصة الحميمة

نشيد الأنشاد، الأصحاح السادس

"ارجعي، ارجعي، يا شولمِّيث؛ ارجعي، ارجعي، فننظرَ إليك!"

"ماذا ترون في شولمِّيث، مثل رقص صفَّين؟"

نشيد الأنشاد ٦: ١٣

"ما أجمل رجليك بالنَّعلين، يا بنت الكريم! دوائر فخذيكِ مثل الحليّ، صنعة يدي صنَّاع. سُرَّتكِ كأس مدوَّرة، لا يعوزها شراب ممزوج. بطنكِ صُبرة حنطة، مسيَّجة بالسَّوسن. ثدياكِ كخشفتَين، توأمَي ظبية. عنقكِ كبرج من عاج. عيناكِ كالبِرَك في حشبون عند باب بثِّ ربِّيم. أنفكِ كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق. رأسكِ عليكِ مثل الكرمل، وشعر رأسك كأرجوان؛ ملك قد أُسِر بالخُصَل. ما أجملكِ وما أحلاكِ، أيَّتها الحبيبة باللَّذَّات! قامتكِ هذه شبيهة بالنخلة، وثدياكِ بالعناقيد. قلتُ: 'إنِّي أصعد إلى النخلة، وأُمسك بعذوقها.' وتكون ثَدْيَاكِ كعناقيد الكرم، ورائحة أنفكِ كالتُّفَّاح. وحنككِ كأجود الخمر!"

"... لحبيبي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين. أنا لحبيبي، وإليَّ اشتياقه!"

نشيد الأنشاد ٧: ١- ١٠

تاركًا مليكتي الجميلة في الحفلة، رجعتُ إلى مهجعي برفقة اثنين من حرَّاس القصر. وتمنَّيتُ لهما ليلة سعيدة، ثمَّ دخلتُ غرفتي.

بناءً على طلبي، أضاء اثنان من خدَّامي شموعًا حول الغرفة، ثَمَّ أعدَّا لي حمَّامًا حارًّا. وإذ صرفتُهما، دخلتُ الحمَّام وغطستُ في مياهه العميقة المُهدِّئة. ثمَّ أغمضتُ عينيَّ، وألقيتُ رأسي على جانب البِركة ذات المياه الملوَّنة، واستمتعتُ باسترخاء ساكن. وابتسمتُ لنفسي إذ تذكَّرتُ الكلمات التي استخدمَتها النِّساء في الحفلة لوصف الملكة.

بدا أنَّ الوقت يتبخَّر. حتَّى إنَّني رُبَّما غَفَوت في نومة خفيفة. أخيرًا طلعتُ من المياه المُجدِّدة للنشاط ونشَّفتُ نفسي. وتقدَّمتُ إلى طاولة أرز طويلة عليها بضعُ قنانٍ تحوي زيوتًا مُعطَّرة. فسكبتُ خليطًا من الزيوت في راحتيَّ وفركتُ يديَّ معًا، ومرَّرتُ أصابعي في شعري ولحيتي، مُطيِّبًا إياهما بالعطر الزكيّ، ثمَّ جذبتُ الستائر المُحيطة بسريري، واندسَستُ تحت الأغطية. وإذِ اتَّكأتُ على بعض الوسائد الكبيرة، نظرتُ حواليَّ إلى الشموع الطويلة التي أضاءت الغرفة إضاءة باهتة، وتأمَّلتُ النُّور المتراقص والأشكال التي أوجدها على الجدران والسَّقف. ثُمَّ تمدَّدتُ غائصًا أكثر في الوسائد، وفكَّرتُ: لا شكَّ أنَّ في هذه الغرفة جوًّا مميَّزًا مؤاتيًا للحبّ!

بعد وقت غير طويل، سمعتُ قرعها على بابي.

ونادى الصَّوت الأليف: "هذه أنا، يا حبيبي."

فأجبت: "ادخلي، حبيبتي؛ البابُ مفتوح."

فدفعَت الباب حتَّى انفتح، ودخلَت. وبدت جميلة، مرتديةً ثوبها البهيَّ وحليَّها الفاخرة.

قلت مُبتسمًا: "كنتُ أنتظر قدومكِ."

أجابت: "كان صعبًا أن أتملَّص. لقد كانت الضَّيفات كثيرات جدًّا!"

قلتُ لها: "ممَّا تبيَّن لي أنَّكِ ظهرتِ ظهورًا باهرًا،" وقد عبقَ صوتي بالفخر.

فقالت، بضحكة رقيقة: "أعتقد أنهنَّ أُعجِبْنَ بي. وبالحقيقة، لمَّا هممتُ بالانصراف، نادتني بعض النِّساء قائلات: "ارجعي، ارجعي، يا شولمِّيث؛ ارجعي، ارجعي، فننظر إليكِ! نريد أن نراكِ ترقصين... ترقصين مثل ملائكة الله!"

قلتُ مشدوهًا، ضاحكًا بيني وبين نفسي: "ماذا؟ أرَدن أن ينظرن إليكِ؟ إنَّ النظر إليكِ أمرٌ محجوز لعينيَّ فقط! فهذه الليلة ما برحتُ أنتظر أن أنظر إليكِ مليًّا بطرائقَ لا يمكن لأيِّ شخص آخر أن ينظر بها إليكِ."

أجابت بحياء- وقد تقدَّمَت على مهل إلى سريري ولفَّت ذراعها حول إحدى قوائمه العاجيَّة- "أنت ترغب أن تنظر إليَّ؟" وتراقص ضوء الشموع على شعرها، إذ أردفَت: "وهل يروقُك أيضًا أن تراني أرقص؟"

فجاوبتُ حالاً: "كما لاقت أبانا يعقوب فرقتان من الملائكة في مَحَنايم، فليُشارِك أحدُنا الآخر فعلاً. هيَّا نرقص!"

فقالت بلهجةٍ ناعِمة ومُغايِظة: "أنا مُستعدّة لتلقِّي عروضك. إنَّني على استعداد لمُجاراة مهاراتك بمهاراتي. فكما أعددتَ لي حفلة باذخة الليلة، أعددتُ لك في المقابل حفلةً خاصَّة. إنَّها هديَّتي. فلنرقص فعلاً؛ ولنتلاقَ! لنكتشفْ ما يحمله إلينا هذا التشارُك، ولنستمتع به!"

وما إن قالت هذا، حتَّى أخذت تتجرَّد ببطء. فبرشاقةٍ نزعت كلّ قطعة من الثياب والحليّ، حتَّى وقفت أخيرًا عاريةً أمامي عند أسفل سريري، لابسةً فقط نعلَيها.

وخفق قلبي بشدَّة داخل صدري.

كانت واقفةً هناك بكلِّ ثقة، ثمَّ أومضَت بابتسامة مُغرية. وعلى مهلٍ أخذت تُحرِّك قدمَيها. وفيما هي مُغمِضة عينيها، بدأت رقصةً بطيئة الحركة على إيقاعٍ لم يكُن ممكنًا سماعُه إلاَّ داخل رأسها. وترجَّحَت وَرِكاها على الأثر ترجُّحًا خفيفًا على الإيقاع عينه.

تحرَّكَت عواطفي لولبيًّا نحو العلاء. فنهضتُ من سريري على عجل، مُنزِلاً رِجليَّ إلى أرض الغرفة. وباشرتُ التقدُّمَ نحوها بحَذَر، دائرًا حولَها، مُطارِدًا إيَّاها، منتظرًا اللحظةَ المناسبة للإطباق بذراعيَّ على فريستي الراغبة.

وإذ حدَّقتُ إلى قدميها، قلتُ بإعجاب: "ما أجملَ قدميكِ بالنَّعلين، يا بنتَ الأمير الكريم!" ثُمَّ رفعتُ نظري إلى وجهها. فابتسمَت مرَّةً أخرى، مُتلقِّيةً بابتهاج إطرائي وتلميحاتي.

ورجعَت عيناي إلى قدميها، ثمَّ أخذتا تُقدِّران شكلها. "دوائر فخذَيكِ مثل الحليِّ، صنعة يدَي فنَّان. الليلةَ سأكون أنا ذلك الفنَّان وأُمسِك بتُحفتي."

وتاليًا، ركَّزتُ نظري على تموُّجات بطنها التي عملَت أشكالاً في أثناء تحرُّكها. "سُرَّتكِ كأس مدوَّرة لا يعوزها شرابٌ ممزوج. بعد لحظات سأشربُ من تلك الخمرة." وسحبتُ نفَسًا إذ تقدَّمتُ نحوها أقربَ بعد. "بطنُكِ حقل قمح يموج في مهبِّ النسيم."

أخيرًا، لم أعد استطيع أن أتمالك نفسي. وبخطوة أخيرة واحدة، مددتُ يديَّ إليها فيما جثوتُ على ركبتيَّ. وإذ طوَّقتُ وِركيها وخصرها بذراعيَّ، بدأتُ أُقبِّل بطنها برقَّة، مرتشفًا ببطء- إن صحَّ التعبير- خمورها الممزوجة ببهجة غامرة.

أمالت رأسها إلى الوراء، وأغمضَت عينيها. وأحسستُ يدَيها ورؤوس أصابعها تحتضن لحم كتفيَّ تجاوُبًا مع كلِّ تعبيرٍ ودود عن الحبّ.

لقد خالجها أقصى الحبور. واستولى عليَّ السِّحر.

وإذ رفعتُ نظري، حدَّقتُ بحدَّة إلى ثديَيها المُتمايلين برِقَّة. وهمستُ بأنفاسٍ ثقيلة: "لقد اشتعلتُ شغفًا. ثدياكِ مُكتنِزان. إنَّهما كولَدَي ظبيةٍ توأمَين. لقد أسرتِ جسمي وروحي. إنَّهما لكِ، تفعلين بهما ما تشائين."

أجابت: "وأنا لك، حبيبي. فأشبِع كلَّ رغبة يمكن أن تتصوَّرها."

وإذ وقفتُ على قدميَّ، وبات جسمي مُلتصِقًا الآن بجسمها، انتقلَت عيناي إلى عنقها النحيل، ثمَّ إلى عينيها. "عيناكِ عميقتان، حبيبتي، مثل بِرَك السمَك في حشبون. أنفُك كبُرج لبنان الذي يُواجِه دمشق."

أخيرًا، تلاقت شفاهُنا، وانطبقت كشفة واحدة. وقد كانت شفتاها حارَّتَين. فغمرتني السَّعادة القصوى إذِ استمتعتُ بقُبَلها الطويلة الرقيقة.

وشيئًا فشيئًا، تراجعتُ عنها، ورفعتُ يديَّ لأُمسِك بخدَّيها. وجالت عيناي على كلِّ جزء من وجهها. "مُحيَّاكِ يُتوِّجكِ كالكرمل. والخُصَل المُسترسِلة المُنسدِلة على كتفيكِ تبدو كخيوطٍ قرمزيَّة في ضوء الشموع، باللَّون الملوكيّ، مُخصَّصةٍ فقط لمَلِك."

وإذ غرزتُ أصابعي في شعرها وجدلتُها مع خُصَلها، أردفتُ: "ضفائرُكِ جعلتني أسيرَكِ. ما أجملك وما أحلاك، حبيبتي، بكلِّ مفاتنكِ!"

فضغطَت صدري بصدرها ضغطًا شديدًا، وأسدلَت ذراعَيها حول عُنقي. وحدَّقَت بحدَّة إلى داخل عينيَّ، كما لو كانت تُناشِدني أن أكفَّ عن الكلام.

وفي اندفاعةٍ أخيرة بين القُبَل التي باتت أكثر شغفًا، تابعتُ قائلاً: "قامتُكِ طويلة كالنَّخلة، وثدياكِ

كعناقيدها. سأتسلَق النَّخلة. سأمسِك بثمارها وألهو بها."

إذ ذاك جذبتُها معي بسُرعة إلى حافة السرير. فسقط نعلاها. وارتمَينا على الوسائد الوثيرة. وأمطرتني كما أمطرتُها، بألف قُبلة. وانزلقَت أيدينا برشاقة أحدنا على جسد الآخر، مُتوقِّفة إلى حينٍ فقط لِما يتخلَّل ذلك من إمساكٍ وتربيت.

ثُمَّ تنهَّدَت أخيرًا من الأعماق- كما تنهَّدتُ أنا- إذ بلغْنا كلانا ذروة الحبِّ القصوى.

وتدريجيًّا، بدأ شغفُنا يهمد وباتت قُبَلنا أرقَّ. وكان في وسعي أن أشعر بنفثات نفسها القصيرة على وجهي وفمي. "عبيرُ نفَسكِ مُنعِش وحلو كالتفَّاح، يا حبيبتي!"

فأجابت: "لسانكَ وشفتاك تجعلني أُفكِّر بأجود الخمر النادرة التي تنزل بكلِّ رقَّة. فهي تجري بلُطفٍ عبر شفتيَّ كمن يُغَطغِط عليه النَّوم."

استلقينا معًا مُنهَكين، على أثر النَّشوة الطاهرة. ودسستُ ذراعي برفق تحت عُنقها، وجذبتُ جسمها إلى جسمي بإحكام. فأسندَت رأسها على كتفي وكَنكنَت على مهدِ ذِراعي. وإذ رفعَت نظرها إليَّ في اللحظات الأخيرة قبل أن يغلبَنا النَّوم، مالَت نحوي وهمست في أذني برقَّة: "لم يسبق لي قطُّ أن شعرتُ بأقصى الأمان في حبِّك، يا زوجي المحبوب. فأنا لك، وهكذا سأكون دائمًا. ثُمَّ إنَّني أعلم أنَّ اشتياقك هو إليَّ!"

نِقاط للتأمُّل

ربَّما كان هذا المقطع واحدًا من أصرح مقاطع الكتاب المقدَّس كلِّه تصويرًا للجنس والشَّهوة في الحُبّ.

وعند مقارنة ترجمات مُختلفة، يبدو واضحًا أنَّ بعض المُفسِّرين واجهوا صعوبات في اختيار تفسير يستريحون إليه:

- "ارجعي، ارجعي، يا شولمِّيث، حتَّى نتفرَّسَ فيكِ! لماذا تُحدِّقون إلى الشولميَّة كما إلى رقص مَحَنايم؟" (NIV)
- "ارجعي، ارجعي، يا شولمِّيث، حتَّى ننظُر إليك. ماذا ستَرَون في الشولميَّة؟ كما لو كُنَّا في صحبة جيشَين." (KJV)
- "ارجعي، ارجعي إلينا، يا فتاةَ شولم، ارجعي، ارجعي، لكي نراكِ من جديد. لماذا تُحدِّقون إلى هذه الشابَّة الشولميَّة، إذ تتنقَّل بكلِّ رشاقة بين صفَّي راقصين؟" (NLT)
- "بدأتُ أنصرف، ولكنَّهم نادَوني أنِ ارجعي، ارجعي، يا شولميَّة؛ ارجعي، ارجعي، حتَّى نُنعِمَ النظر إليك! [فأجبت:] ماذا لكُم ترَونه في الشولميَّة [الصغيرة الفقيرة]؟ [وجاوبوا:] كما إلى رقصةٍ أمام جيشين، أو رقص محنايم." (Amp.)
- ارقصي، ارقصي، يا شولمِّيث العزيزة، الأميرة الملاك! ارقصي، فنُبهِج عيوننا برشاقتك! كلُّ واحد يريد أن يرى الشولميَّة ترقص رقصاتِ نصرها، رقصات الحبِّ والسلام." (الرسالة)

إنَّ التعبير "رقص صفَّين" ترجمةٌ حرفيَّة للأصل (رقص مَحَنايم). و"محنايم" تعني حرفيًّا "مُعَسكرَين" أو "جماعتَين". وقد كان ذلك هو الاسم الذي أطلقه يعقوب على المكان الذي فيه لاقته ملائكة **الله** (تكوين ٣٢: ١ و٢). ويعتقد الشُّرَّاح أنَّه رأى جماعتين من الملائكة، ربَّما في مناورة، تتكيَّفان إحداهما مع الأُخرى كما في رقصة.

ولئن بدا هذا المقطع شهوانيًّا من منظور بشريّ، فإنَّ المضامين الروحيَّة ينبغي أن تُنوِّر إلى الأبد مفهوم كلِّ مؤمن عن **الله** ومحبَّته. ذلك أنَّ **الله إلهٌ شديدُ العاطفة!** وهو يُحبِّذ الحميميَّة! فإنَّ العلاقة الحميمة المُتَّسمة بالشَّغف واللَّهو والمُغايَظة والحرِّيَّة بين الشولميَّة وزوجها ينبغي أن تُزيل تمامًا الفكرة القائلة بأنَّ **الله** إلهٌ ضيِّق الأفق ومتزمِّت دينيًّا يُريد منَّا أن نُبقيَ على مسافة بعيدة بيننا وبينه، مُكتفين بإطاعته والتزام الأُصول. وفي هذا المشهد، كما في كلِّ موضع من القصَّة، سليمان هو صورة للرَّبِّ يسوع المسيح. أمَّا الشولميَّة فهي صورة لك ولي، نحن المؤمنين!

فمع أنَّ هذا المقطع حسِّيٌّ بدرجة عالية، فهو مُفعَم بالدَّلالة نسبةً إلى المؤمن الذي بلغ هذه المرحلة من النُّضج الروحيّ. وبلُغة روحيَّة، فإنَّ وصف الشولميَّة السخيَّ هذا يصوِّرها باعتبارها قد أصبحت شريكة زواج وزميلة عمل قويَّة، مستعدَّة للتَّعب جنبًا إلى جنب مع حبيبها في حقول الحصاد. فالقسم الأوَّل من الوصف يركِّز على استعدادها لطلب الضالِّين وخدمة الآخرين، في حين يُلقي القسم الثاني الضوء على قوَّتها.

لقد كانت رِجلاها جميلتين بالنَّعلين، الأمرُ الذي يرمز إلى استعدادها لحمل إنجيل السلام.

"ما أجمل على الجبال قدمَي المبشِّر المخبر بالسلام، المبشِّر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصِهيَون: "قد ملك إلهكِ!" (إشعياء ٥٢: ٧، مُقتبَسة أيضًا في رومية ١٠: ١٥).

"وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام" (أفسُس ٦: ١٥).

وكانت دوائر فخذَيها كالحليّ، صنعة يدَي فنَّان. فالطريقُ التي سلكَتها (أي الطريقة التي بها تنقل رسالة المسيح) كانت في ذاتها صنيعًا فنِّيًّا وجذَّابًا للآخرين.

وكانت سُرَّتها كأسًا مدوَّرة لم يُعوزها الشرابُ الممزوج قطُّ؛ وفمها كأجود الخمر. فقد كان لها خزَّانٌ من الفرح في داخلها فاضَ من شفتَيها، ووفَّر إمدادًا دائمًا للآخرين.

وكان بطنها كومة حنطة. فقد كانت مُفعمة بالتَّوق إلى المشاركة في حصاد الحنطة، في حصاد النُّفوس الروحيّ.

وكانت عيناها مثل بِرَك السَّمك في حشبون عند باب بثِّ ربِّيم. لقد رأى سليمان في عينيها التَّوق إلى طرح شِباكها والإتيان بصَيدةِ سمك. فهي قد أصبحت، على غرار بطرس، صيَّادة للناس؛ ومن شأن تأثيرها أن يكون عظيمًا. ("بَثّ ربِّيم" معناها "ابنةُ كثيرين".)

وكان أنفُها كبُرج لبنان: فقد كانت حاسَّة الشمِّ لديها قويَّة، الأمر الذي يُمثِّل تمييزها الروحيَّ الذي به استطاعت أن تُدرِك ما كان جاريًا في اللاَّمنظور.

وكان رأسها متوَّجًا مثل الكرمل، الجبل الذي فيه أظهر الربُّ قدرته على يد إيليّا.

وكانت قامتها مثل شجرة النخيل. والنَّخل طويل وقويّ، وله جذور عميقة. وهو يبقى ثابتًا في أرضه حتَّى في الرِّياح العاتية، ويحمل ثمرًا حتَّى في الأماكن القاحلة.

وكان ثدياها كعذق البلح أو عناقيد العنب. فقد كانت مؤهَّبة لإضفاء الحلاوة والفرح على حياة الآخرين.

وكان عبير نفسَها كالتُّفَّاح، ناضرًا ومنعشًا. فقد بلَّغت بشارة الإنجيل بجِدَّة وحيويَّة.

في هذا المشهد، نرى زوجًا وزوجة حُرَّين كليًّا أحدُهما مع الآخر؛ غير مكبوتَين تمامًا وقادرَين إلى التمام على التمتُّع بكُلِّ ما لدى كليهما يمنحُه للآخر. فهذه هي الوحدة. ولا يمكن إحراز هذا الاتِّحاد إلاَّ حين تشعر المرأة بالأمان والثقة اللذين يصحبان علمها بهذه."

أفكار / صلوات

أيُّها الربُّ يسوع، فيما أُحاول أن أفهم فكرة كونك تحبُّني بطريقة شديدة الشَّغف والشَّوق كتلك الموصوفة في علاقة الحبِّ هذه بين سليمان وعروسه، أجدها فوق إدراكي. فإنَّ مفاهيم زائفة كثيرة عنك في ذهني تحول دون تصديقي أنَّك تشعر تجاهي هذا الشعور القويَّ جدًّا. ربِّ، أزِل هذه المفاهيم الزائفة المُترمِّتة التي هي من صُنع البشر. إنِّي أُريد أن أُعطيَك ما تتوق إليه. أُريد أن يكون حبِّي لك حرًّا وغير مكبوت كحُبِّ الشولميَّة لمليكها. أُريد أن أكون قادرًا على الرقص أمامك، وعلى إبهاجك! ربِّ، اجذبني. أُريد أن أختبر ملء اتِّحادي معك. أوصِلني إلى حيثُ أستطيع أن أتلقَّى منك هذا النَّوع من الحبّ. دعني أعرف، دون أدنى شكّ، أنَّني لك، وأنَّ إليَّ اشتياقَك!

“إذ نُقبِل على نشيد الزواج، **نشيد العريس والعروس**، لكي نقرأ ونُقدِّر تُحفة **الروح** هذه، نطلبُ إلهام **روح القداسة**. نُريد منك، أيُّها **المحبَّة**، أن تملأنا بمحبَّتك، حتَّى نفهم نشيد المحبَّة... حتَّى نُجعَل نحن أيضًا، بدرجةٍ ما، مُشارِكين في حوار العريس القدُّوس والعروس المقدَّسة، وحتَّى يُتاح لِما نقرأ عنه يحدث في داخلنا.

“لهذا السبب، إذ يُسلِّم الروح القدس الخلائق البشريِّين نشيد الحبِّ الروحيِّ، يكسو كامل مادَّته الداخليَّة والروحيَّة والإلهيَّة بالثوب الخارجيِّ التي توفِّره الصُّوَر البيانيَّة عن الحبِّ الجسديّ. فغايةُ هذا، على وجه الدِّقَّة- بما أنَّ المحبَّة وحدها تستطيع أن تدرك أُمور **الله**- أنَّه إذا جيء بالحبِّ الجسديِّ إلى الحبِّ الروحيِّ وعبرَ إليه، يتسنَّى للمرء بسرعة أن يدرك حقيقة الحبِّ الروحيّ.”

وليم أُف سانت ثييري، القرن الثاني عشر

اليوم الثالث والعشرون

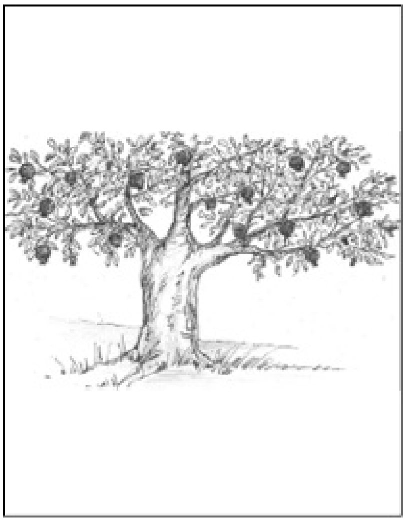

امرأةٌ حقلُها العالَم

نشيد الأنشاد، الأصحاح السابع

"تعال، يا حبيبي، لنخرج إلى الحقل، ولنبت في القرى. لنبكِّرنَّ إلى الكروم، لننظر هل أزهر الكرم، هل تفتَّح القُعال، هل نوَّر الرُّمَّان؟ هنالك أُعطيك حبِّي."

"اللُّفَّاح يفوح رائحةً، وعند أبوابنا كلُّ النفائس، من جديدة وقديمة، ذخرتُها لك، يا حبيبي."

نشيد الأنشاد ٧: ١١- ١٣

في الصباح التالي، تناولنا الفَطور معًا، الملك وأنا، على شُرفتنا المطِلَّة على المدينة. وفيما سليمان ما يزال مستمتعًا بدفء حبِّنا من مساء البارحة، قال لي: "كانت الليلة الماضية مُذهِلة، يا حبيبتي؛ فوقَ الكلام. لعلَّنا سنختبر نادرًا حبًّا كالذي اختبرناه قبل هذا الفجر."

فمددتُ يدي ووضعتُها على ذراعه، وقلتُ: "البارحةَ شعرتُ بأقصى الحيويَّة والحرِّيَّة. لم أشعر قطُّ من قبل بمُنتهى عدم الكبت. فقد بدا كما لو أنَّني، بعطائي لك، قد أصبحتُ أعظم مُتلقِّية للحُبِّ يمكن تصوُّرها على الإطلاق. وما كان لي قطُّ أن أحلم أو أتصوَّر أنَّ زوجين يمكن أن يتشاركا في مثل هذا الاتِّحاد، وهذه الحميميَّة."

فقال الملك: "لا بدَّ أنَّنا لمسنا ما اختبره أبو جنسنا وأُمُّه أوَّلاً في الجنَّة، لمَّا أحبَّ البشريَّان الأوَّلان أحدُهما الآخر في براءتهما ولم يخجلا قطُّ."

وابتسمنا كلانا إذِ استمتعنا بذكرى الليلة السابقة.

وكان سليمان هو الذي خرق الصَّمت أخيرًا. "عندي شيء أبحثه معكِ، حبيبتي. لقد لاحظتُ أمرًا في أثناء مراقبتكِ منذ بضعة أيَّام. ولم يتسنَّ لي الوقت كي أتكلَّم معكِ بشأنه قبل الآن. قولي لي إذا كنتُ مخطئًا: لمَّا رأيتُكِ تُحدِّقين خارجًا من النافذة منذ بضع ليالٍ، لمحتُ في عينيكِ نظرةً بعيدة. فبدا كما لو أنَّكِ كنتِ تُفكِّرين في شخصٍ بعيد جدًّا. أكُنتِ، على وجه الاحتمال، تفكِّرين في أمِّكِ وإخوتكِ الذين تركتِهم في القرية؟"

أجبتُ: "أنت قويُّ الملاحظة، يا مليكي. والجواب هو نعم ولا معًا. لقد فكَّرتُ قليلاً فيهم، ولكنَّني كنتُ مُنشغلة معك جدًّا هُنا في المدينة، وبالسَّفر في جميع البعثات، بحيثُ نادرًا ما أُتيح لي الوقت لأدع أفكاري تسرح فيهم. غير أنَّني أُفكِّر **بالفعل** تفكيرًا كثيرًا في هذا الأمر الواحد: إنَّني أرى الفقراء الذين يدخلون المدينة يوميًّا بعرباتهم المكشوفة والمُقفلة وأمتعتهم الضئيلة، فأُفكِّر في صنفهم غالبًا. إنَّهم يُمثِّلون جذوري والمكان الذي طلعتُ منه." وإذ أشرتُ إلى الشوارع الضيِّقة المزدحمة، قلتُ: "تطلَّع هناك في الأسفل وانظر بنفسك ما أعنيه."

فأنعم سليمان النظر إلى الأسفل من شُرفتنا، وحدَّق بحدَّة إلى الحشد البشريِّ البطيء الحركة يشقُّ طريقه في شوارع القُدس. ثمَّ قال الملك متأمِّلاً: "سماعي كلامَكِ يُذكِّرني بالنصيحة التي قدَّمتها لكِ أمِّي يومَ زِفافنا، إذ قالت عن الزوجة الفاضلة: 'تبسط كفَّيها للفقير، وتمدُّ يديها إلى المسكين'."

"ولك، يا مليكي، قالت: 'افتح فمك لأجل الأخرس، في دعوى كلِّ يتيم. افتح فمك، اقضِ بالعدل، وحامِ عن الفقير والمسكين'."

وأجاب سليمان: "أنا أعلم باهتمامكِ بالمعدمين، حبيبتي. هل تذكُرين البارحة في أثناء رقصنا لمَّا قلتُ لكِ إنَّ عينيك مثل بِرَك السَّمك في حشبون؟ لقد رأيتُ في عينيكِ اهتمامًا بالفقراء والبائسين في المملكة، بالذين طلعوا من أصول وضيعة، على غرارِكِ. وأعلم أنَّكِ تودِّين أن ترَي خيرات المملكة التي نعيش فيها تنالُهم أيضًا. وكصيَّادٍ جيِّد، أعلم أنَّك تودِّين أن تطرحي شِباككِ وتأتي بصيدٍ كبير من الناس إلى غنى هذه المملكة. فأيَّة مؤتمَنة على الأسرار أفضل منك يمكن أن أحوز، أنا الملك؟ إنَّكِ تعرفين الصراعات والصعوبات التي يواجهها الفقراء والمضطهَدون. فأنا على استعداد للأخذ بمشورتكِ."

ثُمَّ أشرقت عيناه، وقال: "قد علمتُ! لنذهب غدًا إلى الرِّيف ونَقضِ الليلة في القُرى. في وسعكِ أن تُريني ما تراه عيناكِ."

فهتفتُ: "سيكون ذلك رائعًا! إن كان لنا امتيازٌ بأن نشرب من كؤوس ذهب في كلِّ وليمة، فليس هكذا يعيش أغلب الناس. سنذهبُ إلى القرى. سنتكلَّم مع الناس. وسنرى كيف يمكن لبعض الغنى العظيم في هذه المملكة التي نعيش فيها أن يكون موضِع مُشارَكة بحيثُ يؤتَون الفرح والرَّجاء."

وعلَّق الملك قائلاً: "ممتاز!" ثمَّ طوى منديله ووضعه على صحنه، وأردف: "لننهضْ باكرًا ونذهب أيضًا إلى كروم العنب. لِنرَ هل أزهر الكرم وتفتَّح زهرُه، وهل طلع زهر الرُّمَّان. بعدئذٍ نذهب إلى القرى ونبيت الليل هناك. إذا تسنَّى لي أن أُعطيَكِ حبِّي في القصر على سريرٍ من عاج، أفلا يُمكنني أيضًا أن أُعطيَكِ إيَّاه في القُرى على فِراش من قشّ؟ ذلك كلُّه لنا نختبره معًا، يا حبيبتي."

قلتُ: "ما تعرضُه لا يُقاوَم! في وسعنا أن نأكل من جذور اللُّفَّاح ونستمدَّ منها قُدرات الحبّ. سنفتح أبواب قلبينا على مصاريعها أحدُنا للآخر مرَّةً أُخرى. وسنبتهج ليس فقط بأنفَس الثمار المألوفة، بل ستتذوَّق أيضًا أُمورًا جديدة ذخرتُها لك، يا حبيبي! إنَّما عِدني بأمرٍ واحدٍ فقط."

"مهما طلبتِ، يا حبيبتي."

فقلتُ مُمازِحةً- فيما ابتسمتُ ومسَستُ أنفه بإصبعي: "عِدني فقط بألاَّ تنسى الفقراء!"

نِقاط للتأمُّل

انطلق الملك وزوجته في مُغامرةِ حُبٍّ إلى الرِّيف والقرى. وهنالك، مرَّةً أُخرى، خطَّطا لموعد مع الحبّ.

وكان يُعتقد أنَّ لجذور اللُّفَّاح، أو اليَبروح، قُدرات مُنشِّطة للحبّ، كما كانت تُستعمل أغلب الأحيان لتعزيز الإخصاب. **واللُّفَّاح**، في العبريَّة، يعني "نبتة الحبّ".

في هذه المرحلة من النشيد، كانت زوجة الملك وحبيبته قد أصبحت زميلته في العمل.

وقد قال المسيح لتلاميذه: "إنَّ الحصاد كثير، ولكنَّ الفَعَلة قليلون. فاطلبوا من ربِّ الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده" (لوقا ١٠: ٢). فالشولميَّة الآن تُمثِّل واحدة من هؤلاء الفَعَلة المُشارِكين في العمل. إنَّها واحدة من القليلين. فهي شخصٌ مفروز للخدمة!

فعلى غِرار موسى الذي دفع الثمن بقضائه أربعين سنة في البرِّيَّة إعدادًا له لقيادة شعب **الله** إلى أرض الآباء؛ وعلى غرار داود الذي مُسِح وهو فتًى صغير لكنِ انتظر سنين طويلة مُتفاديًا من الرِّماح ومختبئًا داخل شقوق في الجبال كجُزءٍ من تلمذته كي يصير ملكًا؛ هذه الشولميَّة باتت الآن على أتمِّ الاستعداد للذَّهاب مع الملك إلى الرِّيف والقُرى والكروم، ولاختبار حبِّه هناك. وبالنِّسبة إلى المؤمن بالمسيح، يمثِّل هذا القسم من النشيد الانفِرازَ للخدمة والانطلاق إلى حقول الحصاد.

وهنالك أكثر من مستوى مختلف منه يُقدَّر استعداد الشولميَّة للخدمة. الأوَّل أن تُرى كشخص يُشكِّل بالنسبة إلى جميع المؤمنين، في أيَّة مرحلة من النُّضج الروحيّ، نموذجًا في الأهليَّة للخدمة. فلا بدَّ لشخص كهذا أن يكون راغبًا في اجتياز زمن إعدادٍ أوَّلاً.

قبل أن يُرسَل بولس الرسول إلى جميع أنحاء الإمبراطوريَّة الرومانيَّة حاملاً الإنجيل، كانت له "معاملاته السِّريَّة" الخاصَّة مع **الله**. لقد دُعي بولس وهو على الطريق إلى دمشق، ولكنَّ الروح القدس لم يُرسله للخدمة طيلةَ ما بين اثنتي عشرة سنة وأربع عشرة. (إنَّ الإرسال حصل في اجتماع صلاة بأنطاكية غيَّر التاريخ، لمَّا تلقَّى مع برنابا تكليفهما في أعمال ١٣: ٢: "بينما هم يخدمون الربَّ ويصومون، قال الروح القدس: أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتُهما إليه." فقد كان هنالك الزَّمنُ الذي قضاه في الصحراء العربيَّة بعد اهتدائه، والزمن الذي قضاه في طرسوس، حيثُ نعرف القليل عمَّا كان يفعله. وهذا كلُّه حدث قبلما طلب منه برنابا أن يخدم إلى جانبه في الكنيسة بأنطاكية. هنالك استخدم **الله** بولس كي يتكلَّم ويُعلِّم من بيت إلى بيت، ولكنَّ هذا كان ما يزال مجرَّد إعدادٍ لعمل أعظم بَعد، ألا وهو حمْل الإنجيل إلى العالَم الأُمميِّ كلِّه.

إذا أرسلك **الله** وكلَّفك للخدمة، فلا تُفاجأ إن أرسلك إلى مكان ما لن تختار أبدًا أن تذهب إليه. لقد تلقَّى بولس تدريبًا بصفته فرِّيسيًّا. وكان من سبط بنيامين، عبرانيًّا من العبرانيِّين، مُشبعًا بكامل المعرفة والخلفيَّة المرتبطتين بالثقافة العبريَّة. وقد تعلَّم على أيدي أمهر العُلماء في أُمَّته... ومع ذلك أرسله **الله** إلى الأمم الأُخرى!

تَصوَّر بولس محاولاً أن يُثير إعجاب عبدٍ سكيثيٍّ ما بأصله الكريم، أو بمعرفته للشرائع اليهوديَّة والعوائد الغذائيَّة. تَصوَّره مُستخدِمًا مثلاً ما من التوراة مأخوذًا من حياة موسى، وسامعيه قائلين ردًّا على ذلك: "موسى، مَن؟" لم يكن مُفترَضًا أن تكون لليهود الأتقياء أيَّةُ معاملات مع الأُمم! ومع ذلك، كان هذا هو الحقل الإرساليَّ الذي إليه بعث **الله** بولس.

تُرى، هل وجدتَ "حقلك الإرساليَّ،" المنطقة التي دعاك **الله** كي تخدم فيها؟ هل وجدتَ قريتك، أو كرمك؟

قد يكون حقلك عملَ بين الفَقراء أو المُعاقين أو المشرَّدين. وربَّما وضعك **الله** بين السياسيِّين أو بين البائسين. ولعلَّك- من طريق انعطافة حادَّة أو حادثة أو حتَّى مأساة- بتَّ على احتكاكٍ بدائرة من الناس ما كنتَ قطُّ لتختار أن توجد فيها، ولكنْ بين هؤلاء لك الآن مِنبر.

وإحدى الطُّرق لتحديد المكان الذي قد يكون حقل خدمتك فيه، سواءٌ أكان نفسًا هالكة واحدة، أم قدِّيسًا فردًا منعزلاً، أم الجماهير، هي أن تنظر إلى حيثُ تقودك "مسيرة الحياة".

وحيث يقودك **الله**، فهنالك إحساس الحياة والسلام.

ولكنَّ اهتمام الرُّوح [القدس] هو حياة وسلام. (رومية ٨: ٥)

لأنَّ كلَّ الذين ينقادون بروح **الله** فأُولئك هم أبناء **الله**. (رومية ٨: ١٤)

وفي النشيد، يقول الملك لشريكته الراغبة: "لننظر هل أزهر الكرم، هل تفتَّح القُعال، هل نوَّر الرُّمَّان؟"

إنَّ التَّبرعُم والإزهار هما من أدلَّة الحياة. فحتَّى لو كان ما تعمله، أو مَن تعمل ذلك معه- مهما كان قِوام قريتك- لا يحظى بمُلاحظة الجماهير، فإذا كان ذلك هو المكان الذي فيه تلمس حضور **الله** وإحساسَ الحياة، ينبغي لك أن تستثمر نفسك هناك! ذلك هو المكان الذي فيه يُريد الربُّ أن يُريَك حبَّه.

ولكنَّ هنالك أيضًا مستوًى ثانيًا منه يمكن أن تُقدِّر قامة الشولميَّة.

انظر حواليك وفكِّر في أشخاص تعرفُهم ممَّن أعطاهم الربُّ خدمةً من نوع ما. فإنَّ أغلب خدَّام **الله** هؤلاء يعملون في كرومهم الخاصَّة. ولكنْ هل من مستوى خدمة آخر موجود هنا؟ انظر مرَّةً أُخرى. هل ترى أُولئك الذين كبروا عن خدماتهم الخاصَّة، وهم الآن يعملون أيضًا في كروم الآخرين؟

هؤلاء هم جنرالات **الله!** هؤلاء هم الذين يتخطَّون بأنظارهم خدماتهم الخاصَّة وإمبراطوريَّاتهم الخاصَّة. إنَّهم مهتمُّون بملكوت **الله**. وقد يكون نطاق عملهم مُدنًا أو أقاليم أو بلدانًا كاملة. إنَّهم أولئك الذين يدخلون ويُغادرون كرومًا شتَّى، لأنَّ لديهم من الطاقة الروحيَّة مقدارًا أكبر من أن يبقَوا محصورين بأيَّة مجموعة واحدة من الناس.

هذا هو مَن قد صارته شريكة حياة سليمان.

انتبِه إلى صيغة الجمع في الكلمات المستخدمة: "تعال، يا حبيبي، لنخرج إلى الحقل، ولنبِت في القُرى؛ لنبكِّرَنَّ إلى الكروم."

فهذه المرأة قد صارت امرأةً مُنطلِقة إلى العالَم أجمع.

عندما ينظر الربُّ إليك، فهل يرى في عينيك برَك سمك حشبون؟ أفي قلبك اهتمامٌ بهالِكي هذا العالم؟ هلاَّ تصبح نظيرَ هذه السيِّدة؟ من شأن الربِّ أن يملك جيوشًا نظيرها. ولكنْ لماذا يوجد أقلاَّء جدًّا؟ أيَّ شيءٍ ينتظر الربُّ؟ نجد الجواب في لوقا ١٠: ٢ "إنَّ الحصاد كثير، ولكنَّ الفَعَلة قليلون؛ فاطلبوا من ربِّ الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده."

إنَّ الربَّ يطلب متطوِّعين يكونون مستعدِّين أن ينضمُّوا إليه، أن يذهبوا حيثما يذهب ويعملوا ما يريد أن يعمل. إنَّه ينتظر كي يرسل مَن هم على استعداد لأنْ يُرسَلوا وأن يخضعوا للإعداد. فهل من شيء يمنعك أن تصير واحدًا من هؤلاء القليلين؟

أفكار / صلوات

يا ربُّ، خذني إلى القَرى، حيث تُريد أن تأخذني. إنَّما أعدِدني أوَّلاَ، حتّى أتمكّن من العمل معك في الحصاد. وأينما كان ذلك، أُريد منك أن تُريَني حبَّك هناك. علِّمني أن أتبع إحساسَ الحياة والسلام، ذاك القائمَ في داخلي. إنَّ الحقول قد ابيضَّت؛ والعمَّال قليلون. فيا ربّ، اجعلني مثل هذه الشولميَّة. اجعلني واحدًا من العاملين تحت يدك وإلى جانبك.

اليوم الرابع والعشرون

المُعلِّم المُقيم في الداخل

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثامن

"ليتك كأخٍ لي، الراضع ثديَي أُمِّي؛ فأجدك في الخارج وأُقبِّلك، ولا يُخزونني! وأقودك، وأدخل بك بيت أُمِّي، وهي تُعلِّمني فأسقيك من الخمر الممزوجة، من سُلاف رمَّاني. شماله تحت رأسي، ويمينه تُعانقني!"

"أُحلِّفكنَّ، يا بنات أُورشليم، ألاَّ تُيقِّظن ولا تُنبِّهنَ الحبيب حتَّى يشاء."

نشيد الأنشاد ٨: ١- ٤

في وقت مُتقدِّم من صبيحة أحد الأيَّام، بعد عودتنا من رحلة لا تُنسى إلى القُرى، استدعاني الملك إلى قاعة عرشه. فدخلتُ ووقفت أمامه عند أسفل الدرجات السِّتِّ المؤدِّية إلى العرش والمزيَّنة إلى كِلا الجانبين باثني عشر أسدًا رائعًا من الذَّهب، لم يُرَ لها مثيلٌ في أيِّ مكان آخر من أيَّة مملكة أُخرى في هذا العالم. وقد كان العرش نفسه نسيجَ وحدِه. فإنَّه كان مصنوعًا من العاج ومُغشًّى بالذَّهب ومُرصَّعًا بأفخر جواهر الياقوت الأحمر والأزرق والزُّمرُّد، وغيرها من الحجارة الكريمة، وكلُّها مُتلألئة بلمعانها.

تكلَّم الملك إليَّ وأعلمني أنَّه ينوي القيام بجولة في مدينة القدس عصرَ ذلك النهار. فكان لإعلانه هذا وقعٌ غير مُفاجئ، لأنَّه غالبًا ما كان يجول في المدينة. ولكنَّ قصده من استدعائي كان أن يدعوَني إلى الذَّهاب معه. فنزلتُ عند رغبته، ورجعتُ إلى غرفتي للاستعداد.

غادرنا القصر في وقت لاحق من العصر، تُحيط بنا كوكبةٌ من الحرَّاس المُسلَحين، وسلكنا الطريق عبر المدينة العليا، مُجاوزين منازلَ فخمة وحدائق شاسعة، حتَّى بلغنا المدينة السُّفلى بشوارعها الضيِّقة وأسواقها ودكاكينها وأكشاكها. فتلقَّت أعيُننا الفوضى الشاملة. وهنا، حلَّت محلَّ السكينة داخل جدران القصر جلَبةُ الناس والحيوانات، وعبيرُ البَخور والزُّهور والتوابل الغريبة، مع توليفة روائح مُنبعثة من قُدور الطَّبخ ونتانة النُّفاية المركومة على جانبَي الشوارع.

وبينما نحن نتمشَّى، جاوزنا قطعة أرض صغيرة إلى حدٍّ ما وخالية بين دُكَّانين، قد تجمَّع فيها بضعُ عشرات من الأولاد ليلعبوا. فتوقَّفنا لنُشاهِدهم.

كان على مقربة من الفسحة التي يلعب فيها الأولاد صبيٌّ صغير مع أُخته التوأم، وقد أمسكا أحدُهما بيد الآخر. ورأت الفتاة بعضًا من صديقاتها، فقبَّلت أخاها قبلةً سريعة على خدِّه، ثمَّ ركضت لتنضمَّ إليهنَّ.

وقد حفزتني رؤية ذلك أن ألتفت إلى الملك وأسأل: "لماذا، حسبَ عوائدنا، لا نجد حرجًا متى أظهر صغارُنا عواطفهم علنًا؟ إنَّنا، في الواقع، نجد براءتهم فاتنة، إذ يمسكون بعضُهم بأيدي بعض أو يُقبِّلون أحدُهم الآخر دون أن يُعيروا ما قد يفكِّر فيه الآخرون أدنى اهتمام. ففي أيِّ عُمر نصبح أكبرَ من أن نفعل ذلك؟ متى نصير كبارًا تمامًا بحيثُ يجب أن نستُر مشاعرنا الحقيقيَّة تجاه الذين نحبُّهم ولا نُبديَها علنًا؟"

فطرفَت عينا الملك.

ثمَّ أجاب على مهل: "حسنًا، حبيبتي. لا يسعُني أن أذكُر عُمرًا مجدَّدًا، ولكن عند حدٍّ ما يصير من غير المناسِب تمامًا أن نُعبِّر عن الحُبِّ أحدُنا للآخر على مسرح الحياة العامَّة."

فأجبتُ: "هل تعتقد أنَّ الحال **ينبغي** أن تكون على هذا المنوال؟ ماذا تقول عنك وعنِّي؟ كيف يكون شعورك إذا قبَّلتُك علنًا؟"

وبدا مرتبكًا بعضَ الشيء إذ بسط يديه وقال: "حبيبتي، من شأني أن أُرحِّب بقُبَلكِ في أيِّ وقت. ولكنَّ ذلك سيكون مُتعارضًا مع جميع عاداتنا وتقاليدنا. فهو ليس مجرَّد شيءٍ يُفعل، ولا سيَّما إذا كانت المرأة هي المُبادِرة إلى التقبيل."

كان الأولاد ما يزالون يتضاحكون ويلعبون، فلاحقتُهم بعينيَّ وأنا أُجاوِب: "يا ليتك كنتَ كأخٍ لي، تمامًا مثل هذين الولدين هنا في الشارع! فإذا وجدتُك في الخارج، أُقبِّلك ولا يزدري بي أحد."

فضحك الملك. وجعلتني ابتسامتُه الجميلة أبتسم في المقابل.

ثمَّ قال، مواصلاً ضحكتَه الخافتة: "لا بدَّ أن يكون ذلك سابقةً أُولى، خصوصًا بالنسبة إلى الملك إذا تلقَّى قُبلةً في العلن!"

فقلتُ: "كانت أُمِّي تُعلِّمني عمَّا هو مُناسِب وما هو غير مناسب. ولكنَّك أنت الآن مُعلِّمي، أيُّها الملك. سأجعل تعليمك أعلى سُلطانًا من تعليم أُمِّي. وبالحقيقة، لو أُتيحت لي الفرصة، لكنتُ أقودك وأُدخل بك بيت أُمِّي بعينه، حيثُ أمزج لك خمرًا مُطيَّبة تشربها مع عصير رُمَّاني. فحتَّى هناك، ما كنتُ لأُخفي أو أكبت مشاعري تجاهك، إذا كان ذلك هو ما تبتغيه. كلُّ ما يهمُّني الآن هو ما تفكِّر أنت فيه، يا حبيبي."

أمسكني الملك بذراعي، ودُرنا لنعود إلى قلب المدينة. فرفعتُ نظري إلى سليمان وحدَّقتُ داخل عينيه. ودون كلام، بدا قائلاً لي: هذا هو نوع الحبِّ الذي أتمنَّاه منكِ... ثقتكِ القلبيَّة الخالصة، دون أدنى اهتمام بما قد يعتقده الآخرون. هذا هو نوع الحبِّ الذي أتمنَّاه منكِ أكثر الكلّ.

ثمَّ رجعنا إلى القصر. ورافقني الملك في الرِّواق الطويل إلى مهجعي. فأمسكتُ بكُمِّه قبل أن يتمكَّن من الانصراف عنِّي. وكان توقي إليه ما برح يتعاظم طيلة العصر، فقلت: "ادخل إلى مهجعي، يا حبيبي،

واستلقِ معي. أحنُّ إلى يُسراك تحت رأسي، وإلى يُمناك مُعانِقةً إيَّاي من جديد."

فلبَّى الملك طلبي بسرور، إذ دخل مهجعي وأغلق الباب.

سكبتُ بعضَ الماء من جرَّة في طست كبير. ثُمَّ شرعنا كِلانا نتجرَّد. وقُمنا على التوالي بغمس أيدينا في الطست ورشِّ الماء على جسمَينا كي نبترِد. وتاليًا، فتحتُ قِنِّينة عطر زكيِّ العبير، ووضعتُ بأصابعي قليلاً وراء أذنيَّ وعلى عُنقي. ثمَّ اندسَسنا تحت الأغطية على السَّرير وتعاطينا الحبّ.

ولمَّا آن أوان رحيله، رافقتُه إلى الباب.

استند سليمان إلى الجدار بقرب الباب، ومرَّر أصابعه في شعري، قائلاً: "أودُّ أن أرى شعركِ الأسود الطويل مُرخًى هكذا، أشعث بعض الشيء، مسدَلاً على كتفيكِ بشكل مثير. تغمرُ عينيكِ نظرةٌ مُتألِّقة، لعلَّها مؤشِّر إلى أنَّ خلوتنا الغراميَّة معًا كانت مُمتِعة جدًّا؟"

فقهقهتُ قليلاً حيالَ مُغايَظته. وتباطأ الملك عند بابي إذ تبادلنا كلمات الوداع.

ثُمَّ سمعنا فجأةً، من أحد أطراف الرِّواق، صوتَ نساء وطقطقة نِعال على أرض المدخل الحجريَّة. فإذا بنحوِ عشرٍ من بناتِ مدينة القدس. وإذ فاجأهنَّ أن يجدن الملك وإيَّاي واقفَين هناك وحدَنا، جمدنَ في مكانهنَّ حالاً.

وما إن رأيتُ الفتيات، حتَّى استدرتُ توًّا إلى الملك. فمددتُ قامتي، ولففتُ ذراعيَّ حول عُنقه، وطبعتُ على شفتيه قبلةً حرَّى، طويلة، عميقة. ثُمَّ التفتُّ، وانكفأتُ إلى داخل غرفتي، وأغلقت الباب.

كان قلبي يخفق حبورًا لمَّا خلَوتُ بنفسي داخل الغرفة. وقد تسنَّى لي فقط أن أتصوَّر كيف أنَّ هذا العرض العفْويَّ غير المتوقَّع للعاطفة العلنيَّة قد أفقد الملك إلى حينٍ رباطة جأشه. وفي ما بعد، اعترف لي بأنَّه آتاه فرحًا لا يُعبَّر عنه!

أصغيتُ من وراء بابي فيما مشى سليمان بنشاط مُبتعِدًا في الرِّواق توًّا نحو الفتيات المُحدِّقات ببَلَه. وإذ توقَّف أمامهنَّ، سمعتُه يحضُّهنَّ بصوتٍ عالٍ حازم، قائلاً: "لماذا تُحدِّقن؟ أهو أمرٌ استثنائيٌّ أن يُعبِّر الملك وزوجته عن عواطفهما؟ لا تُزعِجن محبوبتي. أُريد منكنَّ أن تحلفن، يا بنات أُورشليم، ألاَّ توقظنها أو تُنبِّهنها حتَّى تشاءَ هي!"3

نِقاط للتأمُّل

أوَّلَ ما ابتغت الفتاة علاقةً حميمة بالملك، طلبت أن يُقبِّلها هو: "ليُقبِّلني بقُبلات فمه." أمَّا الآن، فهي المُبادِرة إلى التقبيل. وقبلاً، عبَّرت عن محبَّتها له في السرِّ فقط؛ أمَّا الآن، فليس لديها أيُّ موانع بشأن التعبير عن عاطفتها، ولو في العلن.

فهي تقول: "أقودك، وأدخل بك بيت أُمِّي، وهي تُعلِّمني" (نشيد ٨: ٢). إنَّ "بيت أُمِّي" يُمثِّل الكنيسة. وبالنِّسبة إلى شولميَّة اليوم، فمن شأنها أن تعبِّر عن هذه الأفكار بالقول: "ربِّ، لقد كنتَ غنيًّا جدًّا من نحوي. فتَوقي الشديد هو أن أعود بما اختبرتُه عنك إلى الكنيسة، عسى أن يختبرك المؤمنون كما اختبرتُك أنا."

كذلك أيضًا كانت الكنيسة هي التي علَّمتها "في ما مضى". أمَّا الآن، فالملك وحده هو المُعلِّم. إنَّه مُعلِّمها، ومرجِعُها ذو السُّلطان.

قد يبدو غريبًا، أو حتَّى راعبًا، في نظر بعضهم أن يكون المسيح وحدَه مَرجِعك ذا السُّلطان. ألا يُقال لنا

في الكلمة المقدَّسة: "أطيعوا مُرشديكم واخضعوا، لأنَّهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنَّهم سوف يعطون حسابًا" (عبرانيِّين ١٣: ١٧)؟

لا ينبغي التقليل من أهمِّيَّة الكنيسة، لأنَّ الكنيسة هي جسد الربّ؛ كما لا ينبغي الازدراء بما يمكن أن نتعلَّمه من الآخرين في جسد المسيح. ولكنْ يجب أن يأتي في حياة كلِّ مؤمن وقتٌ فيه يغدو المسيح حقيقيًّا كفايةً نسبةً إليك، بحيثُ يكون **هو وحده** مُعلِّمك الشخصيَّ.

"وأمَّا أنتم، فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يُعلِّمكم أحد؛ بل كما تعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كلِّ شيء- وهي حقٌّ وليست كذبًا- كما علَّمتكم تثبتون فيه" (١يوحنَّا ٢: ٢٧).

لا نُوصى في أيِّ موضع من الكتاب المقدَّس بأن نُطيع قادتنا دون أدنى تفكير. فالكلمة المترجمة "أطيعوا" في الآية المُقتبسة من عبرانيِّين ١٣ تعني بالفعل "دعوا أنفسكم تقتنع من..." والكلمة المُترجمة "اخضعوا" ليستِ أمرًا، بل تعني بالأحرى "لتُذعِنوا". فما تقوله هذه الاية فعلاً هو هذا: "دعوا أنفسكم تقتنع من مُعلِّميكم (بفضل قُدوتهم، وخُلُقهم الوَرِع، وطبيعتهم الخادمة، ومعرفتهم بطُرق **الله** وحقِّه) وترغب في الإذعان لهم."

إنَّ كِلتا الكلمتين المترجمتَين "أطيعوا" و"اخضعوا" تدلاَّن أصلاً على دورٍ للاختيار الإراديّ. فنحن لا نُحَضُّ أبدًا على إطاعةِ مؤمنٍ آخر بالمسيح بدافع الخوف أو الواجب، كجُنديٍّ مُلزَم أن يُطيع أمرَ رئيسٍ فوقَه.

وللتيقُّن بألاَّ يفوتَنا بيتُ القصيد، يقول لنا الروح القدس في ١يوحنَّا ٤: ١ "أيُّها الأحبَّاء، لا تصدِّقوا كلَّ روح، بل امتحنوا الأرواح: هل هي من **الله؟** لأنَّ أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم." فينبغي لنا دائمًا أن نستفسر **الله** عن الأمور التي نُعلِّمها، كي نُحدِّد ما إذا كانت آتيةً من عنده.

في العهد القديم، قال الشَّعب لصموئيل إنَّهم أرادوا ملكًا يتسلَّط عليهم كسائر الأُمم. وقد كان هذا طلبًا سخيفًا.

ولمَّا سأل صموئيل **الله** عن الأمر، كان الجواب الذي تلقَّاه: "اسمع لصوت الشعب في كلِّ ما يقولون لك، لأنَّهم لم يرفضوك أنت، بل إيَّاي رفضوا حتَّى لا أملك عليهم" (١صموئيل ٨: ٧).

ولأنَّنا أولاد **الله**، فنحنُ في ملكوت **الله**، ولنا حقُّ القدوم إلى مَلِكنا. فليس بيننا وبينه وُسَطاء. والقُدوم إلى صاحب السُّلطان لا يقتضي التعريجَ على بضعة أشخاص بعيدين عنَّا، بل هو ميسورٌ في داخلنا. وهذا غريبٌ إلى حدٍّ بعيد مُقارنةً بالممالك الأرضيَّة!

غير أنَّه هناك، عميقًا داخل أرواحنا، حيث **الله**، أبو الأرواح، يجلس على العرش ويُعلِّمنا.

"ثمَّ قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدِّبين، وكنَّا نهابهم. أفلا نخضع بالأولى جدًّا **لأبي الأرواح**، فنحيا؟ لأنَّ أُولئك أدَّبونا أيَّامًا قليلة حسب استحسانهم، وأمَّا هذا فلأجل المنفعة، لكي نشترك في قداسته. ولكنَّ كلَّ تأديب في الحاضر لا يُرى أنَّه للفرح، بل للحزن. وأمَّا أخيرًا فيُعطي الذين **يتدرَّبون به** ثمر برٍّ للسلام" (عبرانيين ١٢: ٩- ١١، والتشديد من عندي).

هذا هو العهد الذي قطعه لنا الربّ. وهذه كانت نذور زواجه:

"أجعلِ نواميسي في [أذهانكم]، وأكتبها على [قلوبكم]، وأنا أكون [لكم] إلهًا، و[أنتم تكونون] لي شعبًا. ولا يعلِّمون كلُّ واحد قريبه، وكلُّ واحد أخاه قائلاً: "اعرف الربّ!" لأنَّ الجميع [بمن فيهم أنت] سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم" (عبرانيِّين ٨: ١٠ و١١).

ستأتي علينا أوقات اضطراب وارتباك، نحتاج فيها إلى الشركة مع الآخرين كي نعرف مشيئة الربّ ونفهم ما يقوله لنا. فرُغم كلِّ شيء، نحن جزء من جسده، وإحدى الطُّرق التي بها يتكلَّم **الله** إلينا هي من

خلال أعضاء آخرين في الجسد. في تلك الأوقات الصَّعبة، يجب أن نتعلَّم الاستناد إلى السَّوسن (راجع خلاصة القسم الأوَّل). ولكن في مسيرتنا اليوميَّة مع الربّ، يجب أن نتعلَّم الاتِّكال على مُعلِّمنا الداخليّ.

أخيرًا، نلتقط في هذا المقطع لمحةً عن سرِّ الأسرار كلِّها.

فأوَّلاً، نرى سليمان الملك الذي عنه يقول الكتاب في ١ملوك ١٠: ١٨- ٢٠ إنَّه صنع عرشًا "عظيمًا من عاج [مُمثِّلاً للعرش الأبيض العظيم الذي عليه يجلس **الله**] وغشّاه بذهب إبريز." وللعرش "ستُّ درجات" و"رأس مستدير من ورائه، ويدان من هنا ومن هناك على مكان الجلوس، وأسدان واقفان بجانب اليدين. واثنا عشر أسدًا واقفة هناك على الدرجات الستّ، من هُنا ومن هناك. لم يُعمَل مثله في جميع الممالك."

هذا العرش الذي جلس عليه سليمان كان رائعًا، لكنْ رهيبًا. والأُسود الاثنا عشر المُصطفَّة إلى جانبَي الدرج كانت مُثيرة، لكنْ مُخيفة. فقليلون تجرَّأوا على مجرَّد الاقتراب من الملك، ولكنَّ الذين فعلوا ذلك سقطوا على وجوههم أمامه بخوفٍ كلِّيّ.

وبالتبايُن مع الملك وعرشه، نرى العروس التي صارت شولميَّتَهُ. فقد صارت عظمًا من عظمه، ولحمًا من لحمه، وروحًا من روحه. إنَّها الشَّخص الذي في وسعه أن يدخل حضرة الملك، بل قاعة العرش بعينها، بلا تردُّد ولا خوف.

وهنا المُفارقة العظيمة: أنَّ ذاك الذي هو فوق كلِّ وصف في البهاء والقداسة، والصفاء والبراءة، مالكًا على كلِّ مكان وزمان وكلِّ أُمَّة ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً، تربطه أيضًا علاقةُ حبٍّ بامرأة. تلك المرأة هي كنيسته، ولكن تلك المرأة هي أنتَ أيضًا! وحبُّه حبٌّ شديد جدًّا، لكنْ حبٌّ بسيط. إنَّه حبٌّ جميل, وهو حبٌّ كامل. ثُمَّ إنَّه أخيرًا حبٌّ ممكنٌ الوصول إليه.

تلك هي الصُّورة المرسومة هنا ببراعة في العلاقة بين الشولميَّة ومليكها. فيا له من إلهٍ رائع لدينا!

أفكار / صلوات

تأمَّل لحظةً في هذه الفكرة: أيَّ مدًى من الراحة بلغتَ في التعبير عن محبَّتك للربِّ علنًا؟ أيدفعُك الذين حواليك إلى التحفُّظ؟ لماذا؟ لعلَّ الربَّ يريد منك أن تُصلِّي في خِضَمِّ تلك المخاوف.

إنَّ الأمر الأهمَّ هو أن تدرك أنَّ **الله**، في المسيح وبالروح القدس، مُقيمٌ في داخلك. **وهو** محبَّة. إنَّه أبو الأرواح الذي في **روحك**، مُعلِّمًا إيَّاك ومؤدِّبًا إيَّاك- ومُحِبًّا إيَّاك بلا شكٍّ- لكي تشترك في قداسته وبرِّه.

هدِّئ نفسك، وأصغِ إلى صوته الصافي الخافت. تعلَّم أن تتبع إحساس الحياة والسلام ذاك، وتتدرَّب على يد المعلِّم المُقيم في داخلك. تعلَّم أن تتوكَّل عليه. إنَّه هو مليكُك، وهو إلهك.

أيُّها الربُّ يسوع، شكرًا لك على إقامتك في داخلي. شكرًا لك على استطاعتي أن أتقدَّم إليك بلا تردُّد ولا خوف. شكرًا لك أنَّك تريد أن تكون معلِّمي. درِّبني أن أسلك في طُرقك، وأسمع صوتك، وأُلقي بالي إلى مسحتك في داخلي. كُن أنت مُعلِّمي ومُدرِّبي ومُحبِّي.

---

3 The New English Translation (NET Bible) & The NEW LIFE Version.

اليوم الخامس والعشرون

حذارِ الانزِعاج!

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثامن

"أُحلِّفكنَّ، يا بنات أُورشليم، ألاَّ تُيقِّظن ولا تنبِّهن الحبيب حتَّى يشاء."

نشيد الأنشاد ٨: ٤

كان ذلك يومًا آخر جميلاً على نحوٍ استثنائيٍّ لزيارة البُستان. فارتديتُ ثيابًا يتيسَّر لي فيها أن أشتغل. ولبسَت الملكة عباءة غير رسميَّة، فضفاضة، طويلة، بلَون وبرِ الجمل. وجلسَت مُسترخيةً على أحد المقاعد الطويلة التي ازدان بها ذلك الموقِع الطبيعيُّ، مُستمتِعةً بالسلام والسُّكون. وإذ أسندت رأسها على إطار المقعد الخشبيّ، أغمضَت عينيهَا، وواجهت الشمس، وتشرَّبت دفء أشعَّتها.

كنتُ على بُعد أقدامٍ قليلة فقط جاثيًا على ركبتيَّ ويديَّ في إحدى مساكب الطِّيب، مُشتغلاً بالتُّربة الخصبة. وقد اقتلعتُ مِن الأرض رؤوس الأعشاب الدقيقة واحدًا فواحدًا، بعدما كانت قد اخترقت التُّراب وتُحاوِل أن تحتلَّ مكانها في المساحة المُخصَّصة لطُيوبي المُفضَّلة.

فجأةً، خُرِقَ الصَّمت إذ انفجرت الملكة ورائي بنوبة ضحكٍ عفْويَّة. درتُ لأنظر إذِ استمرَّت في القهقهة، حتَّى همد ضحكها أخيرًا.

فناشدتُها، مُبتسِمًا بدَوري: "يجب أن تُطلعيني على مصدر سرورِكِ."

قالت: "كنتُ فقط أتذكَّر حادثة حديثة العهد وجدتُها مُضحِكة تمامًا."

فاستفسرتُ: "وماذا كانت تلك؟"

"أتذكُر ذلك اليوم خارج مهجعي، في الممشى، لمَّا واجهتَ بناتِ القُدس واستحلفتهنَّ ألاَّ يوقظنَني؟"

أجبتُ: "نعم."

"حسنًا، كنتُ مُصغيةً من وراء بابي. لا بدَّ أنَّك أُحرِجتَ بعضَ الشَّيء، ولكنَّني أُثني على طريقة إقبالك على الدِّفاع عنِّي، وإن كنتُ قد حسبتُ ذلك مُضحِكًا تمامًا. حقًّا إنَّك بَطَلي ونصيري!"

اتَّكأتُ على التُّراب، داعمًا نفسي بمِرفَقيَّ. ثمَّ رفعتُ نظري محدِّقًا إليها.

وقلتُ مُتأمِّلاً: "نعم، أذكُر. ولكنْ لم تكُن تلك هي أوَّل مرَّة فيها يتلقَّينَ حضًّا كهذا. فالمُناسبة السابقة كانت عند نهاية المساء، أوَّل مرَّة فيها رافقتِني إلى قاعة الوليمة في القصر الشَّتويّ. آنذاك تسنَّى لي أن أرى في عينيكِ أنَّ الحبَّ قد استولى عليكِ. لقد عقدتُ العزم على صَون تلك الطاقة المقدَّسة إذِ استحوذت على كِيانكِ وجالت في مشاعركِ. أردتُ لك أن تنعمي بذلك الشُّعور المُسكِر، كخمر مُعتَّقة على صينيَّتكِ، حتَّى اللحظة التي فيها تنطبِقُ أجفانُكِ أخيرًا لنوم الليل... نعم، بل حتَّى الصباح أيضًا، حين تستيقظين لتُلاقي أفكارًا كهذه من جديد. لذلك كان عليَّ أن أُحذِّر بنات القُدس من إيقاظكِ حتَّى تشائين. فرغم كون نيَّاتهنَّ حسنةً على الأغلب، يمكن أحيانًا أن يكُنَّ مُتطفِّلات."

"أنت حكيم، يا مليكي. لقد جعلت الحبَّ يستكنُّ ويستَعِر تلك الليلة حتَّى الصباح التالي، ومنذئذٍ ما بقي إلاَّ مُضطرِمًا."

قلتُ: "لم أنتهِ بعد. إنَّني أذكر أيضًا مرَّةً ثالثة فيها تلقَّين هذا الحضَّ عينه من شفتيَّ. كان ذلك ليلةَ فتَّشتِ عنِّي في شوارع المدينة. ولمَّا وجدتني، أمسكتِ بي."

وارتسَمت على وجهها أمارات الجِدِّ، إذِ استذكرَت. "نعم، في ذلك الحين أيضًا، اضطرمَت أفكاري بالحُبِّ أيَّ اضطِرام. لقد فهمتُ أنَّ جميع المنافع الرائعة التي أغدقتَها عليَّ ما كانت لتُقارَن بتلك المسرَّة البسيطة، لكنِ المجيدة، بمجرَّد وجودي معك. فليس إلى العطايا تشوَّقتُ، بل إلى المُعطي. إذ إنَّ الاستراحة في حُبِّك والابتهاج به والتأمُّل فيه كانت ما احتاج إليه قلبي تمامًا."

فأجبتُ: "في لحظاتٍ كهذه، ينبغي أن يُصانَ الحبُّ أكثرَ الكلّ. فإنَّه عندما يتأصَّل الحبُّ في القلب، يحتاج إلى وقتٍ وغذاء، بِلا إلهاء، حتَّى ينمو ويُزهِر."

ثمَّ انكفأتُ أُفتِّش في التُّربة الخصبة عن عُشبة أُخرى غيرِ مرغوبة. وإذ لمحتُ واحدة، مددتُ يدي وشدَدتُ برِفق الساق الصغيرة، البريئة ظاهريًّا، حتَّى اقتلعتُها من الأرض. ورفعتُها لكي يراها كِلانا، مُتفحِّصًا إيَّاها، ثُمَّ رميتُها في سلِّ القصب إلى جانبي مع جميع الأعشاب الأُخرى.

وقلتُ: "لا يسَعُني أن أسمح لهذه المُتطفِّلات الفاسدات بأن تمتصَّ الموادَّ المغذِّية من هذه التُّربة الخصيبة. فإنَّها تُزعج الجذور، وتُعيق نموَّ هذه الأطياب النفيسة التي زرعتُها لأجل مسرَّتي. وبهذه الطريقة عينها، يجب أيضًا أن أُبقيَ عينًا ساهرة على بنات القدس لئلاَّ يُفسِدن ما هو نامٍ في تربة قلبكِ الغنيَّة."

فسألَت الملكة بلهجة مُغايظة: "أ ألمحُ غضبًا في صوتك؟"

قال: "قليلاً."

"أتُشبِّه بناتِ القُدس بالأعشاب الضارَّة، سيِّدي؟"

"أعلمُ أنهنَّ يبذلن أفضلَ ما عندهنَّ كي يُكرِمنني، وأنهنَّ يُحِببن الخدمة في القصر. ولكنَّهنَّ أحيانًا يُقدِّمن حبَّهنَّ للخدمة واتِّباع الأُصول على مصالحي. إنَّهنَّ لا يفهمن، على غِرارِكِ، توقيَ الخاصَّ الشديد إلى

الحبّ. فعندما يُحاجِجن بأنَّ أوان استيقاظكِ قد حانٍ، لا يدركن أنَّ من شأن حبِّي أن يعنيَ السماح لكِ بأن تستلقي على سريركِ وتُفكِّري في الحبّ، أو تُخطِّطي طريقة خلاَّقة ما بها تُعبِّرين عن ذلك الحبِّ لي. وحين أرى أنَّ أفعالهنَّ قد تُعوِّق الحبّ، فحينئذٍ يجب أن أتدخَّل."

وتوقَّفتُ هُنيهةً، مُشيحًا نظري عن البستان، بأعشابه وأطيابه، إلى زوجتي. ثُمَّ أردفتُ: "في أوقاتٍ كهذه، هُنَّ بالحقيقة كهذه الأعشاب الرديئة، ويجب أن يُعارَضن. أفما قلتُ لكِ قبلاً إنَّكِ بُستان أطيابي الجميل؟"

بقِيَت الملكة جالسة على البنك، ويداها مطويَّتان في حضنها، مُتفرِّسةً في وجهي. وأخيرًا، خرقَت صمتها.

"أنا هائمةٌ بك، يا مليكي. فلا شيءَ يؤتيني فرحًا أعظم من مجرَّد وجودي معك."

فقلتُ: "ولا شيءَ يؤتيني فرحًا أعظم من رؤيتكِ تتشرَّبين جميع المُغذِّيات من تُربة حبِّي الغنيَّة، لتشربي من جدول إمدادي، وتتنعمي بدفء حمايتي. إنَّ رؤيتكِ تتلقَّين كلَّ ما لديَّ لأُعطيَكِ إيَّاه هي بالحقيقة فرحي الأعظم. فالخدمة، كما تُعطيني هؤلاء الأُخريات، ما كانت قطُّ ما أطلبُه منكِ. إنَّما أعظم عطيَّة في وسعك أن تُعطيني إيَّاها على الإطلاق هي تقديمُكِ الحبَّ اختياريًّا."

نِقاط للتأمُّل

ثلاثَ مرَّات في نشيد الأنشاد، يحضُّ الملك بناتِ القُدس ألاَّ يوقظن ولا يُنبِّهن حبيبته حتَّى تشاء. وفي المرَّة الثالثة، يجعلهنَّ يحلفن ألاَّ يوقظنها ولا يُنبِّهنها.

وكلَّ مرَّة يحدث فيها هذا، تكون الحبيبة في موقع التفكير بمحبوبها حميميًّا وحبِّيًّا:

- "شماله تحت رأسي، ويمينه تُعانقني" (نش ٢: ٦).
- "وجدتُ مَن تحبُّه نفسي، فأمسكتُه ولم أُرخِه حتَّى أدخلتُه بيت أُمِّي وحُجرة التي حبلت بي" (نش ٣: ٤).
- "أقودك وأدخل بك بيت أُمِّي، هي تعلِّمني، فأسقيك من الخمر الممزوجة من سُلاف رمَّاني. شماله تحت رأسي، ويمينه تعانقني" (نش ٨: ٢ و٣).

ففي كلِّ مرحلة، من وقت حبِّها الأوَّليِّ، مرورًا بمرحلة الحبِّ المُتزايد لديها، وصولاً إلى نُضجِها في الحبّ، يُنبِّه الملك بناتِ القُدس أن يبقَين بعيدات، فلا يُقاطِعن ولا يُزعِجن عروسَه في راحتها وفي تعبيرها عن أشواقها الحميمة إليه.

تُرى، مَن كانت هؤلاء البنات؟

إنَّهنَّ كلُّ العذارى الأُخَر اللَّواتي عرفن الملك ولكنْ من بعيد فقط، واللَّواتي لم يجرين وراءه ولا تقدَّمن في النُّضج الروحيِّ كما فعلَت هي.

فهؤلاء البنات يُمثِّلن مؤمنين آخرين بالمسيح، بسبب معرفتهم السطحيَّة له، يُحاوِلون أغلب الأحيان أن يزعجوا أُولئك الذين بالحقّ يحبُّونه ويسعَون وراءه باعتباره كلَّ ما لديهم.

وفي أغلب الأحيان، يكون أتباع المسيح هؤلاء ما يزالون عائشين تحت الناموس، أو تحت مجموعة من القوانين المسيحيَّة التي التزموها ويطلبون أن يفرضوها على الآخرين. إنَّهم المتزمِّتون والناموسيُّون والذين من شأنهم أن يكبحوا الساعين حتَّى يبدوَ السَّاعون أكثر شبهًا بهم. إنَّهم المَرثيات،

والفرِّيسيُّون، بلِ التلاميذ أيضًا بعضَ الأحيان.

"وفيما هم سائرون، دخل قرية، فقبلَته امرأة اسمها مرثا في بيتها. وكان لهذه أُختٌ تُدعى مريم التي جلست عند قدمي يسوع، وكانت تسمع كلامه. وأمَّا مرثا فكانت مرتبكة في خدمة كثيرة. فوقفت وقالت: "يا ربّ، أما تُبالي بأنَّ أُختي قد تركتني أخدم وحدي؟ فقُل لها أن تُعينني!" فأجاب الربُّ وقال لها: "مرثا، مرثا، أنت تهتمِّين وتضطربين لأجل أُمور كثيرة؛ ولكنَّ الحاجة إلى واحد. فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها" (لوقا ١٠: ٣٨- ٤٢، والتشديد من عندي).

لقد كانت مرثا مرتبكة ومنشغلة، وأرادت أن تُبعِد مريم عن الأمر الواحد الذي تدعو إليه الحاجة. فلو كان لمرثا ما أرادت، لصارت مريم أيضًا مرتبكة ومُنشغلة!

إنَّ مرثا حاولت أن تخدم الربّ. أمَّا مريم فسمحت للربِّ بأن يخدمها. وحاولت مرثا أن تُشبِعه. أمَّا مريم فشبعَت من كلامه. وكانت مرثا في المطبخ خارجًا. أمَّا مريم فجلسَت عند قدمَيه. وكانت مرثا مضطربة ومُنهمكة في عملها. أمَّا مريم فكانت في سلام وراحة. وكانت مرثا تتكلَّم. أمَّا مريم فكانت تسمع. وأرادت مرثا أن يُساعِدها شخص آخر. أمَّا مريم فقد تلقَّت العون من الربّ. لقد حاولت مرثا أن تُعطي. أمَّا مريم فقد تعلَّمت أن تنال.

فأحيانًا، يكون من الضروريِّ أن نتوقَّف ونسأل أنفسُنا: أنحنُ نخدم الربَّ، أم الربُّ يسوع يخدمنا؟ أنحن عاملون لأجل الربّ، أم سامحون للربّ بأن يعمل فينا وبواسطتنا؟ وفي جميع وجوه المُفارقة هذه بين مرثا ومريم، مع مَن مِنهما نتماهى؟ وأيُّ تغييرات يجب أن تُجرى؟

في سعينا وراء المسيح، يمكن أن يتعرَّض ذلك السَّعيُ لهجومات من عدَّة جهات. فقد يأتي الهجوم من صديق أو قريب أو أب أو أمّ. وقد يأتي بشكل ملاحظات بريئة ظاهريًّا، من قبيل: "لماذا تقضي وقتًا طويلاً جدًّا في حضرة الربّ؟" "ينبغي أن تفعل هذا أو ذاك." "لماذا لا تقوم بالمزيد من العمل؟" "لديك كثيرٌ تُعطيه؛ فلماذا لا تُباشِر شيئًا ما؟" "لماذا لست أكثر مُشاركةً في كنيستك، في العطاء، في درس الكتاب المقدَّس، في التبشير؟" "ينبغي أن تكون تحت سُلطة روحيَّة ما." "ينبغي... ينبغي... ينبغي..."

فالسؤال هو: أنُصغي إلى هذه الأصوات، أم نركِّز على الأمر الواحد الذي يقول ربُّنا إنَّه مهمّ؟

أين خضعنا لمطالب أُولئك الذين يريدون أن يُلهونا ويُبعِدونا عن الجلوس عند قدمَي الربِّ والاستراحة فيه، بخدمة "دينيَّة" زائفة عديمة القيمة الأبديَّة؟ ربَّما حان الوقت لإقامة بعض الحدود.

إلى هذا، نرى محاولةً لتعويق امرأةٍ شديدة التكرُّس للمسيح عن تعبُّدها في بيت سمعان الفرِّيسيّ:

"وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة، إذ علمت أنَّه متَّكئ في بيت الفرِّيسيّ، جاءت بقارورة طيب، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية، وابتدأت تبلُّ قدميه بالدُّموع، وكانت تمسحهما بشعر رأسها، وتقبِّل قدميه وتدهنهما بالطِّيب. فلمَّا رأى الفرِّيسيُّ الذي دعاه ذلك، تكلَّم في نفسه قائلاً: "لو كان هذا نبيًّا، لعلم هذه الامرأة التي تلمسه وما هي! إنَّها خاطئة" (لوقا ٧: ٣٧- ٣٩).

ثمَّ يقول الإنجيل: "فأجاب يسوع..."

لقد كان سمعان **يُفكِّر** بهذه الفكرة بينه وبين نفسه فقط. فالكلمات لم تخرج قطُّ من فمه. ولكنَّ المسيح عرف ما كان يفكِّر فيه، ثُمَّ أجابه، جاعلاً عِبرةً ممَّن يودُّ أن يحرم مثل هذا الفِعل التعبُّديِّ الطوعيِّ المُتحرِّر من كلِّ قيد.

فأجاب يسوع وقال له... "أتنظر هذه المرأة؟ إنِّي دخلتُ بيتك، وماءً لأجل رجليَّ لم تُعطِ؛ وأمَّا هي فقد غسلت رجليَّ بالدُّموع ومسحتهما بشعر رأسها. قُبلةً لم تُقبِّلني، وأمَّا هي فمنذ دخلتُ لم تكفَّ عن تقبيل رجليَّ. بزيت لم تدهن رأسي؛ وأمَّا هي فقد دهنت بالطيب رجليَّ. من أجل ذلك أقول لك: قد غُفِرت

خطاياها الكثيرة، لأنَّها أحبَّت كثيرًا؛ والذي يُغفر له قليل يُحِبُّ قليلاً" (لوقا ٧: ٤٤- ٤٧).

"أحلِّفكنَّ... ألاَّ تُيقِّظن ولا تُنبِّهن الحبيب حتَّى يشاء."

وفي بيت عنيا، نرى حتَّى التلاميذ أنفسَهم مُحاوِلين أن يُقاطِعوا الحبَّ في بيت سمعان الأبرص:

"وفيما كان يسوع في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص، تقدَّمت إليه امرأةٌ معها قارورة طيبٍ كثير الثَّمن، فسكبته على رأسه وهو مُتَّكِئ. فلمَّا رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين: "لماذا هذا الإتلاف؟ لأنَّه كان يُمكن أن يُباع هذا الطِّيب بكثيرٍ ويُعطى للفقراء!" فعلِم يسوع وقال لهم: "لماذا تُزعِجون المرأة؟ فإنَّها قد عمِلَت بِي عملاً حسنًا! لأنَّ الفقراء معكم في كلِّ حين. وأمَّا أنا فلستُ معكم في كلِّ حين. فإنَّها إذ سكبتْ هذا الطِّيب على جسدي إنَّما فعلت ذلك لأجل تكفيني. الحقَّ أقول لكم حيثما يُكرز بهذا الإنجيل في كلِّ العالم يُخبَر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها" (متَّى ٢٦: ٦- ١٣).

أتودُّ أن يُخلِّد الربُّ ذِكراك؟ أتودُّ أن يتمَّ التكلُّم عمَّا قد فعلتَه حيثما يُكرز بالإنجيل؟ أتودُّ، على غرار مريم، أن تكون واحدًا من النُّخبة الذين تُدرَج أسماؤهم في قاعة مشاهير الربّ؟ إن كان نعم، فما هي المؤهِّلات؟

أهي كم أعطيتَ لمساعدة الفقراء، أم أيَّ مقدار من حياتك قد أعطيتَ الربَّ؟ أهي ادِّعاؤك بأنَّك تابعٌ له- رغم عدم تصديقك لكلامه البتَّة ولا سيَّما في الأوقات التي لا يبدو فيها بالحقيقة معقولاً أو مفهومًا- أم سماعُك لكلامه وجعلُك إيَّاه كنزك المُدَّخَر، على غِرار مريم؟

كان المسيح قد فرغ توًّا من إخبار تلاميذه بأنَّ الفِصح سيحلُّ بعد يومين، وأنَّ ابن الإنسان سيُسلَّم ليُصلب (متَّى ٢٦: ٢). وكان جميع تلاميذه في بيت سمعان الأبرص ذلك اليوم، وسمعوا ما قاله، ولكن مريم وحدها هي التي صدَّقت كلامه وتجاوبت معه. فإذ علمت أنَّ تلك قد تكون آخِر مرَّة فيها تقع عيناها على ذاك الذي ثمَّنته فوق الآخرين جميعًا، بذلت كلَّ ما لديها كي تُعِدَّه للدَّفن بأخذها قِنِّينة عطر غالٍ ومسْحها رأسه. أمَّا الآخرون فقد ثارت حفيظتُهم، وحكموا بأنَّ ذلك العمل الرمزيَّ كان هدرًا. وبالمفارقة، كان رأي **الله** واضحًا.

"إن كنتُ أتكلَّم بألسنة الناس والملائكة... وإن كانت لي كلُّ نبوَّة، وأعلم جميع الأسرار وكلَّ علمٍ... وإن أطعمتُ كلَّ أموالي، وإن سلَّمتُ جسدي حتَّى أحترق، ولكنْ ليس لي محبَّة، فلا أنتفع شيئًا." (اكورنثوس ١٣: ١- ٣)

وفي لوقا ١٠: ٤٢، قال المسيح لمرثا إنَّ "الحاجة إلى واحد". فما هو هذا الأمر الواحد؟

في المزمور ٢٧: ٤، ملكٌ آخر عظيم، قيل عنه إنَّه رجُل حسب قلب **الله**، قال لملك الملوك: "**واحدةً** سألتُ من الربّ، وإيَّاها ألتمِس: أن أسكن في بيت الربِّ كلَّ أيَّام حياتي، **لكي أنظر إلى جمال الربِّ** وأتفرَّس في هيكله." (أو حسب صياغة الرسالة: "أنا طالب من الربِّ أمرًا واحدًا، أمرًا واحدًا فقط: أن أسكن معه في بيته طيلة حياتي كلِّها. سأتأمَّل جماله؛ سأدرس عند قدمَيه.")

فالأمر الواحد الضَّروريُّ هو أن تجلس عند قدمَي المسيح وتشغل مكانك مُتلقِّيًا. هو أن تُعاين جماله. هو أن تقضي الوقت في حضرته، معجبًا به، مُتعبِّدًا له، مُحِبًّا إيَّاه، مُتقبِّلاً كلَّ ما هو في ذاته، وكلَّ ما عنده ليُعطيَك إيَّاه. هو أن تسمح له بالمكان الذي طالما أراد أن يشغله في حياتك: أن تسمح له بأن يكون هو مصدر جميع الأشياء ومُعطيَها.

إنَّ **الأمر الواحد** هو أن تكونَ أنت شولميَّتَه!

“لا، بلِ اقرأوا لي بعض الآيات من نشيد الأنشاد. فهذا الأمر الآخر لا يُجديني أيَّ نفع.”

القدِّيس يوحنَّا الصَّليبيُّ، القرن السادس عشر،

بعدما رفض تقبُّل الشعائر الأخيرة على فِراش احتِضاره من أيدي الرهبان. ولمَّا فرغوا من القراءة، هتف قائلاً: “يا لها من دُرَر ثمينة!”

اليوم السادس والعشرون

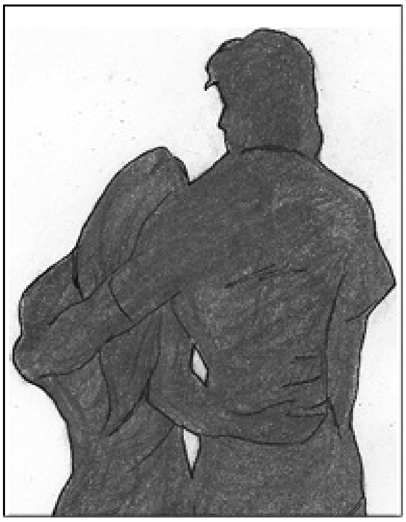

الاستِناد

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثامن

"مَن هذه الطالعة من البرِّيَّة مستندةً على حبيبها؟"

نشيد الأنشاد ٨: ٥

كنتُ قد فكَّرت مليًّا في رحلة أُخرى أردتُ القيام بها مع الملكة. وكانت شؤون المملكة تجري حسنًا، فقرَّرت أنَّ الأوان قد آن للمضيّ. وفيما نحن جالسان معًا بعد العشاء ذات مساء، رأيتُ أنَّ تلك كانت مناسبة مؤاتية لكي أكشف عن خُططي.

فقلتُ لمليكتي: "لقد تعاطينا الحبَّ على الجبال منذ عهد قريب، يا حبيبتي، ولكنَّ في الجانب الآخر من كلِّ جبل واديًا."

وسألَت: "ماذا تحاول أن تقول لي، يا حبيبي؟"

قلتُ: "ما برِحتُ أُفكِّر أنَّ الوقت قد حان، مرَّةً أُخرى، كي تزوري البرِّيَّة."

أجابت: "حقًّا؟" بصوتٍ لطيف، لكن مُتردِّد.

"نعم. إنما هذه المرَّة، سأكون برفقتكِ."

فاسفسرَت: "لأيَّة غاية؟"

قلتُ: "أنا مُضطرٌّ أن أحكي لكِ قصَّة جوابًا عن هذا"

فابتسمَت. "إذًا، احكها لي، يا مليكي."

"قبل نحو خمس مئة سنة، طلع نجمُ برِّيَّة من الصحراء. وكان اسمه موسى. فإذ هربَ من مصر، ترك كلَّ شيء وراءه، وقضى أربعين سنة يرعى الغنم في منطقة غير آهِلة. ولمَّا نفِدَت كلُّ ثقة بالنَّفس لديه، طلع من البرِّيَّة مستنِدًا على **الله**، ومؤهَّبًا لإخراج أسلافنا البالغ عددُهم ثلاثة ملايين من العبوديَّة إلى أرض الآباء. ونتيجةً لاختبار موسى في البرِّيَّة، كسب صيتًا باعتباره أحلم رجُل على وجه الأرض. فالاتِّضاع والاتِّكال الكلِّيُّ على **الله** يسيران يدًا بيد. إذ إنَّ الوُدَعاء يعرفون مَن هو **الله** ومَن هم؛ مَن يستطيع أن يفعل كلَّ شيء، ومَن لا يستطيعون أن يفعلوا أيَّ شيء. سآخذُكِ معي، ونسير مجدَّدًا على آثار خطوات موسى."

قالت: "سأذهب معك، يا سليمان. ولكنْ أخبِرني بما تعلَّمه موسى، رجُل **الله**، في البرِّيَّة."

فكان جوابي: "لقد تعلَّم أن يستند."

أجابت: "جواب غريب! هل تذكر حين خُيِّل إليَّ أنَّني قد فقدتُ حبَّك، وفتَّشتُ عنك في الشوارع؟ ولمَّا وجدتُك، تشبَّثتُ بك كما لو أنَّني لم أرِد أن أُفلِتك بتاتًا. فهل تعتقد أنَّ موسى كان "مُتشبِّثًا" أو "مستنِدًا"؟"

فجاوبتُ مُبتسِمًا: "التشبُّث جيِّد، حبيبتي، ولكنَّ الاستناد أفضل جدًّا. ألا ترَين أنَّ موسى لمَّا طلع من البرِّيَّة كان مُستنِدًا على عُكَّازه الذي صار عصا **الله**؟ وبواسطة تلك العصا، كان حضور **الله** مُتجلِّيًا، وبيَّن سلطته وقدرته. فالاستناد بثقة كاملة هو أفضل دائمًا من التشبُّث المُستميت. وقد تعلَّم موسى أن يسمح لله أن يكون هو **الله**."

ثُمَّ اتكأتُ، وتابعتُ قصَّتي. "لقد اختار **الله** هذا الرجُل كي يقود شعبه إلى الحرِّيَّة، ولكنَّ الشيطان، الخصم، أطلق تحدِّيًا. فهو أراد أن يُبقيَ شعبنا في العبوديَّة تحت هيمنة فرعون. وكانت النتيجة معركة ملحميَّة. أمَّا ساحة المعركة فكانت قلب موسى. فمن العالَم غير المنظور، عرض رئيسُ الظلام العالَم على موسى. وأمَّا **الله** الحيُّ، فقد عرض نفسه على موسى."

وقالت الملكة، بفُضول جليّ: "لقد أسرتَني! أخبِرني المزيد. ثمَّ ماذا تعني بلفظة 'العالم'؟"

فلوَّحتُ بيدي في أثناء تكلُّمي، ملاحظًا الغُرفة وبقايا الطعام أمامنا. "ليس العالم مجرَّد هذا المكان المادِّيِّ الذي نشغله. فإنَّ له بُعدًا روحيًّا أيضًا. وهو مكوَّن من الشَّهوة التي في جسدنا، وشهوة العيون، وتكبُّر الحياة الماكر، الأمور التي نتيجتُها النِّهائية هي الاتِّكال الكلِّيُّ على الذات واللامُبالاةُ **بالله**."

ثمَّ مِلتُ إلى الأمام من جديد، محدِّقًا بحدَّة داخل عينيها. "إذ تربَّى موسى في قصر فرعون، كانت أيَّة متعة طوعَ إصبعه: أيَّة امرأة، أيُّ شراب، أيُّ عقَّار، أيَّةُ لذَّةٍ منحرفة. ذلك كلُّه كان في متناول موسى إذا شاء، ولكنَّه قال 'لا!' واختار بالأحرى أن يتَّحد بشعب **الله** ويُعاني معهم سوء المعاملة. ولأنَّه فعل هذا، فإنَّ أوَّل مُناوَشة على قلبه كانت من نصيب **الله**."

قالَت: "أعرِف القصَّة، ولكنَّني ما سمعتُها قطُّ تُحكى بطريقة كهذه."

"ثُمَّ في سرد سِفر الخروج، نقرأ أنَّ فرعون أجبر العبرانيِّين على بناء مدينتين كاملتين، فيثوم ورعمسيس، لخزن كنوز مصر كلِّها. وفي وسعكِ فقط أن تبدإي تتخيَّلين كم من الكنوز كان هناك: الذهب، الفضَّة، الجواهر الكثيرة، العاج، النفائس الأُخرى. غير أنَّ شهوة العيون وطلب الغنى وتكديس الأشياء يمكن أن تتبارى كلُّها لأجل قلب الإنسان وتُنافِس تكرُّسه لله. وقد كان هذا هو امتحانَ موسى الثانيَ."

أجالت عينيها في أنحاء الغرفة، بسقفها العالي وزينتها المُزخرفة، وسألَت: "أفلَسنا نحنُ إذًا في خطر؟"

فابتسمتُ حيال حدَّة ملاحظتها. واستأنفتُ: "مع أنَّنا قد رأينا غنًى عظيمًا، حبيبتي، فليس الغنى نفسُه هو ما يستعبد الرجل أو المرأة، بل نداؤه. فهو في كلّ يوم ينادي: 'أعطِني وقتك، وأعطني عرَقك، وأعطني حياتك، فيتسنَّى لك أن تملك جزءًا زهيدًا من فتنة هذا العالَم وبريقه!' إنَّ موسى تربَّى في بيت فرعون، وربَّما كان ممكنًا أن يصير هو الفرعونَ التالي! ولكنَّه نبذ جميع كنوز مصر طلبًا لكنز أعظم، ألا وهو معرفة الله الحيّ. وبهذا، كان في وسع الله أن يعلن الانتصار في الجولة التالية من هذه المعركة لأجل قلب موسى.

"ولمَّا كان موسى أميرًا في الأسرة المالكة، والوارث غير المُنازَع لعرش مصر، فقد كانت له حصَّتُه في كلِّ امتياز. وقد تناول أفخر الأطعمة، وارتدى أبهى الملابس، وتلقَّى أفضل علوم يمكن أن تُقدِّمها مصر. وهو أيضًا نام على سرير من عاج. وأُكرِم كما تُكرَم الشخصيَّات الملوكيَّة وحدها. فكان موضِع حسد كلِّ مُواطن وعبد. ومثل هذه النشأة كان ممكنًا بالحقيقة أن تجعل المرء مُتكبِّرًا. غير أنَّ موسى رفض أن يُدعى ابن ابنةِ فرعون. وهذا أضاف الضَّربة النهائيَّة إلى المعركة الرُّوحيَّة على مَن يمتلك قلبَه. ونتيجةً لهذه الانتصارات، لأربعين سنة أمضاها موسى في البرِّيَّة، بات بطلَ الاتِّضاع."

ثمَّ مِلتُ إلى الأمام مرَّةً أُخرى. "ترَين، يا حبيبتي، أنَّ الله أخرج موسى من العالم. ثمَّ في فُرن البرِّيَّة، علَّمه دروسًا كثيرة من شأنها أن تُساعِده على قيادة شعبه عبرَ الصَّحراء وصولاً إلى أرض الآباء. وهنالك في الصحراء، أخرج الله من قلب موسى ما بقيَ من العالم. أخيرًا، لمَّا تبيَّن عمليًّا أنْ ليس للعالم أيَّةُ سيطرة على موسى بعد، أرسله ليعود إلى المأسورين في العالم ليكون مُحرِّرهم."

فسألَت: "ألعلَّنا نحن أيضًا، يا مليكي، نترك العالم؟"

"لا يستطيع المرء أن ينجح في ترك العالم بدافِع ما لديه شخصيًّا من تصميم أو إلتزام أو شعور بالواجب الدينيّ. فالمحبَّة لله هي الدافع الوحيد المقبول؛ وتلك المحبَّة تأتي من رؤيته تعالى."

وسألَت: "حبيبي، ما هي بعض الأُمور التي تُريد لي أن أختبرها في البرِّيَّة؟ فعلى غِرار موسى، لديَّ تَوقٌ أن أُنقَذ من هؤلاء الأعداء أيضًا."

فقلتُ: "سنبدأ حيث بدأ موسى. سنكتشف عِيشة البدو وطُرقَهم، أُولئك الذين يدعون الصَّحراء بيتَهم. سنتعلَّم دفء ضيافتهم للغُرباء؛ وقُدرتهم على استخراج الماء من الصخور في الأماكن القاحلة الماحلة؛ وكيف يجعلون الماء المرَّ حلوًا؛ وكيف يعتنون بمواشيهم. وسنرى أيضًا أين سقطت جُثَث أسلافنا في القفر بسبب عدم إيمانهم. سنمشي حيث مشى موسى، ونكتشف الدُّروس الروحيَّة التي إيَّاها علَّم الله واحدًا من أعظم خدَّامه."

وقالت لي مؤكِّدةً: "أنا مستعدَّة للذَّهاب، يا حبيبي، ما دمتَ معي!"

في غضون الأسابيع القليلة التالية، تأهَّبنا لرحلتنا. فحزمنا فقط بضع صُرَر من الثياب، فضلاً عن بعض الأمتعة الأخرى، وانطلقنا إلى البرِّيَّة على ظهور الجِمال، يُواكبنا أربعة وعشرون حارسًا راكبين. وقد أودعتُ لدى قُوَّادي المؤتمنين توجيهاتٍ بشأن إدارة شؤون المملكة في أثناء غيابي.

ارتحلنا نحو خمسين ميلاً لجهة الغرب حتَّى البحر. ومن هُناك أقلَّنا البَرجُ الملوكيُّ إلى مصر. كانت قد مضت عدَّة قرون على وجود بني قومنا عبيدًا في ذلك البلد، ولكنَّ مصر لم تفقد جمالها ولا جاذبيَّتها.

كنتُ قد بعثتُ إلى فرعون برسالة تُطلِعه على زيارتنا. فرُحِّب بنا ترحيبَ الملوك، ولكنَّني عجَّلتُ بإخباره أنَّ سبب قدومنا خصوصيٌّ، وليس زيارة دولة. وطلبتُ امتيازَ تحقيق غايتي: أن أصطحب زوجتي إلى بعض الأماكن التي فيها استُعبِد شعبُ الله القديم في ما مضى.

بعدَ جولة قصيرة في أنحاء مصر، بتنا على استعداد للانطلاق معًا إلى البرِّيَّة. وعلى مقربةٍ منَّا، تسنَّى لنا أن نرى الأهرام وأبا الهول الضَّخم. وتطلَّعتُ حواليَّ في كلِّ اتِّجاه، ثُمَّ أشرتُ نحو الشَّرق، قائلاً

للملكة: "هنالك صحراء في ذلك المكان. إنَّها برِّيَّة. هي رمال وحَرٌّ وشَجَيرات وضيعة، في مُعظمها، وهي تحوي قليلاً من الماء. من هذا المكان خرج أجدادنا من هذا البلد وارتحلوا شرقًا، ثُمَّ شمالاً، إلى أرض الآباء... الأرض التي فيها نعيشُ أنتِ وأنا اليوم."

ثمَّ أخذتُ نفَسًا عميقًا، وفاجأتْها كلماتي التالية:

"يجب أن توجد برِّيَّة في حياة كلِّ شخص، إذا كان لنا يومًا أن نعرف **الله** معرفة حقيقيَّة. فليس في أسباب راحتنا، بل في افتقارنا إليها، نُدفَع إلى اكتشافِ مَن هو حقًّا."

ثُمَّ اعترضَتِ النار في صوتي، نارٌ علمتُ أنَّها تأجَّجت في عينيَّ. "ولكنَّ هنالك شيئًا أعمق من ذلك بكثير: ثمَّة برِّيَّةٌ لدى **الله!** وبغير معرفة تلك البرِّيَّة، لا يمكننا أبدًا أن نعرفه حقًّا. فهو ليس هناك رهنَ إشارتنا، بصفته موزِّع الغنى والخيرات كلِّها. كثيرون يشعرون بأنَّ ذلك هو كلُّ ما هو **الله:** ربٌّ مُنعِم يُعطينا غنى الحياة. ولكنَّ إلهنا تُلازِم كِيانَه برِّيَّةٌ يمنحُها للأولاد الذين يحبُّهم. فالتاريخ يُسجِّل أنَّ موسى، رجُل **الله**، شاهدَ **الله**، لا في القصور، بل في صحراء حارَّة مُحرقة، حين لم يكن حواليه شيءٌ سوى الشُّجَيرات الجافَّة والجنبات اليابسة. فقولي لي، يا زوجتي الجميلة الرائعة، أما تزالين ترغبين في اقتفاء آثار رحلته عبرَ البرِّيَّة؟"

وإذ علمَت في الحال أنَّ سؤالي كان له معنًى مزدوج، ردَّت بإيماءة إيجابٍ من رأسها، ثمَّ أردفَتها بأخرى: "نعم، يا مليكي. أنا على استعداد لأن يقودني ربُّ حياتي إلى أيِّ مكانٍ يختارُه، إذا كان ذلك يعني أنَّني سأتعرَّف به معرفةً فُضلى."

وهكذا كان أنَّنا غادرنا مصر ببريقها الأخَّاذ وغناها الأُسطوريِّ ووعودها الكاذبة، وانطلقنا خارجًا إلى البرِّيَّة.

بدأنا بزيارة الواحة الشهيرة التي فيها حوَّل موسى المياة المُرَّة حلوة. والتقَينا قبيلة صحراويَّة فقضينا هناك بضع ليالٍ جالسَين حول نيران المُخيَّم مع أهلها. وقد جعلوا بيتهم بيتنا. فبغير أن يعرفوا مَن كنَّا، عاملونا كأنَّنا ملك وملكة. فاختبرنا إمداد **الله** كلَّ يوم بيومه، وفي خِضَمِّ الحرِّ السافِع والقفر الموحِش، شربنا من الينابيع الخفيَّة لذاك الذي جعل الماء يتفجَّرُ من الصَّخرة.

غِبنا بضعة أشهُر قبل الرجوع إلى مدينة القدس أخيرًا، وقد تجدَّد نشاطُنا بفضل مُغامراتنا. وقد كان لاختبار البرِّيَّة هذا تأثيرٌ عميق وباقٍ في كِلَينا، ولا سيَّما بالأحرى في شولميَّتي. فعلى غِرار موسى، حصل لها تغيير جذريّ.

ما إن عدنا إلى المدينة، حتَّى أعلمَتني مليكتي بتَوقها الشديد إلى رؤية والدتي، الملكة بتشبع، قائلةً لي: "أودُّ أن أُطلِعها على كلِّ ما تعلَّمتُه في الصحراء." وهكذا قُمنا بزيارتها في الأسبوع التالي.

جرى نقلُنا إلى بيت والدتي بمِحفَّتي الملكيَّة. وصلنا دونَ سابقِ إعلام، رغبةً منَّا في جعل زيارتنا مُفاجأة. كانت أُمِّي قد علمت أنَّنا كنَّا في الخارج، وما برحَت مُنتظرةً رجوعنا بتلهُّف. فترجَّلنا، ودرجنا على الممشى الحجريّ، وقرعنا بابها. ففتح لنا خادمٌ ما إن عرفَنا حتَّى سارع ليعود بالملكة بتشبع. ولمَّا رأتنا، صفَّقت بيدَيها. وكانت ما تزال جميلةً في سنِّها المتقدِّمة. وقد أشرقت عيناها إذ هتفَت: "يُبهِجني جدًّا أن أراكما!"

وعندَ نظرها إلى كِلَينا واقفَين في المدخل، أدركَت في الحال أنَّ شيئًا ما في عروسي بدا مُختلِفًا؛ فحدَّقَت إليها هُنَيهةً.

وما لبثَت الملكة الأُمُّ أن قالت، بتعبيرِ فضوليّ: "لقد تغيَّر تصرُّفُكِ وهندامُكِ بطريقةٍ ما. إنَّكِ تظهرين في غايةِ... في غايةِ الاسترخاء. ولكنَّ ليس في وسعي أن أضع إصبعي تمامًا على ما هو مختلف."

وعلى أمل أن تتبيَّن الجواب، سألَت: "قولي لي، يا ابنتي، ما ذلك؟ رجاءً، أشبِعي فضولي. مَن هذا

الطالعة من البرِّيَّة مستندة على حبيبها؟"

نِقاط للتأمُّل

أوَّلَ مرَّة فيها طلعَت عروس سليمان من البرِّيَّة، برزت بعبيرٍ شذيٍّ مُبهِج. وثانيَ مرَّة، كانت مُستندةً على حبيبها بهدوء وثقة.

"توكَّل على الربِّ بكلِّ قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد" (أمثال ٣: ٥).

وقتَما طلعت حبيبة سليمان من البرِّيَّة ثانيَ مرَّة، لم يكُن لشهوة العيون وشهوة الجسد وتعظُّم المعيشة أيَّةُ سيطرة عليها. فما كان لهذه كلِّها أيَّةُ جاذبيَّة، ولا شكَّلت خطرًا بإغواء قلبها بعيدًا عن محبوبها.

إنَّ محبَّة العالم تقوم نقيضًا مباشرًا لمحبَّة الآب. فأين وجد موسى القوَّة لقهر هذه القوى العالميَّة؟ تُطلِعنا الآية في عبرانيِّين ١١: ٢٧ على السرّ، إذ تقول إنَّ موسى "تشدَّد كأنَّه يرى [رؤية مستمرَّة] مَن لا يُرى." فليس في الكون كلِّه إلاَّ قوَّة واحدة فقط قادرة على نزع السِّلاح من جاذبيَّة هذا العالم القويَّة وجعلِها بلا فاعليَّة. وتلك القوَّة تكمن في اللامنظور. فإنَّ رؤيتَنا للربّ تجعل كلَّ ما يمكن أن يقدِّمه العالَم يبدو مجرَّد هباء.

وقد قدَّم الشيطان العرضَ نفسه للمسيح في البرِّيَّة:

"ثمَّ أصعده إبليس إلى جبلٍ عالٍ، وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان. وقال له إبليس: "لك أُعطي هذا السُّلطان كلَّه ومجدهنَّ؛ لأنَّه إليَّ قد دُفع، وأنا أُعطيه لمن أُريد. فإن سجدتَ أمامي، يكون لك الجميع". فأجابه يسوع وقال: "اذهب، يا شيطان! إنَّه مكتوب: 'للربِّ إلهك تسجد، وإيَّاه وحده تعبد'" (لوقا ٤: ٥- ٨).

إنَّ موسى ترك كلَّ شيء. ويعقوب ويوحنَّا تركا شِباكهما- مهنتَهما وعملهما و"عالَمهما"- كي يتبعا الربَّ يسوع. وبولس ترك كلَّ شيء في حياته السابقة، واعتبر كلَّ ما كان ممكنًا أن يُفاخر به نُفايةً في ضوء معرفة المسيح. كما أنَّ يسوع نفسه- وهو ما كان ليطلب منَّا بتاتًا أيَّ شيء لم يفعله هو أوَّلاً- ترك السماء ليأتي إلى هذا الكوكب الساقط ويُقيم بين البشر الخُطاة. فهذا جزءٌ من دعوتنا: أن نكون على استعداد لترك كلِّ شيء، لكي نربح المسيح.

أفكار / صلوات

أهنالك أيُّ شيء من العالم ما زال يحتلُّ جزءًا من قلبك؟ إذًا، سلِّمه إيَّاه. إنَّه إله غيور. فهو يريده كلَّه لكي يمكن أن يصير هو الكلَّ عندك.

إنَّ المعركة التي خيضَت لأجل قلب موسى تُخاضُ هي نفسُها لأجل قلب كلِّ مؤمن. والملائكة يُشاهِدون. فمَن سوف تحبُّ أنت؟ ومَن سوف تعبد أنت؟

"لا تحبُّوا العالم، ولا الأشياء التي في العالم. إن أحبَّ أحد العالم، فليست فيه محبَّة الآب: لأنَّ كلَّ ما في العالم- شهوةَ الجسد وشهوة العيون وتعظُّم المعيشة- ليس من الآب، بل من العالم" (١يوحنَّا ٢ :١٥ و١٦).

أيُّها الربُّ يسوع، أنا أعلم أنَّ لهذا العالَم جاذبيَّتَه. حرِّرني من فخِّ هذا النظام العالميِّ، وهو فخٌّ قد نصبه

العدوُّ لكي يحرمني معرفة كامل الغنى الذي هو فيك. إنَّ كلّ ما يمكن أن يُقدِّمه هذا العالم ليس شيئًا مُقارنةً بمعرفتي إيَّاك. حرِّرني، كما حرَّرتَ موسى، بجعلي أراك، يا مَن تُقيم في اللامنظور.

اليوم السابع والعشرون

نارُ الحُبِّ التي لا تُطفأ

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثامن

"اجعلني كخاتم على قلبك، كخاتم على ساعدك. لأنَّ المحبَّة قويَّة كالموت؛ الغيرة قاسية كالهاوية. لهيبها لهيب نار لظى الربّ. مياه كثيرة لا تستطيع أن تُطفئ المحبَّة، والسيول لا تغمرها. إن أعطى الإنسان كلَّ ثروة بيته بدل المحبَّة، تُحتقر احتقارًا."

نشيد الأنشاد ٨: ٦ و٧

على مدى أيَّام، انهمرَت على جبال صِهيَون أمطارٌ شتويَّة غزيرة جدًّا، فأخَّرت رحيل سليمان إلى أريحا. ولكنْ أخيرًا تبدَّدت الغيوم وارتفعت درجات الحرارة، مُفسِحةً لدفء الشَّمس.

فقال سليمان: "غدًا، يجب أن أنطلق في سفرتي." وكان يترقَّب هذه الرحلة إلى واحد من مواقعه المُفضَّلة، ولا سيَّما للاستحمام مرَّةً جديدة في النَّبع والواحة الغنيَّين في أريحا. "تعالَي معي حتَّى قمَّة جبلِ الزَّيتون، ولنغتنم هذه الفرصة لقضاء وقت في الهواء الطَّلق. يمكننا أن نتمتَّع بتناوُل وقعة طعامٍ، ونتلقَّى جمال مدينة القدس والجبال المحيطة بها."

وكنتُ مُتشوِّقة إلى مرافقته، فوافقتُ حالاً.

في اليوم التالي، غادرنا القصر نحنُ الاثنين، وقطعنا مسافة الطريق البالغة ميلاً ونصفًا سيرًا على الأقدام صعودًا، يواكِبنا حَرَس الملك الخاصّ. وتوقَّفنا قرب قِمَّة الجبل، حيثُ بسَطنا حِرامًا. هنالك تشاركنا في وجبة بسيطة، ونحن نتشرَّب المنظر الرائع، مُتنشِّقين الهواء المُنعِش ومُستمتعَين بالحديث

الخالي من الهموم.

وبعدما قضَينا هناك ساعةً أو ساعتين، قال لي الملك: "يجب أن أُغادِر الآن. سيُرافقكِ حُرَّاسي رجوعًا إلى القصر."

فقلتُ: "ليس هذا ضروريًّا، حبيبي. الطَّقسِ اليوم جميل، وأنا أُفضِّل أن أتمشَّى. سأكون بخير. لا تقلق عليَّ." وتغضَّن وجهُه همًّا، فضحكتُ حيالَ القلق البادي عليه، وقلتُ: "لم أكُن دائمًا ملكة، كما تعلم. فأنا أستطيع أن أمشي وحدي بلا خوف. ثُمَّ إنَّ خدامك قريبون دائمًا." وقد رقَّ صوتي، إلاَّ أنَّه لم يفقد شيئًا من ثقته، إذ رفضتُ عرضه. وأردفت: "كلُّ ما أطلبه منك هو هذا: اجعلني كختم على قلبك، وكختم على ذراعك، في أثناء غيابك."

"أنتِ تعلمين أنّني سأفعل هذا، حبيبتي. فقلبي لن يخفق خفقةً واحدة دون أن يتذكَّركِ؛ وكختمٍ على ذراعي يراه الجميع، لن يكون أدنى شكٍّ بأنَّ في حياتي حبًّا واحدًا فقط، وذلك هو أنتِ." هكذا قالَ برقَّة، ثُمَّ قبَّلني مودِّعًا.

وناوله واحد من حرسه الملكيِّ زمامَ جواده. فامتطاه الملك، ثُمَّ مضى مع فرقة العسكر المرافقة له. وإذ توقَّف عند قمَّة الجبل، التفت ولوَّح بيده، ثُمَّ غاب عن نظري على التلَّة.

باشرتُ هبوطي عن الجبل على الدَّرب المتعرِّج المؤدِّي إلى المدينة. وقد ملأ الفرح قلبي، وزيَّنت وجهي ابتسامةٌ لطيفة. وكانت أفكاري تدور حول الملك. أنا متزوِّجة من شاعر. إنَّه بارعٌ في نظم الكلام. حتَّى إنَّني، بين الفَينة والأُخرى، أطلقتُ قهقهةً مُفاجئة في أثناء سيري، مُستذكرةً بعضًا من نوادره المُضحكة جدًّا.

ولمَّا اقتربتُ من المدينة، قطع تركيزي فجأةً صوتُ حَشد مُقبِل نحوي. فرفعتُ نظري لأرى ماذا كان ذلك. وسرعان ما أدركتُ أنَّه موكب جنازة. وقد كان المُشاركون في طريقهم إلى المقبرة الواقعة خارج المدينة على المنحدر الشرقيِّ من الجبل. وبات العويل والبكاء أعلى فأعلى، حتَّى وصل النائحون إلى مسافة قريبة جدًّا منِّي بحيثُ اضطُرِرت أن أحيد عن الطريق ليمرُّوا.

وفيما هم يمرُّون، تركَّزت عيناي على الجُثمان. وقد كان مُكفَّنًا بالكتَّان وموضوعًا على نعش يحمله أربعة رجال أقوياء. فغمر الحزن أفكاري التي كانت محصورة بالفرح، وإذ أحسستُ الألم والخسارة اللَّذين ساورا العائلة والأحبَّاء الذين لن يرَوا تلك النفس الراحلة في ما بعد.

وإذ أوقفتُ واحدًا من السائرين عند أطراف الموكب، استفسرتُ: "مَن كان هذا الشخص، وكيف انتهت حياتُه؟"

فعلمتُ أنَّه كان شابًّا من خلفيَّةِ فلاَّحين. وقد كان يسير في وادي قِدرون لمَّا اكتنفَته السيول الجارفة الناجمة عن طُوفان مُفاجئ جرى في الوادي على أثر الأمطار الغزيرة.

وتابع الموكب زحفه نحو المقبرة، فدرتُ واستأنفتُ سيري رجوعًا إلى القصر. وعلى مدى بضع دقائق، فكَّرتُ مليًّا في مقابلة الموت غير المُتوقَّعة تلك التي قاطعت يومًا بهيجًا لولاها. وأخيرًا استسلمتُ، إذ لمستُ عجز العقل البشريِّ عن فهم إحدى أحاجيِّ الحياة العُمقى، أو عن حلِّها. وبالتدريج، عاد إليَّ سلامي وفرحي إذ تحوَّلَت أفكاري رجوعًا إلى الملك.

بدت لي عظَمة حبِّ سليمان تقريبًا أُحجيَّةً عميقة كأُحجيَّة الموت. وكنتُ قبل ذلك بمدَّة طويلة قد تخلَّيت عن هذه الفِكرة: أنَّ قبضتي، مهما كانت صغيرة، يمكن أن تُقيِّد يومًا قوَّة حُبِّه الجبَّارة. فإنَّ حبَّه سيبقى قائمًا كلَّ حين، وهو مبذولٌ بسخاء دون مُقابِل. ولا يمكن أن يُشترى. كما أنَّه ثابت، غير مُتغيِّر، لا يفتُر. وهو لا يتوقَّف على حُبِّي له. فكنورٍ متوهِّج، ما برح حبُّه يجذبُني إلى شخصه، مُستخرِجًا منِّي في المقابل حُبًّا أكثر فأكثر.

وفجأةً اخترقت ذهني فكرةٌ جديدة، فشهقتُ كما لو أنَّني كنتُ ألتقِط لمحةً إلى قلب الأبديَّة. "يقينًا أنَّ حبَّ محبوبي لي لا بدَّ أن يكون إلهيًّا، غرسَهُ **الله** نفسُه داخل صدره. فهو كلهيبِ نارِ **الله!** إنَّ هذا الحبَّ أبديٌّ، ولا يمكن إخمادُه على الإطلاق. وهو لن يسقط أبدًا. إنَّه قويٌّ كالموت! فما إن يمسك الموت واحدًا من أسراه، حتَّى يصيرَ ذلك سجينَ الموت إلى الأبد ولا يُطلَق أبدًا. هكذا حال حُبِّ حبيبي لي! فقد صرتُ سجينةَ حبِّه الطوعيَّة، وهو لن يُرخيَني أبدًا!"

آنَذاك ألفَيتُ نفسي راكضة تقريبًا إلى الجسر الممتدِّ فوق وادي قِدرون والمُفضي إلى المدينة. فتسارعَت دقَّات قلبي. وإذ نظرتُ من الجسر إلى الأسفل، رأيتُ المياه المُنحسِرة التي خطِفَت قبل بضعة أيَّام حياةَ الشابِّ الذي كان محمولاً الآن إلى قبره. ثُمَّ وافاني إعلانٌ قويٌّ ثانٍ:

المياه الكثيرة لا تستطيع أن تُطفئ الُحبَّ. والسيول الجارفة لا تغمره.

فصرختُ بصوتٍ عالٍ: "نعم، صحيح! المياه الكثيرة لا تستطيع أن تُطفئ نيران هذا الحبِّ الإلهيّ. ولا يمكن أن يُغمَر إلى الأبد: فهو يُشبِه حتَّى الصُّخور في الوادي تحتُ. ففي الأخير، سوف تنحسِر المياه، وسوف نرى ما كان هنالك دائمًا! إنَّ الحبَّ لا بدَّ أن ينبعث!"

ثُمَّ وصلتُ إلى أبواب القصر مُنهكةً.

وإذ تراجعتُ هُنَيهةً، توقَّفتُ ونظرتُ عبرَ الأبواب إلى البناء الرائع. لقد استغرق بناؤه ثلاث عشرة سنة. وكان مصنوعًا من الحجارة الكبيرة الغالية وأجود الأرز من لُبنان، وقد أبدعَته أيدي الصُنَّاع والنقَّالين والنحَّاتين والمُشرفين الذي بلغ عددُهم أُلوفًا على عشرات الأُلوف. ثُمَّ نُقِش في قلبي إعلانٌ ثالث، كما لو أنَّ مطرقة نحَّات هَوَت على صخر.

"هذا القصر، والغنى، وكلُّ شيء... جميعًا أشبهُ بالبُخار. فذلك كلُّه لا شيء تمامًا، مُقارنةً بالحبّ. فلتكُن هذه كلُّها مُحتقرةً احتقارًا. إنَّ هُنالك فقط جائزةً واحدة، مطلبًا واحدًا، شيئًا واحدًا وحدَه يستحقُّ أن يُعاشَ لأجله. فلأعِش كي أعرِفَ ما هو أبديّ. لأعِش كي أعرف حُبَّه!"

نِقاط للتأمُّل

عند هذا الحدِّ في النشيد، نرى امرأةً نَمَت حقًّا في معرفتها للحبّ. فإنَّ الشولميَّة قد صارت امرأة واثقة مطمئنَّة. إذ إنَّها مستريحة في مقدِس حُبِّ سليمان وأمانه. فلا خوفَ لديها في الحبِّ، ولا شكّ. وهي تدرك أنَّ حبَّه حبٌّ إلهيٌّ أضرمه لهيبُ نار الله ذاتُه. وإذ نستعير تعليق الرسول يوحنَّا على محبَّة **الله** في ١يوحنَّا ٤: ١٦، نقول إنَّها لم تبلغ فقط معرفة الحُبِّ الذي لدى سليمان لها، بل صدَّقت أيضًا ذلك الحبّ.

وقد اكتشفت الشولميَّة أيضًا أنَّه كما الموتُ مُهَيمن تمامًا بحيث لا يُرخي أبدًا قبضته عن أيِّ واحد من أسراه فكذلك الحبُّ أيضًا!

ولم يكن حبُّ سليمان فقط قويًّا كالموت، بل كان حبًّا غيورًا أيضًا. فقد أعطى **الله** سليمان "غنًى وأموالاً وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين [قبله]، ولا يكون مثلها للملوك الذين [بعده]" (٢أخبار ١: ١٢). ورغم ذلك كان غيورًا على شيء صغير جدًّا. لقد كان غيورًا على قلبِ امرأة!

وهذا أيضًا ليس إلاَّ صورة عن غَيرة **الله** علينا. فإنَّ الغَيرة الإلهيَّة، كنار لا تُطفأ، تقف عند باب قلوبنا بانتظارِ أن تلتهم جميع المُنافسين. فهذا الحبُّ القويُّ الغيور الذي لا يُطفأ هو في صميم كينونة **الله** تمامًا. وهو يضطرمُ كشعلة شديدة الشَّغف، لا تُطفأ.

"مياهٌ كثيرة لا تستطيع أن تُطفئ المحبَّة، والسيول لا تغمرها." فلا المِحَن ولا الضيقات تستطيع أن

تفصلنا عن محبَّة **الله**.

"مَن سيفصلنا عن محبَّة المسيح؟ أشدَّةٌ أم ضيقٌ أم اضطهادٌ أم جُوعٌ أم عُريٌ أم خطرٌ أم سيفٌ؟ كما هو مكتوبٌ: "إنَّنا من أجلِكَ نُماتُ كلَّ النَّهار. قد حُسِبنا مثل غنم للذَّبح". ولكنَّنا في هذه جميعِها يعظُمُ انتصارُنا بالَّذي أحبَّنا. فإنِّي مُتيقِّنٌ أنَّه لا موتَ ولا حياةَ، ولا ملائكةَ ولا رؤساءَ ولا قُوَّاتِ، ولا أمورَ حاضرةً ولا مُستقبلةً، ولا عُلوَ ولا عُمقَ، ولا خليقةَ أُخرى، تقدِرُ أن تفصِلَنا عن محبَّة **الله** التي في المسيح يسوع ربِّنا" (رومية ٨: ٣٥- ٣٩).

تعلن الآية في نشيد الأنشاد ٨: ٧ أنَّه "إن أعطى الإنسان كلَّ ثروة بيته بدل المحبَّة، تُحتقر احتقارًا." فلا يمكن أن نشتري هذه المحبَّة أو نُقايض عليها. إنَّها لا تُكتسَب نظيرَ مُقابِل. لقد كانت هبة **الله** المجَّانيَّة لنا، وقد صارت لنا لمَّا صرنا نحنُ له.

ما برِحَ كثيرون يحاولون أن يصفوا محبَّة **الله** بالكلام أو الترنيم أو الشِّعر أو الصلاة. وقد التقط فردريك لِهمان مُجرَّد قَبَس من نارها التي لا تُطفأ في ترنيمة كتبها بعد مُنقلَب القرن العشرين، عنوانها "محبَّة **الله**":

محبَّةُ **الله** أسمى من أن يُعبِّر عنها لسانٌ أو قَلَم.

إنَّها تعلو على أعلى النُّجوم،

وتنزل إلى قاعِ الجحيم.

الزَّوجان المُذنبان اللذان حناهما الهمُّ والغمّ،

بذل **الله** ابنَهُ لردِّهما وإعطائهما النِّعَم.

وابنُه الضالُّ صالحَهُ،

وبخطاياه سامحَهُ.

محبَّة **الله** ما أغناها وأنقاها!

كم لا تُقاسُ وما أقواها!

سوف تبقى إلى دهر الداهرين

ترنيمةَ الملائكة والقدِّيسين.

لو جعلْنا المُحيطَ بالحبر مغمورا،

وأحلنا السماواتِ رَقًّا منشورا،

وكانت كلُّ عُشبةٍ على الأرض قَلَما،

وصار كلُّ إنسانٍ كاتبًا مُلهَما،

لنشَّفَت كتابةُ محبَّةِ **الله** في السَّما

كلَّ ما في المُحيط فبات مُعدما،

ولضاق الرَّقُّ عن احتواء المُقتضى

حتَّى لو مُدَّ من فضاءٍ إلى فضا!

سلاه! (لفظة عبريَّة تعني: "تأمَّل هذا؛ فكِّر مليًّا في هذه الأُمور".)

يا ربّ، أبقِني في قبضة محبَّتك التي هي كالموت، ولستُ أريد أبدًا أن أفلِت منها! لتَحم غيرتُك قلبي وتلتهمْ جميع المحبَّات المُنافِسة. شُكرًا لك، يا ربّ، من أجل المِحَن التي أُواجهُها. استخَدِمها للبرهنة على أنْ لا شيء يمكن أن يفصلني عن محبَّتك. إنَّني أختارُ أن أُصدِّق أنَّ هذا هو نوع المحبَّة التي لديك لي. اجعل لساني قلم كاتب ماهر متأهِّب للتكلُّم عن محبَّتك الفائقة. ساعدني كي أكتب فصلاً فريدًا في قصَّة حُبِّك التي لا يُسبَر غورها.

“أرى بوضوح أنَّه بسبب ضآلة تمرُّسنا في محبَّة الله بتنا نعتقد أنَّ النفس لا تستطيع أن تتكلَّم مع الله بتعابير كهذه.”

القدِّيسة تيريزيا الأﭬيليَّة، القرن السادس عشر، تعليقًا على نشيد الأنشاد

اليوم الثامن والعشرون

أُختُنا الصَّغيرة

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثامن

"لنا أُختٌ صغيرة، ليس لها ثديان. فماذا نصنع لأُختنا في يوم تُخطَب؟ إن تكُن سورًا، فنبني عليها بُرج فضَّة؛ وإن تكن بابًا، فنحصرها بألواح أرز. أنا سورٌ وثدياي كبُرجَين؛ حينئذٍ كنتُ في عينيه كواجدةٍ سلامة."

نشيد الأنشاد ٨: ٨- ١٠

بينما الملك ما يزال غائبًا، تلقَّيتُ رسالة غير متوقَّعة من أُمِّي. كانت الرسالة وجيزة، وقد جاء فيها: "يجب أن آتي إلى مدينة القدس. هناك مسألة طارئة يجب أن أبحثها معكِ."

ففي الحال أمرتُ بعض الحَرَس بمغادرة القدس، والذَّهاب إلى أُمِّي، والإتيان بها إلى القصر بسلامة.

وفي المساء التالي، أعلن أحد الخُدَّام قدومها. فركضتُ إلى الباب لأُرحِّب بها، وابتسمتُ لرؤية وجهها المألوف الذي تبدو عليه آثار التقدُّم في السنّ. وتعانقنا مُتبادِلتَين القُبَل على الخدود.

غير أنَّ أُمِّي لم تكُن وحدها. إذ كان إلى جانبها بنتٌ نحيلة رثَّة الثياب، لها نحو اثنتي عشرة من العمر.

وإذ لفَّت ذراعها حول كتفَي الفتاة الصغيرة، قالت: "هذه ابنة أبيجايل وإرِز، اثنَين من أعزِّ أصدقائي، وهي من قريتنا."

جثَوتُ بجانب الفتاة، وأمسكتُ بيدها. وسألتُها: "ما اسمُكِ؟" مُحاوِلةً أن أنظُرَ داخِل عينيها البُنِّيَّتين

البرّاقتين.

فظلَّت الفتاة مُطرِقة الرأس، ولم يكُن جواب.

وسألت: "أُمَّاه، ماذا جرى؟"

"علق أبو الفتاة وأُمُّها في نارٍ أحرقت بيتهما وسوَّته بالأرض. وبطريقة مَّا، تمكَّنت الفتاة من النجاة. ولكنْ لا أدري أبدًا كيف نجت. إنَّها الآن يتيمة. لا أقرباء لها، ولا بيت، ولا مكان تذهب إليه."

التهمَ الحزن قلبي من أجل الفتاة. ومددتُ يديَّ فاحتضنتُ بهما خدَّيها وطبعتُ قبلة على جبينها. إلاَّ أنَّها لم تتحرَّك، ولا همَّت بالفرار.

فنظرتُ إلى أُمِّي مجدَّدًا، وقلتُ لها: "شكرًا على مجيئكِ، يا أُمِّي. سأتكلَّم إلى سليمان بشأنها عندما يرجع. ألِهذه الفتاة الصغيرة أيُّ ملابس، أو أيُّ تذكارات؟"

أجابت أُمِّي: "لا شيءَ من هذا."

فابتسمت. "قريبًا جدًّا سيكون لها كثير. في وسعكِ أن تتركيها معي."

ناشدتُ أُمِّي أن تبقى مدَّة، ولكنَّها أصرَّت على وجوب المغادرة غدًا. فقد فضَّلت حياتها البسيطة المألوفة في القرية، تلك التي كانت صعبة لكنْ معروفة المجرى، على ثراء بلاط الملك ونمط حياة مُربِك لها.

على مدى الأيَّام القليلة التالية، كرَّستُ نفسي للفتاة الصغيرة. وسرعان ما نشأ بيننا رباطٌ متين. فقد وُلِد في قلبي حبُّ تلك الفتاة.

ولمَّا رجع سليمان، حيَّيتُه بحرارة، قائلةً: "جيِّدٌ أنَّك رجعتَ."

فأجاب: "وجيِّدٌ أن أرجع. فلأغتسِل وآكل لُقمة. ثمَّ أُخبركِ بعض الأخبار المثيرة عن رحلتي."

ورجع بعد نحو ساعة، فجلسنا نحن الاثنَين إلى طاولتنا المعهودة. وأتى خادم سليمان بكأس ماء بارد، مع طبَق عليه أنواعٌ من الخبز والجبن والفاكهة. وأصغيتُ بانتباه إذ روى مآثِرَه كلَّها. حتَّى إذا انتهى، سأل: "وأنتِ، حبيبتي، كيف كانت أحوالكِ؟ هل حدث هنا أيُّ شيء مثير في أثناء غيابي؟"

فأجبت: "نعم، بالحقيقة، حدث شيءٌ ما." ثمَّ رويتُ بالتفصيل قصَّة الفتاة الصغيرة التي أحضرَتها أُمِّي إليَّ."

وسأل سليمان: "اين البنت الآن؟"

فأجبت: "سآتي بها."

وإذ تركتُه عند المائدة، مضَيتُ لحظةً وعُدتُ بالصغيرة إليه. كانت لابسة ثوبًا أحمر جميلاً صنعتُه لها من الكتَّان الفاخر المُوشَّى بشيء من الذهب والفضَّة. وكان شعرها مُفَرشى بترتيب. ما عادت تبدو كبنت مُشرَّدة، بل بدت كفتاة تنتمي إلى القصر.

وقفَت الفتاة بجانبي، مُتشبِّثةً بيدي في شبهِ ذُعرٍ وسُعر.

قلتُ: "هذه شيريل." وانحنَت البنتُ بتوتُّر.

فارتسمت حالاً ابتسامةُ ترحيب على وجه الملك. ومدَّ كِلتا يديه. "تعالي، يا بُنيَّتي، واجلسي بجانبي. واحكي لي قصَّتكِ."

فكان حبٌّ من أوَّل نظرة بالنسبة إلى الملك أيضًا. وإذا بيتيمةٍ صغيرة قدِ ارتبطت توًّا بحاكم الأُمَّة كلِّها!

وبعدما تحادثنا هُنيهةً، صرفنا الفتاة الصغيرة إلى رعاية إحدى الخادمات، ثمَّ باشرْنا- سليمان وأنا-

مُناقشة مُتطاوِلة. وقد تكلَمتُ أنا أوَّلاً، باسطةً الوضع كلَّه كما رأيتُه.

بادرتُ قائلةً: "لنا أختٌ صغيرة. ستُلاحِظ أنَّها لم تُزهِر بعد. فليس لها ثديان. وهي غير مُدرِكة. ولكنَّني بتُّ أُحبُّ هذه الفتاة الصغيرة. فأنا أُريد لها أن تتربَّى معنا. وأُريد لها أن تتزوَّج ذات يوم من شابٍّ وسيم، وأُريد أن أُعِدَّها لليوم الذي فيه تُطلَب يدُها."

فقال الملك: "حسنٌ جدًّا. ولكنْ إلى أيِّ مدًى تعرفينها جيِّدًا؟ فكيف تنوين أن تُربِّي البنت؟"

عاد فكري إلى السِّنين التي قضيتُها في القرية، إلى جميع صديقاتي هناك، فطرفَت عيناي، وقلت: "ثمَّة أساسًا نوعان من الصغيرات، سيِّدي. فأوَّلاً، هناك مَن هُنَّ أسوار. هؤلاء هنَّ البنات اللواتي يقُلن 'لا' لكلِّ شيء. فهُنَّ لسن معنيَّات بالصِّبيان فوق الحدّ، وسيُقِمن سدَّ مقاومة أمام أيِّ مُبادرات غير لائقة. ومن الناحية الأُخرى، هنالك مَن يُشبِهن الأبواب. فأيُّ شخص أراد أن يأتي إليهنَّ، يُدخِلنَه. إنهنَّ يلقَين صعوبةً في أن يقُلنَ 'لا' لأيَّة مُراوَدة."

ثُمَّ تابعتُ قائلة: "إذا كانت البنت الصغيرة سُورًا، فسنُعزِّز حمايتها والدِّفاع عنها. سنبني عليها برج فضَّة. وإذا كانت بابًا، فسنُحصِّنُها بألواحٍ من الأرز ونحرسها، مُتيقِّنَين بألاَّ تُستغَلّ."

استطعتُ أن أُلاحِظ أنه كان مصغيًا إليَّ بانتِباه، وعرفتُ من التقدير البادي في عينيه أنَّه كان مُستمتِعًا بتشبيهي الرمزيّ. فإنِّي كنت قد بدأت أتكلَّم على غِراره، كما علمتُ ذلك جيِّدًا! ولكنَّني تابعتُ قائلةً: "لقد تربَّيتُ كسُور، يا مليكي. كان في قريتي شبَّان كثيرون يرنون إليَّ بشوق وكانت لهم خُطَط وأهداف بأن يجعلوني خاصَّتهم، ولكنَّني أردتُ أن أحفظ نفسي طاهرة. أردتُ أن أصونَ نفسي للرَّجُل الذي اختاره لي الله وألَّا أرضى بأيِّ شيء أقلّ. والشُّكر لله لأنَّ ذلك الرجل كان أنت! فأنا أُريد أن أُربِّيَ هذه البنت الصغيرة بالطريقة نفسها. أُريد لنا أن نتمكَّن من إهدائها عذراءَ عفيفةً إلى الشابِّ الذي سوف يصير هو 'الحبيب' في حياتها. سيقتضي ذلك جهدًا منك ومنِّي، ولكنَّه أمرٌ نستطيع أن نفعله معًا."

فقال الملك: "إذا كان لرجل آخر ذات يوم أن يحوز الفرح الذي أعطيتِني أنت إيَّاه، فسيسرُّني أن أبذل المجهود. فإنَّ أسمى تعبير عن الحبِّ ليس فقط أن نحبَّ شخصًا آخر ويحبَّنا، بل أن نوسِّع دائرة الحبِّ لتشمل آخرين أيضًا. لقد أتيتِ بهذه الفتاة الجميلة إلى حياتنا. وقد جعلتِها خاصَّتكِ. والآن هي خاصَّتُنا كِلَينا."

فامتلأتُ ابتهاجًا!

ومن جديد، ألفَيتُ نفسي مُتكلِّمةً بتعابير بيانيَّة رمزيَّة، سالكةً سبيلَ كلماتهِ الخاصَّة المطروقَ جيِّدًا. "قلتَ لي سابقًا إنَّ ثدييَّ يُشبِهان ولَدَي ظَبي. أمَّا اليوم، فأودُّ أن اقول لك إنَّهما أكثر من ذلك. فقد أصبحا كبُرجَين يقطران لبنًا. إذ إنَّ لديَّ غذاءً أبذلُه ليس لك وحدَك، بل لآخرين مثل هذه الفتاة أيضًا. إنَّني على استعداد لتوسيع دائرة الحبّ.

"كنتُ في ما مضى فتاةً لم تستطع- كسائر الفتيات اللواتي يقعن في الحبِّ بجُنون- إلاَّ أن تُفكِّر في موضوع حبِّها وحدَه. وذلك كان أنت. فقد أهملتُ صديقاتي، وتغاضيتُ عن مسؤوليَّاتي. إذ خُطِفتُ إلى عالَم عُلويٍّ قِوامُه نحنُ كِلانا فقط. ولا بدَّ أنَّ ذلك كان على وجهه الصحيح. أمَّا الآن، فقد نَموتُ في الحبِّ، يا مليكي.

"فرغمَ علمي بأنَّك تحبُّني حُبًّا لا يحدُّه قيدٌ أو شرط، وقد نَموتُ لأُحبَّك بالطريقة عينها، فإنَّ الحبَّ الإلهيَّ الأبديَّ غير المخلوق، ذاك الذي هو في حضن الله- والآنَ في حضنك وحضني- لا يعرف أيَّ حدود. إذ يمكن أن يُمحَض بأمانةٍ وشمول لشخص واحد فقط، فيما يفيض في الوقت نفسه إلى الآخرين."

حدَّق الملك إليَّ، وابتسم قائلاً: "أنا مُعجب بكِ. إنَّك تؤتينني سرورًا فائقًا. نعم، هذا أمرٌ سنفعله معًا، يا

حبيبتي. سنحتضن هذه الفتاة. وسنُربِّيها معًا. سنُعِدُّها لكي تُقابل مليكها الخاصَّ ذات يوم.”

نِقاط للتأمُّل

كان المسيح هو الله- الإنسان. فلم يكُن له فقط حبٌّ كامل للآب، بل كان له أيضًا حبٌّ كامل للجنس البشريّ. وهو لم يتعثَّر قطُّ في أيٍّ منهما.

“وسأله واحد منهم، وهو ناموسيٌّ، ليُجرِّبه، قائلاً: “يا معلِّم، أيَّة وصيَّة هي العظمى في الناموس؟” فقال له يسوع: “تحبُّ الربَّ إلهك من كلِّ قلبك، ومن كلِّ نفسك، ومن كلِّ فكرك. هذه هي الوصيَّة الأُولى والعظمى. والثانية مثلها: تحبُّ قريبك كنفسك. بهاتين الوصيَّتين يتعلَّق الناموس كلُّه والأنبياء” (متَّى ٢٢: ٣٥- ٤٠).

كانت الشولميَّة، منذ عهد قريب، قد غُمِرَت بلمحة إلى داخل الأبديَّة. فقد رأت أنَّ هذا الحبَّ الإلهيَّ الأبديَّ الذي اختبرَته كان قويًّا كالموت. إنَّه ما كان قطُّ ليُرخيَ واحدًا من أسراه، وهي كانت سجينتَه. فعندما يمتلئ المرء بمصدر كلِّ حبّ، لن يُعلِن ذلك الحبُّ ذاته بطريقة أنانيَّة. إذ إنَّ ذلك الحبَّ سيفيض خارج حدوده وينصبُّ داخل حياة الآخرين. وهذا هو ما نراه لدى الشولميَّة وموقفها من الأخت الصغيرة.

لقد بلغت الشولميَّة مستوًى من النُّضج الروحيِّ حيثُ الحياةُ داخلَ المحبوب وحياتُها الخاصَّة صارتا مُتداخلتَين كلِّيًّا. إنَّ خُلُقها قد صار خُلقَه. وغايته قد صارت غايتها. فالشولميَّة كانت مهتمَّة بأُختها الصغيرة، وهكذا كان سليمان.

ولمَّا تكلَّمَت، لم يكُن ذلك لتقول: “لي” أُختٌ صغيرة، بل “لنا” أُخت صغيرة. ولا كانت لتسأل: ماذا “أفعل” لأُختنا؟ كما لو كان هنالك شيءٌ أمكنها أن تفعله بمعزلٍ عنه. ولا كان السؤال: ماذا ستفعل “أنت” لها؟ كما لو كان الأمر كلُّه يتعلَّق به ولا دورَ لها هي البتَّة.

في يوحنَّا ١٤: ٩، قال المسيح: “الذي رآني فقد رأى الآب.” فإنَّ المسيح هو الصورة التامَّة لله ظاهرًا في الجسد. وقد كان كحبَّة حنطة، إذ وعد بأنَّه إذا وقع في الأرض ومات، يقوم حيًّا من جديد ويأتي بثمر وفير. ومن شأن الثمر أن يكون نسخة مطابقة للأصل. فهو كان البِكر بين إخوة وأخوات كثيرين.

ما برِح قصد الله الأزليُّ كلَّ حين أن يوسِّع دائرة العائلة السماويَّة. فإنَّه يُريد أن يمدَّ ما يقوم داخل الثالوث الإلهيّ- الآب والابن والروح القدس- من حياة وشركة ومحبَّة مُشتركات إلى جنس بشريٍّ مَفديّ.

ونرى في الشولميَّة الثمر الناضج الذي جاء من البذرة الأصليَّة، ناضجًا وكاملاً ووادعًا. فهي الآن مستعدَّة تمامًا لأن تبذل حياتها لشخص آخر فضلاً عن سليمان.

ما هو الدليل على كون حبِّ المرء لله أصيلاً؟

هاك مثلاً من كتاب العهد الجديد. فعلى أثر الصَّلب، في فَطور على شاطئ البحر، أطعم المسيح القائم تلاميذه خبزًا وسمكًا (يوحنَّا ٢١). ثمَّ أفرد بطرس وسأله السؤال المؤثِّر نفسَه ثلاث مرَّات: “يا سمعان بن يونا، أتحبُّني؟”

كانت أجوبة بطرس ضعيفة، إذِ افتقرت إلى الثِّقة. فإنَّه كان منذ عهد قريب قد أنكر الربَّ ثلاث مرَّات. ولم يعُد في وسعه أن يتباهى بأنَّه يحبُّ الربَّ كفايةً بحيثُ يموت لأجله. لقد بات إنسانًا منكسرًا.

وعلى الرُّغم من ذلك، قال له المسيح: "ارعَ غنمي،" (أو "أطعِم حملاني".)

فإذا سألك المسيح- وهو عالِمٌ بإخفاقاتك وضعفاتك في الماضي- السؤالَ الذي طرحه على بطرس بعينه، فبماذا تُجيبه؟ لعلَّك لا تستطيع أن ترتقيَ إلى المُناسبة كما لم يستطع بطرس؛ ولعلَّك لا تستطيع أن تُقدِّم للربِّ الجواب الذي تتوقَّع أنَّه يودُّ أن يسمعه منك. وربَّما كان جوابَك شيءٌ من هذا القبيل: "نعم، أنا أُحبُّك، يا ربّ. ولكنَّني لا أعلم هل أُحبُّك كفايةً بحيثُ أكون مستعدًّا للموت من أجلك. ففي قرارة نفسي، أنا أعلم أنَّني لا أُحبُّك بالحبِّ الكامل الذي به تحبُّني أنت." ذلك كان جواب بطرس.

أخيرًا، بعدما سُئل بطرس السؤالَ نفسه ثالث مرَّة، اضطُرَّ أن يقول صاغرًا: "يا ربّ، أنت تعلم كلَّ شيء."

غير أنَّ المسيح لم يكن مُنتظِرًا الجواب المثاليَّ. فرُغم كون بطرس قد أخفق إخفاقًا ذريعًا، رأى المسيح فيه البذرة السماويَّة. لقد علم أنَّه كانت في بطرس حياةٌ لا بدَّ أن تقوم. فعندما تكتمل تلك الحياة، يغدو بطرس قادرًا على الإثمار.

أفكار/ صلوات

أخي العزيز، أُختي الفاضلة، ما كُنتما لتصلا إلى هذا الحدِّ في هذا الكتاب لو لم تكونا تحبَّان الربّ. فالسؤال هو: أين مَنفذ تلك المحبَّة؟ أين "أُختكما الصغيرة"؟ من هم الحمْلان الذين يريد الربُّ منكما أن تُطعِماهم؟

اليوم التاسع والعشرون

الإصغاء إلى كلمة الله

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثامن

"كان لسليمان كرمٌ في بعل هامون، دفع الكرم إلى نواطير، كلُّ واحد يؤدِّي عن ثمره ألفًا من الفضَّة. كرمي الذي لي هو أمامي، الألف لك، يا سليمان، ومئتان لنواطير الثمر. أيَّتها الجالسة في الجنَّات، الأصحابُ يسمعون صوتكِ... فأسمعيني!"

نشيد الأنشاد ٨: ١١- ١٣

كان ثراء زوجي، الملكِ سليمان، يفوق الوصف. ولكنْ من بينِ جميع كنوزه المُدخَّرة الثمينة، ربَّما كان الكنز الذي ثمَّنه فوق كلِّ شيء هو تجميعَه الواسع النطاق للكُروم التي تمتدُّ من حدود البرِّيَّة المُفضية إلى مصر حتَّى جبال لبنان العُليا على طول الطريق.

وقد أجَّر الملك تلك الكُروم لكرَّامين يعتنون بالدَّوالي، ويقطفون العنب، ثُمَّ يؤدُّون له ألف شاقل من الفضَّة، مُحتفظين بمئتين لقاء أتعابهم.

ولم يكن نادرًا أن يصل سليمان، دون سابق إعلام، إلى واحد من كرومه، ومن ثمَّ يجمع الكرَّامين معًا كي يُصدِر إليهم تعليماته. وكان من شأنه أن يُعلِّمهم عن جميع نواحي الاعتناء بالكروم وإنتاج الخمر، من غرس الدَّوالي وتعهُّدها وتشذيبها، إلى دَوس الثمر الناضج وتخمير العصير وحفظه.

وكنتُ أنا غالبًا ما أُرافِقه في هذه الرِّحلات إلى المناطق الريفيَّة. فكُنت أُصغي إلى التعليمات التي يصدرها وأُشدَه حيال حكمته التي لا يُسبَر غورها؛ وكنتُ سريعة التعلُّم. وسرعان ما صرتُ أنا أيضًا

قادرة على تعليم الآخرين بشأن أسرار زراعة الكرمة وإنتاج أجود الخمر.

وذات يوم، فيما نحن جالسان معًا على تلَّة ذات إطلالة بانوراميَّة، مُشرِفة على واحد من كروم الملك الكبيرة، قلتُ لزوجي: "لقدِ استأمنتَني، يا مليكي، واثقًا بأن أعمل لك خيرًا كلَّ أيَّام حياتك. هذا الكرم واحدٌ من تلك الكروم التي أرسلتَني لشرائها. تأمَّلتُ حقولي، ولكنَّ التُّربة هنا كانت خصبة، والمُناخ جيِّد، وهذا الكرم كان الأفضل. وقد علَّمتُ الكرَّامين أن يعتنوا بالدَّوالي بالحكمة التي تعلَّمتُها منك. وأنت قد أكلتَ من أفخر الأعناب في هذا الكرم، وشربت من خمرته."

فقال الملك: "كرمٌ جميلٌ حقًّا، يا حبيبتي. لقد أحسنتِ صنيعًا. وثمر الكرمة من هذا المكان بين مُفضَّلاتي. إنَّما أودُّ أن تعلمي هذا الأمر الواحد: من بين جميع الكروم التي أُثمِّنها، واحدٌ يفوق الأخرى كلَّها؛ ألا وهو أنتِ، يا حبيبتي. فأنتِ أثمن من هذه كلِّها."

"وأنا أيضًا لديَّ كرمٌ واحد يعني لي أكثر من هذه الأميال من الدوالي الممتدَّة بعيدًا وراء ما يمكن أن تراه العين. إنَّه الكرم الذي يحوزُ عاطفتي العُليا، وذاك الذي سأُعنى بأدقِّ التفاصيل لأعتنيَ به. إنَّ كرمي، كرمي الخاصَّ، هو أمامي. إنَّه أنت، يا سليمان! وأنا سأعمل في سبيل هذا الكرم دون أُجرة ما دمتُ حيَّة. إنَّك لست مديونًا لي بشيء. فبهجتي أن أدعك تمتلك كلَّ شيء. فلكَ أن تأخذ الألف الشاقل التي هي دَينٌ لك، وفي وسعك أن تحتفظ بالمئتين أيضًا."

وفيما ضحك ضحكًا خافتًا، وعيناه مُتألِّقتان ابتهاجًا بي، أردفتُ: "عندي فعلاً بعضُ الشؤون الماليَّة التي أودُّ أن أبحثها معك بشأن هؤلاء الكرَّامين، يا مليكي. فقد بتُّ أعرف كثيرين منهم، والآن أعتبِرهم أصدقائي. وقد أصغيتُ إلى مشاكلهم. فلديهم حاجاتٌ كثيرة، ولكنْ أيضًا أفكار خلاَّقة كثيرة. إنَّني أعرف ظروفهم جيِّدًا. ولا بدَّ أنَّهم يودُّون أن يسمعوا منك شخصيًّا، إلاَّ أنَّهم يعرفونني بصفتي الناطقة بلسانك وسفيرتَك. فتكلَّم إليَّ، حبيبي، وقُل لي كلَّ ما ترغب أن تقوله لهم."

فقال: "بالحقيقة أنَّكِ طالما كنتِ مُصغِيةً جيِّدة كلَّ حين، يا حبيبتي. لقد جعلتِ كلامي كلامَكِ. فأنا أثِق بكِ مُمثِّلةً لي. فلستِ أنتِ فقط أفضل زوجة وحبيبة وصديقة يمكن أن يطلبها الرجُل على الإطلاق، بل أنت شريكةُ عمل ممتازة أيضًا. إنَّكِ تعرفينني. وتعرفين طُرقي. وتعرفين كيف أُدير شؤون مملكتي. فاذهبي الآن، وتكلَّمي إليهم بنفسكِ. استجيبي لهم بما هو على قلبكِ، لأنَّ قلبَكِ قد أصبح قلبي. لكِ بَرَكتي. اجعلي حياتهم مزدهرة. اجعلي كرومهم مُربِحة. اجلبي المجد لهذه المملكة التي أعطانا **الله** إيَّاها كي نتشارك في حكمها بصفتنا كرَّامَين عندَه."

نِقاط للتأمُّل

بعل هامون اسمٌ معناه "ربُّ جمهور".

لقد كان هناك الجالسون في البساتين، أصحابُها، وكانوا أيضًا يُصغون إلى صوت سليمان. ولكنَّ الشولمية طلبَت أن "**دعني** أسمعه!" فقد أرادت أن تسمع صوته حتَّى تتمكَّن **هي** من إيصال كلمته إلى أصحابها.

ما هي كلمة **الله**؟ من شأن الأكثرين، بديهيًّا، أن يجيبوا بأنَّها الكتاب المقدَّس، لأنَّهم هكذا عُلِّموا أن يُفكِّروا. وذلك صحيح جزئيًّا، لأنَّ الكتاب المقدَّس هو كلمة **الله** المكتوبة. ولكنَّ ذلك الجواب لن يصمد في الامتحان يومَ نرحل من هذا العالم ونُدخَل إلى حضرة **الله**. فهنالك سوف نقف وجهًا لوجه أمام كلمة **الله الحيِّ** الذي ليس أحدًا سوى الربِّ يسوع المسيح نفسه.

إنَّ الله إلهٌ مُتكلِّم. فالكتاب المقدَّس يبدأ به تعالى مُتكلِّمًا فمُبرِزًا الكونَ إلى الوجود. وفي كلِّ موضع من

كتاب العهد القديم كلّه، تكلّم إلى الأنبياء وإلى الناس. فقد تكلّم إلى آدم ونوح وإبراهيم، وموسى وصموئيل، وناثان وداود وسليمان، وإيليّا وأليشع، وإشعياء وإرميا، وحزقيال ودانيال، ويوئيل وهوشع، ويونان وميخا، وحجّي وزكريّا وملاخي، وغيرهم.

وفي إنجيل يوحنّا، يُعرَّف المسيح بأنّه "الكلمة" الذي "كان عند الله" والذي "كان... الله" (يوحنّا ١: ١) و"الذي صار جسدًا، وحلَّ بيننا" (يوحنّا ١: ١٤). فالله المُتكلّم اتّخذ له مُقامًا في جسمٍ بشريٍّ، في شخص ابنه.

"الحقَّ الحقَّ اقول لكم: إنَّ مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبديَّة" (يوحنّا ٥: ٢٤).

"الرُّوح هو الذي يُحيي؛ أمَّا الجسد فلا يُفيد شيئًا؛ الكلام الذي أُكلِّمكم به هو روح وحياة" (يوحنّا ٦: ٦٣).

"الله، بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطُرق كثيرة، كلّمنا في هذه الأيّام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثًا لكلِّ شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين" (عبرانيِّين ١: ١ و٢).

إنَّ لكلِّ نوعٍ من الأحياء لُغَةً يتواصل بها. والله ليس استثناءً. فلَه لغتُه الخاصَّة، وتلك اللُّغة هي ابنُه.

وفي سفر الأعمال يُقال لنا: "كانت كلمة الله تنمو" (أعمال ٦: ٧).

"فسمع الرُّسل والإخوة الذين كانوا في اليهوديَّة أنَّ الأُمَم أيضًا قبلوا كلمة الله." [لا يمكن أن يعني ذلك أنَّهم كلَّهم حصلوا على نُسَخ من الكتاب المقدَّس، لأنَّ الكتاب لم يكُن قد طُبع بعد. ثُمَّ إنَّ معظم المؤمنين في القرن الأوَّل كانوا أُمِّيين لا يعرفون القراءة!] (أعمال ١١: ١)

"وأمَّا كلمة الله، فكانت تنمو وتزيد" (أعمال ١٢: ٢٤).

وفي رسالة العبرانيِّين نقرأ:

"لأنَّ كلمة الله حيَّة وفعَّالة، وأمضى من كلِّ سيف ذي حدَّين، وخارقة إلى مفرق النَّفس والروح، والمفاصل والمخاخ، ومميِّزة أفكار القلب ونيَّاته. وليست خليقةٌ غيرَ ظاهرة **قدَّامه**، بل كلُّ شيء عريان ومكشوف **لعينَي** ذلك الذي معه أمرنا" (عبرانيِّين ٤: ١٢ و١٣، والتشديد من عندي).

وفي رسالة يوحنَّا الأُولى، يقول الكتاب:

"كتبتُ إليكم، أيُّها الأحداث، لأنَّكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم" (١يوحنَّا ٢: ١٤).

أخيرًا، جاء في سفر الرؤيا:

"ثمَّ رأيتُ السماء مفتوحة، وإذا فرَس أبيض، **والجالس** عليه يُدعى أمينًا وصادقًا، وبالعدل يحكم ويحارب. **وعيناه** كلهيب نار، وعلى رأسه تيجان كثيرة؛ **وله اسمٌ مكتوب** [عليه] ليس أحد يعرفه إلاَّ هو. وهو متسربل بثوب مغموس بدم، **ويُدعى اسمه كلمة الله**" (رؤيا ١٩: ١١- ١٣، والتشديد من عندي).

إنَّ كلمة **الله** هو المسيح. والمسيح هو كلمة **الله**. وهو يُريد أن يتواصل. وكلماتُه فينا. فليس لنا في داخلنا فقط طبيعتُه الإلهيَّة- سلامُه وصبره ولطفُه وأناته وفرحه وحضوره- بل لنا أيضًا كلامُه: صوتُه المُتكلِّم الحاضر دائمًا أبدًا.

"هأنذا واقف على الباب وأقرع: إن سمع أحدٌ صوتي، وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشَّى معه، وهو معي" (رؤيا ٣: ٢٠).

وفي نشيد الأنشاد ٨: ١٣، نسمع صوت الشولميَّة قائلاً: "يا مَن تجلس في البساتين، أصحابي يُصغون

إلى صوتك... فدعني أسمعه!"[4] فقد كانت الشولميَّة مُصغية. والشولميُّون يغتذون بكلمة **الله**.

حين نكون صغارًا، نُصغي إلى أُناس يتكلَّمون ويعلِّموننا كلمة **الله** ليتسنَّى لنا أن ننمو. ولكنْ أكثرَ فأكثر، ينبغي لنا أن نتعلَّم الإصغاء، لكي نسمع كلمة **الله** لأنفُسنا. ثُمَّ إذ نسمع كلمة **الله** ونتجاوب معها، يكون لدينا شيءٌ عظيم القيمة ننقلُه إلى الآخرين.

وأخيرًا، حين نبلغ النُّضج، نجد أنَّ واحدًا من أهمِّ الأُمور التي يمكن أن نفعلها هو أن نهدأ ونُصغي إلى كلمة **الله**. فنحن بحاجة لأن نسمع كلامه، لا لكي ننمو فحسْب، بل أيضًا لنبقى مُلتصقين بالكرمة... لنبقى أحياءً تمامًا!

إنَّ جميع الذين يسيرون على خُطى الشولميَّة هم مُصغون صالحون. إنَّهم مُتنبِّهون إلى صوت الملك. هم توَّاقون لأنْ يتجاوبوا. ثُمَّ إنَّهم مُتشوِّقون أن ينقلوا كلامه إلى الآخرين.

أفكار/ صلوات

تكلَّم إليَّ اليوم، ربِّي يسوع. دعني اسمع صوتك. إنِّي أتوق أن أجلس إلى مائدتك في شركة حميمة معك، مستمتعًا للغاية بكلامك. وأُريد أن أكون مُتجاوبًا مع صوتك. فليخرقْ إلى مفرق نفسي عن روحي حتَّى أعرف إرادتك وأعمل بها. وافتح فمي لأتكلَّم بالكلمات التي أسمعها، لتكون مصدر قوَّة وتشجيع لشعبك. ربِّ، لتظلَّ كلمتُك تنمو وتزيد من خلالي!

---

[4] في النصّ العبري الأصلي، لم يتمّ ذكر المصدر الذي يُحدِّد هويّة المتكلّم في كلّ آية من النشيد (أي الملك، العروس أو بنات أورشليم). وقد كان هذا هو عمل المترجمين على مرّ السنين، الذين ترجموا نصوصًا مختلفة من الكتاب المقدَّس، وحاولوا توفير السياق، ولكن في كثير من الحالات، اختلفت المصادر التي تمّ الاستشهاد منها. في هذه المسألة بالذات، اختار السيّد Bob Emery التفسير الذي يَنسِبُ هذه الآية إلى العروس. في حين أنّه في ترجمة ڤان دايك الجديدة وهي ترجمة عربيّة، يُعزى ذلك إلى الملك.

اليوم الثلاثون

التَّشفُّع

نشيد الأنشاد، الأصحاح الثامن

"اهرب، يا حبيب، وكُن كالظَّبي، أو كغُفر الأيائل، على جبال الأطياب."

نشيد الأنشاد ٨: ١٤

بعد زيارتنا إلى الكروم، رجع الملك سليمان إلى مدينة القدس. أمَّا أنا، فبقيتُ في الريف. فقد كان عمل كثير ينبغي لي أن أقوم به؛ وكرَّامون كثيرون عليَّ أن أزورهم. ولكنْ فيما عكفتُ على القيام بعملي، ظلَّ شعورٌ مزعج يقوى في داخلي. فبدا كأنَّ صوتًا هادئًا، لكن مُلِحًّا، في داخلي كان يدعوني إلى الابتعاد وقضاء وقتٍ بمُفردي مع الله.

في الصباح التالي، نهضتُ باكرًا. فأخذتُ قربة ماء، وانكفأتُ إلى هضبة صخرية، أستطيع منها أن أرى في آنٍ معًا الجبالَ إلى الشمال والواديَ إلى الجنوب. ووجدتُ مكانًا فيه شجر يوفِّر ظلاًّ وجذع شجرة ساقطة أقعد عليه.

هبَّت نسمة لطيفة رفعَت شعري الأسود الطويل قليلاً عن كتفيَّ. واستمتعتُ بالمناظر، مُسترخيةً في السلام والهدوء اللذين اتَّصف بهما هذا المَقدِس الواقع في الهواء الطَّلق.

كنتُ قد جلبتُ معي درْجًا ملفوفًا بالجلد دوَّنتُ فيه يوميَّاتي. كان درجًا ما برِحتُ أحتفظ به منذ كنتُ فتاةً صغيرة في القرية، قبلَ التقائي الملك أوَّلَ مرَّة.

إذ تأمَّلت عيناي على مهلٍ مُدوَّنات الدَّرج، عشتُ من جديد اختبارًا بعد اختبار. وإذ فعلتُ ذلك، تيسَّر لي أن أتتبَّع، عبرَ حياتي كلِّها، خيطًا ذهبيًّا من الأمانة الإلهيَّة. فقلتُ همسًا، مع شعور عميقٍ بالرِّضى، كما

لو كنتُ أصلَي: "اللّهمَّ، أنت حقًّا إله صالح!"

كنتُ قد وصلت تقريبًا إلى آخِر المساحة التي أكتب عليها.

فإذ نظرتُ إلى الفراغ، علَّقتُ بصوتٍ عالٍ: "اليومَ هو اليومُ الذي فيه سأُكمل هذا الجزء من يوميَّاتي."

ومن ثمَّ أمسكتُ بقلمي وبدأت أُدوِّن ما كان في قلبي.

إلى مَلِكي السماويِّ العزيز،

أكتبُ إليك هذا، اليومَ، بقلبٍ شكور جدًّا. فإذ أنظر إلى الماضي، أرى قصَّة حبٍّ وصلاح مرشوشة على صفحات حياتي كلِّها. وأَوَدُّ أن أستغلَّ هذا الوقت لأُعدِّد بعضًا من بركاتك الكثيرة وأرفع إليك التشكُّرات، من أعماق نفسي.

أُريد أوَّلاً أن أشكرك من أجل زوجي العزيز، الملك سليمان. شكرًا لك على شعلة الحبِّ التي أضرمتها في قلبه لي.

من أوَّل مرَّة التقيتُه فيها، لم يسَعني إلاَّ أن أتجاوب. فقد تشوَّقتُ أن يُقبِّلني بقُبلات فمه ويجذبني لأجريَ وراءه. وقدِ استجبتَ صرخة قلبي.

ولكنَّك كنتَ أيضًا مستخدِمًا إيَّاه لتُريَني علامات حبِّك وتجذبني إلى ذاتك، يا مَلِكي الراعيَ الأروع. آنذاك بدأ يتلاشى الخطُّ القائم بين تلك الأُمور التي هي أرضيَّة وتلك التي هي سماويَّة. فبالحقيقة أنَّني، بقُبلاتِ سليمان، بدأتُ أعرف قُبلات حبِّك أيضًا.

لدى أوَّل قبلة منه، أدركتُ أنَّه لم يكن فقط ملكًا، بل كان مَلِكي. لقد فتحتَ لي عالَمَه وعالم مملكته. فزرتُ بستانه. وتمشَّيتُ في قصره. وكان في ذلك اليوم أنَّك بدأتَ تُعلِن لي أنَّ هيمنتك ما بَرِحت مُطلَقةً على حياتي. فأنت حقًّا **الملك** فوق جميع الملوك.

ولكنَّ قُبلاتك لم تتوقَّف هناك. فقد قبَّلتني مرارًا وتكرارًا دائمًا، مُمطِرًا عليَّ عواطفك الرقيقة. وقد قبَّلتني يوم رأيتُ أنَّني، رغم كوني سوداء كخيام قيدار، كنتُ أيضًا جميلة في نظرك كستائر مهجع سليمان. لقد رأيتني بيضاء كالثَّلج، ونقيَّة كالنَّقاوة ذاتها.

وقبَّلتني أيضًا لمَّا رأيتُ كم صرتُ مُنشغِلة وأنَّني لم أُلقِ بالاً إلى الأحلام التي سبق أن وضعتَها في قلبي. ولم يبدُ أنَّ سليمان همَّه ذلك. فقد أحبَّني بلا قيد ولا شرط، كما أحببتني أنت، يا إلهي.

وأيضًا قبَّلتني لمَّا اقتدتَني إلى الرُّعاة اللُّطفاء العطوفين؛ ثمَّ أيضًا بوعد الملك أنَّه سيصنع لي شيئًا جميلاً، ألا وهو قلادة التُّروس. ولم يُطوِّق الملك عُنقي بقلادة التُّروس فقط، بل كانت تلك التُّروس أيضًا رمزًا يُشير إليك. فأنت، أيُّها القدير، ما برِحتَ حمايتي. وبالحقيقة أنَّك جعلت حياتي آيةَ جمال، أسمى بكثير جدًّا من أيِّ شيء كان ممكنًا أن أحلم به.

في وسعي أن استمرَّ فأذكر قُبلاتك الأُخرى التي لا تُحصى، كقُبلة الراحة والاتِّحاد مثلاً، تلك التي أعطيتني إيَّاها مع سليمان لمَّا استلقَينا معًا في المرج. وأنت قد تمَّمتَ التذوُّقَ الأوَّليَّ لتلك القُبلة. فإنَّك لم تَدَعني فقط أدخل إلى راحة مملكته وأُصبح واحدًا معه، بل الآن، يا إلهي، أستطيعُ أن أرى أنَّه كان لك أيضًا هَدَف أعظم بَعد. لقد جعلتَني استريح فيك وأُصبح واحدًا معك أيضًا. فبنعمتك، قد اكتشفتُ غايتي في هذه الحياة، وأنا أعرفك بصفتك المصدر الحقيقيَّ لحياتي وسلامي.

إنِّي أشكرك، يا مَلِكي السماويَّ، لأنَّك حرٌّ كالغزلان. وأحمدك على صبرك اللامحدود، حتَّى في الأوقات التي فيها اخترتُ أن أكون مقيَّدة بسلاسل صنعتُها بيدي وأقامت سورًا بيننا. وأُصرِّح لك- داعيةً السَّماء أن تشهد- بأنَّني أشكرك على جميع فصول الحياة: من الشتاء الصَّعب إلى الربيع المُزهِر. فقد علَّمتَني، من خلال ذلك كلِّه، أن أُحافِظ على قلب شكور في السرَّاء والضرَّاء على السَّواء، لأنَّ

الكلَ- في نهاية المطاف- آتٍ من يدك المُحِبَّة.

وأشكرك علي طول أناتك، على حَملك ثقل أعبائي. كما أشكرك على جميع المِحَن التي أرسلتَها إلى ساحتي... حتَّى الاضطهاد على أيدي الحرَّاس. فقد استخدمتَ ذلك كلَّه للخير في حياتي.

وأُريد أن أشكرك أكثر الكلِّ من أجل جميع المرَّات التي فيها استخدمتَ سليمان للتعبير عن كلمات حبِّك الخاصَّة: "ها أنتِ جميلة، يا حبيتي!" لقد سمعتُ هذه الكلمات ألف مرَّة، ولكنَّني ما زلتُ لا أستطيع أن أسمعها كفاية. ولطالما كان هو صورتك وسفيرَك في حياتي، وقد عبَّر لي عن قلبك.

وكما كنتُ له بُستانًا خصوصيًّا، هكذا سأكون إلى الأبد بالنسبة إليك، بستانك الحصريَّ. أشكرك لأنَّ حبَّك أقوى من الموت ولن يُفلِتني أبدًا من قبضته. فإنَّ الموت لا بدَّ أن يموت قبل أن تُقطَع أواصِر حبِّك لي يومًا.

بقلبٍ ملآن تمامًا، وبوجود أُمور كثيرة جدًّا أرفع إليك الشُّكر من أجلها، أيُّها المَلِك السماويّ، أصل إلى هذه النُّقطة من حياتي. أشكرك لأنَّك قد باركتَ سليمان وإيَّاي منذ عهد قريب بأُختنا الصغيرة. أنت تعرفها جيِّدًا، لأنَّها من أولادك. حتَّى إنَّك تُحصي شعر رأسها. وأشكرك أيضًا على جميع الرُّفقاء والأصدقاء الذين أعطيتني إيَّاهم. أنت تعلم جميع احتياجاتهم، وصراعاتهم، وآمالهم، وأحلامهم.

اذكر، يا إلهي العزيز، أنَّني كنتُ في ما مضى تمامًا مثلَهم كلِّهم: فتاةً قرويَّة فقيرة، مجرَّد زهرة برِّيَّة، نرجس شارونٍ. ولكنَّك من ثَمَّ جذبتني بحبِّك. لقد لففتَ حِبال محبَّتك حولي، وما برِحتَ تجذبني أقربَ إلى نفسِك مع كلِّ يومٍ يمرّ. فالآن، إلهي الكريم، أرفع هذه الطلبة البسيطة:

انظر إلى أُختي الصغيرة. انظُر إلى أصحابي وأصدقائي. إنَّهم ينتظرون أن يسمعوا صوتك أيضًا. قبِّل أُختي الصغيرة. قبِّل أصحابي، كما قبَّلتَني. اجذبهم وراءك حتى يجروا هم أيضًا خلفك. كُن سريعًا كغزال، أو كظبيٍ فتيٍّ، على جبال الأطياب، ووافِهم واثبًا كما وافيتَني أنا.

بالحُبِّ والشُّكران الأبديّ:

شولميَّتُك

نِقاط للتأمُّل

"عجِّل حبيبي، وكُن كغزال أو ظبيٍ فتيٍّ، على جبال الأطياب!" يعتقد بعضهم أنَّ هذه المُناشدة الأخيرة تمثِّل صلاةَ مؤمنٍ حارَّة لأجل رجوع الربِّ سريعًا. ماران أثا... تعال، أيُّها الربُّ يسوع! قد يكون ذلك صحيحًا؛ وإذا كان ذلك كذلك، فلا أحد يمكن أن يُخطئ تفسيرًا كهذا. ولكنْ يبدو أنَّ السِّياق يوحي بمعنًى آخر.

فيمَ كانت الشولميَّة تُفكِّر عند هذا الحدّ؟

- "ماذا نصنع لأُختنا؟"
- "الأصحاب يسمعون صوتك."

أيُصوِّر هذا امرأةً مُتلهِّفةً إلى رجوع سليمان؟ أم يتركَّز اهتمامها على أُختها الصغيرة وأصحابها؟

في موضع أسبق من النشيد، لمَّا نادت العروس سُلَيمان أن "أشبِه الظَّبي"، أرادت من حبيبها أن يأتي إليها. ولكنَّها الآن ليست مُفكِّرةً بشأن نفسها. إنَّها مفكِّرة في الآخرين، في غير الناضجين والأصحاب.

لقد تُوِّج يسوع المسيح بصفته ملك الملوك وربَّ الأرباب. والآن، هو أيضًا يجلس عن يمين الله بصفته كاهنَنا الأعلى.

ففضلاً عن حُكم الكون وحمْل كلِّ شيء بقدرته، من حيثُ كونُه رئيس الكهنة، هو أيضًا شفيعُنا.

والمُتشفِّعون هم أُولئك الذين يأخذون مكان شخص آخر أو يُناصِرون قضيَّته. إنَّهم يتضرَّعون إلى الله لأجل شخصٍ آخر، ولا سيَّما لأجل الذين يحتاجون إلى تدخُّل الله احتياجًا ماسًّا جدًّا.

وفي الكتاب المقدَّس أمثلة لا تُحصى على الذين دُعوا إلى التشفُّع من أجل آخرين. حتَّى إنَّ بعضهم كانوا على استعداد لبذل حياتهم الخاصَّة:

- موسى صلَّى لأجل الأُمَّة القديمة، وكان على استعداد لأنْ يُمحى من كتاب الله إن كان الله لا يغفر خطيَّتهم (خروج ٣٢: ٣٢).
- لمَّا عصى الملك داود الله بإجراء إحصاء، كان على استعداد لأنْ يُهلَك لكي يكفَّ الله يده عن الاقتصاص من الشَّعب (١أخبار ٢١: ١٧).
- إشعياء صلَّى مع الملك حزقيَّا لإنقاذ الأُمَّة من الهزيمة والهلاك على يد أشُّور، فرُدَّت الجيوش فجأةً على أعقابها (إشعياء ٣٦- ٣٩).
- كان بولس يودُّ لو يكون هو نفسه محرومًا من المسيح إذا عنى ذلك أنَّ إخوته وأنسباءه حسب الجسد يُقبِلون إلى معرفة الربّ (رومية ٩: ٣).

وربُّنا يسوع، بصفته شفيعنا، عندما نكون في ضيق أو تكون لنا حاجةٌ ما، موجودٌ دائمًا عند الآب مُمثِّلاً لنا في تلك الحاجة.

فهل من عجب إذًا أنَّنا إذ نُشرِف على خاتمة هذا النشيد، نرى الشولميَّة مُصوَّرةً للمؤمن شخصًا اكتسب أكثر فأكثر طبيعةَ مُتشفِّع؟

فبعدما صارت أوَّلاً امرأةً تهمُّها مصلحة العالم، قد أصبحت الآن مُتشفِّعةً لأجل ذلك العالم.

"عجِّل، حبيبي، وكُن كغزال أو ظبيٍ فتيٍّ، على جبال الأطياب!"

أفكار / صلوات

ها هُنا ينتهي سفر نشيد الأنشاد. فالنشيد يبدأ والفتاةُ تُصلِّي أن يأتيَ إليها مليكُها، ثمَّ ينتهي بصلاةٍ أن يأتيَ الآن إلى الآخرين بالطريقة نفسها. فهلاَّ تكون هذه صلاتنا أيضًا!

كُن سريعًا، أيُّها الربُّ يسوع. قبِّل أُولئك الذين أُحبُّهم حتَّى يعرفوك كما عرفتُك أنا. قبِّلهم بقُبلات فمك، لكي يجروا وراءك!

تذييل

الأحلام

"السرّ المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال ... الآن قد أُظهر ... الذي هو: المسيح فيكم، رجاء المجد!"

كولوسّي ١: ٢٦ و٢٧

فرغتُ من القراءة، ولفَفتُ على مهلٍ الدَّرْج الذي كان الملك سليمان قد أعطاني إيَّاه، مؤمِّنةً إيَّاه من جديد بشريط الجلد الرقيق. وكانت جداول الدُّموع التي فاضت من عينيَّ بسخاء في أثناء القراءة قد بدأت الآن تجفُّ على خدَّيَّ وتتلألأ على نحوٍ باهت في ضوء الشُّموع. فرفعتُ نظري إلى وجه الملك.

كانت عيناه أيضًا مُنتفختَين وحمراوَين. وتسنَّى لي أن أرى خطَّ الدُّموع المُخضَلَّ مرسومًا على لحيته.

قلتُ مُتنهِّدةً: "يا مليكي، أنا منهوكة عاطفيًّا. لقد نقر هذا النشيد كلَّ وتر في عواطفي. ففي أثناء قراءتي، حلَّقت مشاعري إلى الأعالي وهبطَت عموديًّا إلى الأعماق على السواء. وهو قد أثار قوس قُزَح من النَّغمات، من التَّوق والحُزن إلى الرَّجاء والغبطة. لم يُكتَب قطُّ نشيدٌ كهذا! حقًّا إنَّه لجميع بني قومنا كي يقرأوه. لقد جئتُ إلى هنا اليوم آملةً أن أستعيد ذكرى الشولميَّة فتنبعث حيَّةً من جديد في ذاكرتي وفي نفسي. فاليوم، سيِّدي الملك، قد لقِيتُ شيئًا مقدَّسًا- شيئًا مُوحًى به- لأنْ ما من نشيد آخر يتكلَّم عن الحبِّ كما يتكلَّم عنه هذا النشيد."

فقال الملك: "لقد أبقَيتُ هذا النشيد لنفسي حتَّى الآن، ولكنْ لمَّا علمتُ أنَّني سأراكِ اليوم، شعرتُ كأنَّ في داخلي كان قائلاً لي إنَّكِ يجب أن تكوني أوَّل شخص أتشارك معه في هذا النشيد."

"لقد أكرمتَني وباركتَني فوق ما يمكنني التعبير عنه. فليتَني أستطيع أن أردَّ لك البركة بطريقة ما."

أجاب: "لستِ مديونة لي بشيء، يا شيريل. ولكن، إذا استطعتِ..."

فقلتُ في نوبة تأثُّر مفاجئة: "عذرًا على مُقاطعتي، سيِّدي الملك. ولكنِّي أعتقد أنَّ هنالك شيئًا أستطيع أن أردَّه إليك."

"وما عسى أن يكون ذلك، بُنيَّتي؟"

"اسمح لي بأن أتشارك معك في واحدة من ذكرياتي الخاصَّة. وقد خطرت في بالي إذ قرأتُ السَّطر الأخير تمامًا من نشيدك."

قال الملك: "من كلِّ بدّ! تكلَّمي بحرِّيَّة."

"إنَّ النشيد يُختم بصلاة. بالحقيقة أنَّ الشولميَّة كانت امرأةً مُصلِّية. وأنا أعلم أنَّها كثيرًا ما صلَّت لأجلي. فلأتشاركْ معك كيف استُجيبت تلك الصلوات.

"أتذكَّر ذهابي ذات صباح إلى البستان برِفقة الملكة. ولمَّا اقتربنا من البوَّابة الحديديَّة، سحبَت من ثوبها مفتاحًا وأدخلته في القفل. وانفتح القفل، فرفعَت المزلاج، وتراجعت خُطوةً إلى الوراء، وأشارت لي بأن أدخل قبلها.

"مع أنَّك قضيت كثيرًا من الوقت معها في البستان، فقد صار مكانًا مُحبَّبًا عندنا فيه نتمشَّى ونتحدَّث أيضًا. وقد قعدنا معًا على بنك تحت ظلِّ شجرة رُمَّان سُوِّيَت حسنًا، وكان عليها ثِمار مدوَّرة كبيرة تتدلَّى بوفرة من أغصانها.

"كنتُ شابَّة آنذاك، في السادسة عشرة أو السابعة عشرة. وأتذكَّر بوضوح تعليقَ الملكة على مدى ما بدَوتُ عليه من جمال ونُضج.

"منذ أن تبنَّيتُماني، أنتَ والملكة، نشأتُ في القصر، وشاهدتُ بتأثُّر بالغ إنشاء الهيكل المجيد على جبل المُريَّا، مُقابل القصر تمامًا على جبل صِهيَون. وعلمت أنَّ ذلك سيكون بيتًا للإله الحقيقيّ. وكما كان الهيكل يعلو ويُقارِب الاكتمال، كذلك كان توقي إلى معرفة هذا الإله الذي سمعتُ عنه كثيرًا. فالتفتُّ إلى الملكة وبادرتُ إلى الكلام، مُخاطِبةً تلك التي بتُّ الآن أدعوها 'أُمِّي'.

"بدأتُ قائلةً: 'لقد استجاب **الله** حقًّا صلواتكِ لأجلي. ففي الليلتين الماضيتين، ما برِح **الله** يظهر لي كلَّ ليلة في أحلام. وفي الليلة الأولى، كانت الأحلام مُزعِجة جدًّا؛ أمَّا في الثانية، فغامضة جدًّا.' وطلبتُ منها أن تساعدني بتفسير تلك الأحلام لي.

فقالت الملكة، مُمسكة يديَّ بيديها: 'قولي لي، بُنيَّتي العزيزة، ماذا تلك الأحلام؟ وكيف ظهر لك إله المجد؟'

"قلتُ: 'كان الحلم الأوَّل مروِّعًا. إذ حلمتُ بامرأة ذات جمال لا يوصف أُعدِمَت مُعلَّقةً على شجرة. فقفزتُ من سريري باردةً ومذعورة ومرتجفة بشدَّة. وما كان منِّي، وقتًا طويلاً، إلاَّ أن جلستُ هناك مُحاوِلةً فهم الحلم. ودافعتُ النَّوم، رغبةً منِّي ألاَّ أحلم الحلم من جديد. ولمَّا استسلمتُ أخيرًا للتَّعب الشديد وظلام الليل، عدتُ إلى نومي مجدَّدًا، ليُوقِظَني حلمٌ ثانٍ بعد قليل.

"'هذه المرَّة، كان الحلم عن رجُل يُعدَم على شجرة. ورغم صراعي الكثير، استحوذَت عليَّ الصورة. هذا الرجل، هذه المرأة... شعرت، بيقين عظيم، أنَّ الرجل كان ملوكيَّ المولِد بطريقة ما، وأنَّ المرأة ذات الجمال الذي لا يُضاهى كانت زوجته أو ربَّما عروسه. والأمر الغريب الذي لاحظته بشأن هذه المرأة كان أنَّ وجهها وشكلها بدوَا مُتغيِّرين، وكأنَّ لها عشرة آلاف وجه، وكذلك لون شعرها... إذ بدأ أسود كالغُراب ثُمَّ تحوَّل أحمر كالفريز، ثمَّ أصفر ذهبيًّا، ثمَّ بنِّيًّا مُحمَّرًا غامقًا، وأخيرًا رماديًّا فضِّيًّا.

"'وبعد وقت بدا كأنَّه ساعات، استطعتُ أخيرًا أن أعود إلى النوم، ليوقظني حلمٌ ثالث أيضًا. هذه المرَّة،

عادت الصورة نفسُها أوضحَ بعد، ورأيت الزوجين لا كاثنَين بل كواحد. وهي قد أميتَت معه. فاستولى عليَّ الرُّعب والعجب معًا. ثمَّ نظرتُ عن كثب بعد. فبدا عندئذٍ أنَّها لم تكن مائتةً معه فحسْب... فبطريقة سرِّيَّة ما، رأيتُهما لا كشخصين بل كشخص واحد. إنَّها لم تكن فقط مائتةً معه، بل فيه. ومن ثمَّ، تلاشت الصورة’.

"بدأت الملكة تمسح برفقٍ العرق الذي كان قد أخذ يتدفَّق من مسامِّ جبيني. وإذ حافظَت على رباطة جأشها، حدَّقَت بحدَّة داخلَ عينيَّ واستفسرَت: ‘هل كان أيُّ شيء آخر؟ ماذا كان شعورك وأنت تُشاهدين هذا المشهد؟’

"أجبتُ: ‘كانت مشاعري مُشوَّشة. بكيتُ بكاءً شديدًا، دون قدرة على الضَّبط. كان في وسعي أن أشعر بحبِّه لها، كما كان في وسعي أن أشعر بمحبَّتها له. وأردتُ لهما كثيرًا جدًّا أن يعيشا. أردتُ أن أنام من جديد فأحلم هذه المرَّة حلمًا بأنَّهما لم يموتا، بل ظلاَّ على قيد الحياة بطريقة ما. ولكنَّ حلمًا كهذا خذلني. كيف يمكنني أن أجعل هذا الحلم يتغيَّر؟ كيف يمكن أن تكون له نهاية أفضل بطريقة من الطُّرق؟ لقد ألفيتُ نفسي صارخةً أنَّ حلمًا كهذا لا ينبغي أن ينتهي على هذا النَّحو. فكلُّ ما فيَّ ثار على فكرة كهذه.’

"وجلسنا صامِتَتين.

"أخيرًا، قالت الملكة بصوت رقيق: ‘سأُفسِّر لكِ هذا الحلم، يا شيريل. إنَّما ينبغي لك أوَّلاً أن تحكي لي الحلم الذي حلمتِه في الليلة التالية، لأنِّي أشعر يقينًا بأنَّ مجموعتَي الأحلام مُترابِطتان.’

"فأردفتُ: ‘تاليَ ليلة، نحو نصف الليل أيضًا، أيقظني حلم. وهذه المرَّة، رأيتُ الشابَّ نفسه أيضًا. كان جسده قد أُنزِل عن الشجرة، ووُضِع في الأرض، وغُطِّي بالتُّراب. وكان في وسعي أن أرى شكله مُمدَّدًا تحت الأرض، ولكنْ كان مستقرًّا داخل قفصه الصَّدريِّ نورٌ أبيض وأزرق، صغيرٌ خافق، يرسل أشعَّته. وقد تسمَّر نظري عليه. ماذا كان؟ لم أدرِ. خُيِّل إليَّ أوَّل الأمر أنَّه لا بدَّ أن يكون قلبَ الشابّ. ولكنْ إذ نظرتُ عن كثب أكثر، تبيَّن لي أنَّه لم يكن كذلك. فقد بدا متَّصلاً بقلب الرجُل، لكنْ منفصلاً عنه أيضًا. وكان له في الواقع شكلُ حبَّة حنطة صغيرة.

"‘وإذ حملقتُ بمزيد من التحديق إلى النُّور، خطر في بالي أنَّ هذا النور كان حيًّا. فإنَّه كان حيًّا، خافقًا، نابضًا، متحرِّكًا؛ وفيما هو فاعِلٌ ذلك، بدأ لمعان النور يزداد، وبدأت الحبَّة تكبر. أخيرًا، انبعثت عُشبةٌ من الحبَّة، وأخذ النور يرتفع من الجُثمان ويشقُّ طريقه ببطء إلى سطح الأرض. ثمَّ اخترق التُّربة، ونما شجرةً رائعة تتدلَّى منها أشهى الثِّمار. ولمَّا استيقظت من هذا الحلم، لم أكُن منزعجة كالسابق، بل مُتحيِّرة فحسب. ورغم ذلك، كنت ممتلئة برجاء مُتعذِّر التفسير لم أستطع أن أُدرِكه أو أفهمه تمامًا؟

"فقلتُ للملكة: ‘إذًا، هذه هي أحلامي، يا أُمِّي. فماذا تستنتجين منها؟’

"فاضت عيناها دُموعًا وهي تُصغي إليَّ أُنهي سرد حلمي الثاني. وهتفَت: ‘يا له من حلم مجيد! إنَّ أحلامك حقًّا مترابطة، ولا يمكن فهم أحدها بمعزل عن الآخر.’

"ثُمَّ فسَّرَت الأحلام لي.

"شرعَت تقول: ‘قبل نحو خمس مئة سنة، ظهر إلهُنا لموسى في رؤيا على الجبل في برِّيَّة سيناء. هناك، انفتحت له السماوات، وأُعطيَ إعلانًا إلهيًّا. وقد علَّمه **الله** أن يُنشئ على الأرض خيمة كبيرة على مثال ما رآه في هذه الرؤيا السماويَّة.

"‘ومنذ مدَّة غير طويلة، ظهر إلهنا من جديد لواحد من خدَّامه، للملك داود. وهو أيضًا أُعطِيَ إعلانًا. فقد أعطاه **الله** خُطط بناء الهيكل، حتَّى أدقِّ التفاصيل. فالأب الأوَّل والملك العظيم كلاهما عُلِّما أن يبنيا على الأرض شيئًا يكون نُسخة طبق الأصل لِما هو موجود في الأماكن السماويَّة.

"‘وهنا السِّرُّ العظيم، اللُّغزُ العظيم، بخصوص ما رأياه في السماوات: أنَّ ما رأياه في السماوات كان

موضوعًا واحدًا بعينه. فقد كان إنسانًا! وكان هو الإنسان الذي أعلنه لكِ **الله** بعينه!'

"وأذكر أنَّني اندفعتُ أقول محبَطةً: 'أنا متحيِّرة! كيف يمكن أن يكون المسكن الذي بناه موسى والهيكل الذي أُظهِر لداود نموذجَين لإنسانٍ يُقيم في السماوات؟ أليس **الله** وحده ساكنَ السماوات؟'

"عندئذٍ أجابتني: 'هذا سِرٌّ، بل لغزٌ، عظيم احتفظ به إلهُنا لنفسه- ما عدا استثناءاتٍ قليلة- على مدى الأجيال. ولكن يمكنني أن أقول لكِ، بكلِّ يقين، إنَّه هكذا. فكلا الرجلين رأيا أنَّه في موضع ما، خارجَ الزمان والمكان، هنالك مَن يحكم السماء والأرض ويجلس على عرش سيِّدًا على كلِّ خليقة. إلاَّ أنَّ هذا الشخص نفسه هو أيضًا الذبيحة الكاملة، مَن سيُقدِّم نفسه لكي يردَّ هذا الجنس البشريَّ الخاطئ إلى علاقة سليمة بالإله الحيّ. حقًّا إنَّه لَسِرٌّ عظيم!'

"وسألتُ الملكة عمَّا إذا كنتَ قد تكلَّمتَ إليها عن هذا.

"فأجابت: 'ليس كثيرًا. تمرُّ أقاتٌ يعمد فيها إلى محادثتي عن هذا الأمر، لكنَّ تلك الأوقات نادرة. وعندما يفعل ذلك، فغالبًا ما تُسابِقه الدُّموع. فبالنِّسبة إلى سليمان، هذا الموضوع أرضٌ مقدَّسة'."

تشبَّث الملك بذراعَي كرسيِّه فيما جلس مُصغيًا إلى قصَّتي وهو مشدودٌ إليها تمامًا. وسأل بإصرار: "هل قالت أيَّ شيء آخر؟ ماذا أخبرتكِ غير هذا؟"

"أخبرَتني عن مرَّة فيها حدَّثتها عمَّا رأيتَه في ذلك العالَم الآخر. ولم أكَد أُصدِّق ما أخبرَتني. فقد قالت إنَّها كانت تُغايظُك عصرَ يوم من الأيَّام بشأن إسراف عرشك والطريقة التي بها تُقارَب المُلوكة، مع جميع التوافه والحركات المسرحيَّة غير الضروريَّة. فاستغرقتَ في التفكير تمامًا، وكدتَ تدخل في بُحران تامّ. وأخيرًا، تكلَّمت.

"قلتَ: 'إنَّني، على غِرار أبي داود، حظيتُ بإزاحة الستارة. وقد نظرتُ إلى قلب العالَم السماويِّ أيضًا.' وأخبرتَها عن عرشك المصنوع من العاج والذَّهب، المهيب العالي الرفيع. إلاَّ أنَّك قلتَ إنَّ هذا العرش ليس شيئًا عند المقارنة. فقد شُحِبَت أهمِّيَّته وجعلك تخزى فحسْب، لمَّا فكَّرتَ في ما رأيتَه إذ فُتحت لك السماء. لأنَّك قد رأيتَ **العرش**، عرشَ **الله** بالذَّات!"

فجأر الملك بأسًى، غير قادر على الإمساك بَعد: "نعم! بدأتُ أبكي، وخرَرتُ على ركبتيَّ. فجثَت الملكة على ركبتيها إلى جانبي والتصقت بي بشدَّة واضعةً ذراعها حول كتفي. لقد حاولَت أن تعزِّيني. ثمَّ صرختُ- بل كدتُ أعول عويلاً- 'لقد رأيتُ الملك الحقيقيَّ! هو الربُّ المُهَيمن. هو الربُّ المُهَيمِن على كلِّ إنسانٍ كانت له يومًا سُلطةٌ على الآخرين.' لا أستطيع أن أُعبِّر لكِ عمَّا يعنيه ذلك. ففي كلِّ جيل، وفي كلِّ عصر، وفي كلِّ أُمَّة، ومن كلِّ لسانٍ على الأرض، هناك مَن كانوا ومَن سيكونون، كلُّ من تجاسروا يومًا أن يدعوا أنفسهم ملوكًا... رأيتُ وجه الملك الحقيقيّ، ورأيتُ عرشه. إنِّي أتكلَّم عن ملك جميع الملوك وربِّ جميع الأرباب!"

وإذ ذُهِلتُ، وضعتُ يدي على فمي.

ومضت بضع دقائق قبل أن تعود إلى سليمان رباطة جأشه. فقد بات يبكي من جديد، بل يكتئب مُتشنِّجًا. وظلَّ يحاول أن يمسح الدموع من عينيه بكُمِّ ردائه.

ثمَّ قال الملك: "سامحيني بإظهار هذه العاطفة. سأُحاول ألاَّ أُقاطِع هكذا ثانيةً. رجاءً، تابعي. أخبريني بكلِّ ما أخبرَتكِ به."

"مضت تُخبرني عن هذا الذي يسكن العالَم الآخر. وقد شبَّهَته بتابوت العهد وغِطائه (كرسيِّ الرحمة)، ذاك الذي جُعِل داخل قدس الأقداس في كِلا خيمة الاجتماع والهيكل، والذي يحرسه عند اليمين وعند اليسار كروبان مهيبان. وما كانت هذه إلاَّ أفضل محاولة من الإنسان، رغم كونها واهية، لتصوير حقيقة ما هو موجود في السماوات. وكما قُلتَ لي أنت الآن، قالت إنَّك رأيتَ لا العرشَ وحده، بلِ

الجالس عليه أيضًا! وهذا يُفسِّر سبب كون تابوت العهد مصنوعًا من الخشب- إذ يُمثِّل إنسانًا، بشريًّا كاملاً- ومع ذلك فهو مُغشًّى بالذَّهب الخالص من خارج ومن داخل، الأمرُ الذي يُمثِّل الألوهة. وداخل ذلك الصُّندوق الخشبيِّ الذهبيِّ اللوحان المكتوبة عليهما الوصايا، الأمرُ الذي يُشير إلى كماله الخُلقيِّ؛ وعصا هارون التي أزهرت، الأمر الذي يشير إلى حياته التي لا تزول والتي قهرَت حتَّى الموتَ نفسَه؛ ووعاء المنِّ المُخفى، الأمرُ الذي يشير إلى الطَّعام السماويِّ الذي به يُطعِم أرواح البشر جميعًا. هذا هو الشخص الذي رأيتَه، أمَا هو، سيِّدي الملك؟"

وبدت عيناه ممتلئتين نورًا إذ أجاب: "بلى، هذا هو الشخص الذي رأيتُه!"

وحثَّتني حملقتُه على مواصلة الكلام، فقلتُ: "ثُمَّ تابعَت الملكة تفسير حلمي، فقالت: 'سأقول لكِ الآن كيف يرتبط ما حلمتِه أوَّلاً بما حلمتِه ثانيًا. ففي الحلم الأوَّل، رأيتِ أنَّ شخصًا ملكيًّا مات. وكان ذلك الموتُ ذبيحةً مُقدَّمة إلى **الله**. وأنتِ تعلمين أيضًا أنَّه عندما يُقدِّم رئيس الكهنة كبشًا بلا عيب ذبيحةً عن خطايا الشَّعب في يوم الكفَّارة يضع يديه على رأس الذبيحة، وبذلك يوحِّد الخاطئ مع الذبيحة رمزيًّا. فقد صار الاثنان واحدًا؛ وخطايا الخاطئ تُنقَل وتوضع على الكبش البريء. وهذا يُصوِّر موت الاثنين... معًا. وهكذا حالُ الزَّوجين في حلمكِ.

"'إنَّ المرأة الجميلة التي رأيتِها تُمثِّل العروس التي كان هذا الملك السماويُّ مستعدًّا لأنْ يموت لأجلها. أمَّا أوجُهها العديدة وألوان شعرها المختلفة فتُبيِّن لنا أنَّ هذه العروس، شريكةَ الملك السماويِّ الأبديَّة، ليست مكوَّنة فقط من أبناء أُمَّتنا وبناتها، بل أيضًا من أولئك الذين اختارهم من جميع الأُمم والذين لديهم شغف به وحبٌّ له.'

"ثُمَّ وصلَت إلى حبَّة الحنطة.

"فسألتني هل أتذكَّر قصَّة الرجل والمرأة الأوَّلَين في بُستان عدْن: كيف وُضِعا بين شجرتين، شجرة معرفة الخير والشرِّ وشجرة الحياة. وفسَّرَت لي أنَّهما لمَّا أكلا من الأولى، مات في أعمق كيانهما شيءٌ سبق أن خُلِق للقدوم إلى الأماكن السماويَّة. وهما لم يأكلا قطُّ من الشجرة الأخرى، شجرة الحياة، لأنَّهما لو أكلا لدخلَت فيهما تلك الحياةُ الإلهيَّة من العالم السماويّ، ولأصبحا مخلوقَين جديدين: جزءٌ منهما أرضيٌّ، وجزءٌ سماويّ؛ جزءٌ بشريٌّ، لكنْ جزءٌ إلهيّ.

"وتابعَت الشرح لتقول إنَّه بسببِ خطيَّة الإنسان، وضع **الله** أشرس مخلوقَين في نطاق عالَمِه، كروبَين، أمام شجرة الحياة، حاملَين سيفَين ملتهبين من نار، لمنع الرجُل والمرأة أن يأكلا وبذلك يعيشان إلى الأبد في حالتهما الأثيمة.

"لم يكن محضَ صِدفة أنَّه في المثال الذي أُظهِر لموسى وداود عن الخيمة والهيكل كانت ستارة معلَّقة بين القُدس وقُدس الأقداس، ووراءها يُقيم الإلهُ الحيُّ. وعلى تلك السِّتارة، عُلِّم موسى أن يُطرِّز صُوَر كروبيم. وما زالت هذه حتَّى اليوم رمزًا إلى تلك المخلوقات الحيَّة في السماوات، تلك التي تحرس المدخل إلى حضرة إله المجد، حتَّى لا يتمكَّن أحدٌ من الدخول، ما عدا رئيس الكهنة، وذلك مرَّةً واحدة فقط في السنة.

"ثُمَّ أخبرتني بأنَّه كان لها رجاء أنَّه يومًا ما، وبطريقة ما، ستُزال تلك الستارة وتُتاح مرَّةً أُخرى فرصةُ الدخول إلى ما وراء الحجاب. فإنَّ قصد **الله** لن يُعاق. وهو وعد بأنَّه سيهزم العدوَّ الذي أحدث هذا السقوط. فسوف يكون له ما قصده قبل فجر الزمان، وسوف يُحقِّق ذلك بمجيء نَسل، ألا وهو نسلُ المرأة!

"وأذكر أنِّي شهقتُ وقلت لها: 'هل تقصدين... هل تقصدين أن تقولي إنَّ هذا الإله، هذا الإنسانَ- كائنًا ما كان- الجالسَ على العرش سوف يأتي إلى الأرض ذات يوم ويتَّخذ جسمًا بشريًّا؟'

"'إنَّه لسِرٌّ عظيم جدًّا، بل أعظم جميع الأسرار!' هكذا همست الملكة في سكون.

"'لقد أُريتِ، أُختي الصغيرة العزيزة، أنَّ هذا النَّسل- الذي هو الذبيحةُ النهائيَّة- يجب أن يموت، وأنَّنا نحن أيضًا سنموت بموته. فذات يوم، سوف يأتي. وذات يوم، سيُدخَل باطن الأرض. وذات يوم، سيقوم حيًّا من جديد دون شكّ، فتنمو الحبَّةُ شجرةً تحمل ثمرًا من نوعها، على صورة النَّسل الأصليّ تمامًا. تلك الشجرة، شجرة الحياة، ستغدو في متناول الجنس البشريّ من جديد. وذلك هو السبب الذي من أجله، يا شيريل، شهد شيءٌ ما داخل كيانكِ للرَّجاء العظيم الذي شعرتِ به في أعقاب الحلم الثاني.'

"وإذ شُدِهتُ وصُعِقت حيال هذا الإعلان المذهل، همستُ ببطء: 'نسلٌ إلهيّ، مولود من امرأة، يحمل ثمرًا من نوعه... متى تحدث هذه الأُمور؟'

"أجابت: 'لا أحد يعلم يقينًا. ولكنْ في ملء الزَّمان، سوف يأتي. نعم، في ملء الزَّمان سوف يأتي!'

"بعد ذلك، بدا أنَّ سلامًا صافيًا ملأ البُستان وعقلَينا أيضًا، فيما جلسنا صامتتَين. لقد انقطع وقت الكلام. وأذكر أنَّنا كِلتَينا حوَّلنا النظر إحدانا عن الأُخرى لنُحدِّق إلى الرُّمَّانات المُغرية المُتدلِّية فوق رأسَينا، في مُتناول أيدينا تمامًا. كما أذكر أنَّني فكَّرتُ بيني وبين نفسي: يا لأسرار البُستان! لا عجب أنَّ سليمان يحبُّ المجيء إلى هنا!

"والآن، يجب أن أسألك سؤالاً، يا مليكي. هل تعتقد أنَّ السبب الذي من أجله يُخاطِب نشيدُ الحبِّ، هذا الذي نظمتَه، القلبَ خطابًا عميقًا جدًّا هو أنَّه بالحقيقة رُبَّما يصف لا علاقة حبٍّ واحِدة، بل علاقتَين؟ أيُعقَل حقًّا أن يكون واصفًا علاقة حبٍّ في عالَمَين مُختلِفين في الوقت نفسه؟"

فابتسم سليمان ابتسامةً عابرة، ناظرًا نظرة رِضًى وشِبَع عميقَين. ولعلع صوتُه إذ أجاب: "كما قالت الملكة بحقّ، إنَّه سرّ. فيقينيًّا كالفجر، سوف يأتي، وفي ذلك اليوم سنعلم."

"إذا سمحتَ لي، سيِّدي الملك، فعندي تعليقٌ أخير فقط بشأن نشيدك هذا."

"من كلِّ بُدّ، قولي لي ما هو."

"إنَّ نشيدك يفتقر إلى عنوان، إلى إسم فكما تعلم، يعني الاسم الذي أنا مدعوَّة به، شيريل، 'نشيد **الله**'. وأعتقد أنَّه اسمٌ مناسب جدًّا بالفعل، إذ أُفكِّر في نشيد المحبَّة الذي ما بَرِح الربُّ ينظمه في حياتي. ولكنَّ هذا النشيد الذي كتبتَه لا يُشبه أيَّ نشيد غيرَه. فهل أجرؤ أن اقول إنَّ هذا النشيد سوف يبقى خالدًا إلى الأبد، حتَّى لو تبدَّدت جميع أناشيدك الأُخرى؟ إنَّه سرمديّ! فهو يمسُّ ما هو أبديّ. ولذلك فهو يستحقُّ اسمًا خاصًّا."

فاستفسر الملك: "وما عسى أن يكون ذلك الاسم؟ ألديكِ أيُّ اقتراحات؟"

أجبتُ: "نعم، لديَّ. يجب أن يكون شيئًا بسيطًا، لكنْ شيئًا عميقًا. يجب أن يكون شيئًا يميِّزه عن الأناشيد الأُخرى، لأنَّ هذا بالحقيقة أفضلُ أناشيدك كلِّها. فأعتقد أنَّه ينبغي لك أن تسمِّيَه نشيد الأنشاد، لأنَّ هذه حقيقتُه، ولأنَّه سيبقى هكذا دائمًا أبدًا!"

كلمةُ شُكر

أوَّلاً وفوق كلِّ شيء، لديَّ إحساسُ شُكرانٍ عميقٌ لله من أجل محبَّته، وإلهامه، والأوقات الثمينة التي قضيتُها في حضرته مكتشفًا الحقائق الموجودة في نشيد الأنشاد.

كذلك أُريد أن أعترف بفضل ساندرا، زوجتي وشريكة حياتي منذ أكثر من أربعين سنة، من أجل تشجيعها والصَّبر والاحتمال اللذين أبدَتهما، يومًا بعد يوم على مدى سنة ونصف، فيما تواريتُ داخل مكتبنا للعمل في هذا المشروع.

ويشمل تقديري وشُكري الجزيل بنّي هاوكنز ولوري درَكسلر ودونَّا فيرغسُن، على صلواتهنَّ دائمًا لأجلي ولأجل هذا الكتاب لكي يشقَّ طريقه إلى الطَّبع. كما يشملان مُحرِّرتي "النَّجمة" راكيل ستارّ ثومسُن وجاين ونتربُرن وبرندا كوكس، إذ أنفقن ساعات من الوقت والطاقة في التحرير والتصحيح، قائماتٍ بما لم يكُن في وسعي قطُّ أن أقوم به، ولو في مليون سنة.

كذلك أشكر تيم إرڤن على الرُّسوم التي أضفت مسحةً راقية على هذا الكتاب؛ وأيضًا جين إدواردز على تحدِّيَّ لأنْ أصبح كاتبًا أفضل، وعلى موهبته في رواية القصص، ورغبته ومواظبته في محاولة نقل جزء من تلك الموهبة إليَّ، وحيازته الجُرأة لحثِّي على صوغ قسم كبير من مادَّة هذا الكتاب في قالب قصصيّ، في مهمَّة بدت أوَّل الأمر بعيدة بسنين ضوئيَّة عن أيَّة واحدة من قُدراتي المعروفة.

وأخيرًا، خالص شكري وتقديري لمجموعة من قادة كنائس البيوت الإيرانيِّين الذين جالوا معي على مدى خمسة أيَّام، ما بين خمس ساعات وستٍّ كلَّ يوم، عبرَ محتويات هذا الكتاب، باكين ومُتعبِّدين ومُتلقِّين، وقد تغيَّرت حياتهم، كما تغيَّرت حياتي أيضًا.

إليَّ اشتياقه يحكي قصَّة حبيبَين ألهما أعظمَ نشيد محبَّة كُتِبَ على الإطلاق

نشيد الأنشاد يروي قصَّة رقيقة عن مَلِك وعذراء؛ ملكٍ وعروسه الآسرة. ولئن نظر إليه بعضٌ باعتباره سفرًا غامضًا تقريبًا بين أسفار الكتاب المقدَّس، فهو للعَين البصيرة سِفرٌ يكشف بالحقيقة المحبَّة الشديدة والحميمة والغَيرَى التي يكنُّها الله لشعبه.

إنَّ نشيد الأنشاد يجب أن يتمَّ تذوُّقه والتمتُّع به والتأمُّل فيه واختبارُه، لأنَّ العلاقة الحميمة بالله لا يمكن اكتشافها إلَّا فرديًّا عبرَ لقاءات شخصيَّة مُتنامية، مُغيِّرة للحياة، تجري بينه وبين النفس.

في توليفةٍ من السَّرد القَصصيِّ والتفسير والتأمُّل التعبُّديِّ على مدى ثلاثين يومًا، يُقدِّم لك **إليَّ اشتياقه** حِصصًا يوميَّة من نشيد الأنشاد، قابلة للتناوُل والاستيعاب، تستمتع بها. فتذوَّق مضمونه الروحيَّ مُستسيغًا، إذ تتعلَّم كيف يخطبنا مليكُنا السماويُّ لنفسه ويجذبُنا إليه.

"تفسيرُ تفاسيرَ في نشيد الأنشاد."

إدوارد پ مِلر، مدير Bible Study Ministries

"كلُّ ما قرأتُه يومًا حول نشيد الأنشاد ثقيلٌ وجافٌ. أمَّا كتابُك فيجري بسلاسة وجمال. إنَّه يجلو أسرار نشيد الأنشاد بأسلوبٍ جميل وشعريٍّ يمسُّ قارئه في الأعماق."

جورج حصني، رئيس "Horizons International"

"اقرأ هذا الكتاب، وتعلَّمْ من جديد لماذا كانت "محبَّتك الأُولى" للربِّ شديدة الشَّغف، ولتُضرَمْ لديك تلك المحبَّة مُجدَّدًا!"

طوني دايل، مؤسِّس House 2 House**؛ رئيس لجنة** The Karis Group

"كتابٌ عميقٌ غنيٌّ، نسيجُ وحدِه، استمتعتُ بقراءته وترجَمتِه. أرجو أن يسدَّ ثغرةً في المكتبة المسيحيَّة العربيَّة، ويكونَ له تأثيرٌ روحيٌّ عمليّ."

سعيد باز- المترجم

بوب إمِري هو الرئيس والمؤسِّس لمُنظَّمة Global Opportunities for Christ "فُرص كونيَّة للمسيح"، وهي منظَّمة لا تتوخَّى الرِّبح، تدعم الخدمات المسيحيَّة الوطنيَّة.

عام ١٩٩٢ ترك عالَم الأعمال كي يتفرَّغ للعمل الرِّسالي. وفي ١٩٩٦ أسَّس المنظَّمة المذكورة. وما برح يُسافِر كثيرًا في أنحاء العالم حيثُ يدرس أحوال الخدمات المسيحيَّة، ويرعى العلاقات بقادة الخدمة، ويُعلِّم كلمة الله في الكنائس والمؤتمرات ومدارس الكتاب المقدَّس.

9 789953 530772

Dar Manhal Al Hayat
دار منهل الحياة